بدرية البشر



كتّاب
Kuttab Publishing

بدرية البشر

تزوّج سعودية







بدرية البشر

تزوّج سعودية



تزوّج سعودية

تأليف: بدرية البشر

نشر في دولة الإمارات العربية المتحدة

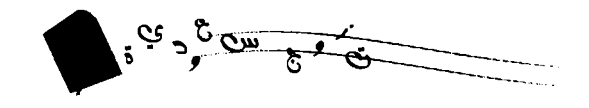
الطبعة الأولى، 2011م

ردمك: 978-603-00-2200-7

تمّت الموافقة على الطباعة من المجلس الوطني للإعلام.
الرقم المطبوع: 1430/1944

لشراء كتابك المفضل يمكنك زيارة الموقع
www.kuttabpublishing.com

الطباعة
www.printingroup.com



تحية لقارئ يتذكّر !

كلما وصلت محطة بين طريقين بين قطارين، وقررت التمتع بالنظر بما هو آت، وبما مضى، كلما قررت أن أنسى الكلمات قليلا وأتملّى في وجوه الناس دون رفقة قلمي، وأتأمل في ثيابهم، في فوضاهم، ضياعهم، فرحهم، حقائبهم الملونة، كلما سمعت صوتا من صديق أو قريب يذكّرني بأن لا أستمر في الجلوس هكذا و أن لا أستريح، لأن للناس ذاكرة ضعيفة، والقراء هم من هؤلاء الناس. فالقراء الذين يمنحون الكاتب يوما ما شعورا بأنه الفاتح العظيم مكتشف القارات، وفاتح المسارات المغلقة، فيظن، ربما وهما، بأنه ينجز الكثير ويبدع أكثر وأنه يكاد أن يبلغ هدفه الصعب، ويتم طريق الكتابة، لِمَ لا وهو اللاعب الفذ على مسرح الكلمة،ولديه هذا الجمهور العظيم الذي يحييه كل صباح ويحثه على الكتابة. لكن أصحاب التجارب المتنوعة لا يدعون كاتبا يمضي لحال سبيله في طريق تأملاته الهادئة، يريدونه دائما حاضرا في تنّور النشر والكتابة في فصل الشتاء والصيف، و في الهجير وفي الغيث، يهددونك على الدوام بأنك ما إن تمضي فإن جمهورك سيدير ظهره لك ليصفق لغيرك وينساك، وينسى عشرتك معه على حبر الفكر وملح المشاغبات.

ولأنني أؤمن بأن الكاتب ليس «ماطور» كتابة يهدر على الدوام في الصحة والمرض وفي المسرّات والمضرّات، فإنني أراهن على ذاكرة القارئ، وعلى وعيه، أراهن على قوة الحرف،

وقوة الحفر التي ستترك ندوبا لا تمحى حتى وإن نسي القارئ يوما، ما هي مناسبتها وما هو زمانها، ومن صاحبها فإنها ستظل تهدر عني وعن كل الوعي الذي صار يوما بيني وبين القارئ، سيعمل الزمن على مسح أسمائنا، وتاريخنا لكنه لن يفلح أبدًا في مسح ما كان بيننا من عِشرة على الكلمات وعراك على تأريخ الوعي بها، لايهم يومًا أن يذكرني القراء، أو ظلوا يحتفظون بتقديرهم لي لكنني أقبض على جمرة من أمل أن قارئًا واحدًا،قارئة واحدة، فكرا بي يوما وهما يعبران منعطف أو يتخذان قراراً أو يرقيان جسرًا وكنت أنا(أفكاري) أجلس في المقعد المجاور.

في هذا الكتاب أضع جيرتي مع القارئ بين يديه، لأجنّب نفسي وأجنّبه شعور الذنب أو شعور القسوة أو شعور الخذلان بأن الزمن ينسي، لأضع بدلا منها، فكرة بأننا قادرون على أن نضع الزمن في مشكاة / هذا الكتاب سيجلس على مقعدك المجاور وستلوح الشمس أوراقه لكنه سيسعد بأنه جلس معك على المقعد المجاور، رابطاً حزام الأمان، مستمتعًا بتأملك وأنت تحاور نفسك مرات وترد عليه مرة ربما تكون واحدة.

كبسة

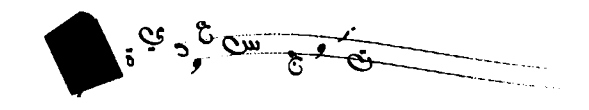
أدرج الرز ضمن قائمة الحظر في منزلنا بحسب التقارير الواردة والوافدة والمحلية عن علاقة الرز بالإرهاب والعنف ضد الصحة ولصالح السمنة وتهدّل البطن والإرادة معا، خصوصاً أن طبقنا العزيز، دائما ما تشوبه الريبة وتحوم حوله الشكوك بسبب طريقة طبخنا له. فلسنا كالشرق آسيويين نكتفي بسلقه بالماء أو طبخه بالبخار إنما نكبسه ونسميه مكبوسا ونضغطه ونسميه مضغوطا أو مكتوما أو مفلفلا، حتى لم يبقَ للرز عند أصحاب الحميات وأصحاب الكروش المتهدّلة عذرا. لكنني قرأت خبرًا ظهر فيه مسؤول الملابس في المنتخب السعودي وعضو الجهاز الإداري وهما يحملان «عفش» المنتخب السعودي المسافر للمشاركة في نهائيات كأس العالم في مطار الملك خالد والمتجه نحو طوكيو. وقد تضمن العفش ثمانية أكياس رز حتى أدركت أنه يمكن الآن رفع الحظر عن الرز واعتباره وجبة يمكن التعامل معها طالما أن الرياضيين الذين يحصدون الكؤوس قد ذهبوا لحصد كأس العالم لعام 2002م. بثمانية أكياس رز فخسروا الكأس أمام الفريق الألماني بثمانية صفر.

وقد زاحمت الكبسة طوابير الطعام المعولم في شوارعنا فصفت بذراعين طويلين مفروشين على جانبي الشوارع الرئيسية وغير الرئيسية ولو تفقدت شارعًا تمر به كل يوم مثلما فعلت ذات يوم وقرأت عناوين محلاته خلت أننا شعب لا يشغله إلا ماذا يأكل؟ فإلى جانب مطاعم الوجبات السريعة الأجنبية

من همبورقر وبيتزا ودجاج مقلي صفت مطاعم الرز المكبوس والمضغوط والمكتوم والمفلفل ثم الفلافل والفول ثم الكنافة النابلسية والحلو العربي ثم الحلو الإفرنجي ثم الجبنة الرومية ثم الحمص والمتبل والمشويات والمقليات وللأمانة فقد كان هناك محل واحد صغير للنظارات. وأكيد أنك تحتاج بعد هذه القائمة لنظارات سوداء.

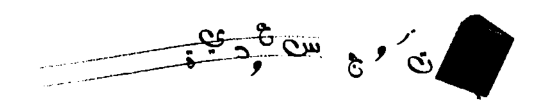
دخل السعوديون ضمن سباق السمنة فأحرزوا نسباً مرتفعة فيها فاحتللنا المرتبه الثالثة في العالم، وحصدنا نسبة أعلى إصابة بالجلطات التي ارتفعت عند السعوديين أكثر مما هي عليه عند البريطانيين. أما السبب فهو دون عجب أننا قوم إذا أكلنا شبعنا، وإذا شبعنا نحلّي وإذا حلّينا ننام، وإذا صحونا من النوم نحلي مرة أخرى. ونعتبر أن الرياضة لهو وضياع وقت وتدخل في عمل الشيطان الرجيم في مدارس الفتيات. وقد أثبتت الإحصائيات أن نسبة ستين بالمائة من نساء العالم محرومات من الرياضة، وبسبب الكبسة تجرأت «ما إلك إلا هيفاء» فأغضبت السعوديات حين قالت: المرأة السعودية تأكل المكبوس وتمشي كالبرميل ولو كنت مكبوسًا لغضبت على هيفاء وعلى كل من يخطبها.

وأذكر قصة طريفة قصتها لي إحدى السيدات التي قررت عائلتها مع عائلات سعودية كان أفرادها يقضون إجازة صيفية القيام برحلة مدتها ساعة ونصف لأحد الخلجان الرائعة والنادرة، في العالم فما كان من النساء إلا أن تقاسمن كالعادة إحضار قائمة المأكولات وترامس الشاي والقهوة والمشروبات الباردة وعند صعود القارب ومع أول تحرك له، بدأ النساء في



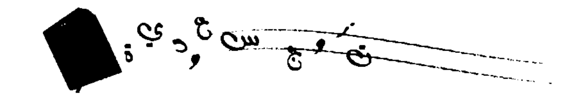
إظهار ما في السلال ويا محمد خذ هذي الكيكة، ويا سعود ذق ها الفطيرة ومن يريد قهوة من يريد شاي ونادوا موضي تراها ما ذاقت شيئًا، ومرت الساعة والنصف في مرح وفرح وهرج ومرج بين الفطائر والمعجنات والمشروبات ومن أكل ومن لم يأكل لكن المفاجأة التي أذهلت العائلات هو بوق القبطان الذي قال لهم: «حولوا خلصت الرحلة».!

فتصايح الجماعة بس حنا ما شفنا شيء!.



السيدة هيه

دخلت إحداهن غرفة انتظار السيدات تحمل معها رضيعاً حديث الولادة ومعها طفل آخر يتعثر في مشيته وطفل ثالث أكبر منه قليلاً بينما بقي ثلاثة آخرون مع زوجها في صالة انتظار الرجال. أخذ الطفل الأوسط يهجم بضراوة على أطفال السيدة المجاورة لوالدته خطف لعبة طفل،دفع عربة طفل آخر بعنف، بينما أخذ الطفل الثالث يبحلق في السيدات وكأنهنّ جئن من كوكب غريب. نادت الممرضة على اسم الصغير (سعود محمد ال....).. نهض الزوج وقف بالباب، وصاح: «هيه».! نهضت السيدة «هيه» من كرسيها تحمل رضيعها وجرى الطفلان خلفها.. أرجو ألا يذهب الظن بكم إلى أن لقب «هيه» هذا كتابة لحرف الهاء مثلاً أو أنه خطأ مطبعي أقصد به «هيا» وهو اسم لأنثى مشهور لدينا بل هو لفظ صوتي على شاكلة «أحم» «أمم» «واووو»، كما أن «هيه» ليس اسم السيدة فقد كان لها يوماً ما اسم، ربما كان منيرة أو مزنة أو وضحى إلا أنها في الأماكن العامة أو بين ازدحام الأقارب والأهل تشتهر بنداء معين هو «هيه»، فتصبح كل سيدة هيه. أما كيف تعرف السيدة «هيه» أنها هي المقصودة دون السيدة «هيه» الأخرى فإن كل سيدة تحفظ عن ظهر قلب، ذبذبة صوت زوجها أو ولدها حتى أنه ما يكاد ينطق باسم «هيه» حتى تهب على الفور إليه. والسيدة «هيه» هذه ، لا بد ،أنها ولدت في زمن غنى لها فيه المطرب السعودي القديم أغنية جميلة مطلعها «شفت الخالة وأعجبتني في مشيتها»



منذ ثلاثين عاماً، تحية منه للسيدات اللواتي حملن حقائبهن ودروسهن نحو مدرسة محو الأمية رغبة منهن في محو أمِّيَّتهن، و تعلم الحروف الأبجدية وقراءة القرآن، على جلسات النميمة والثرثرة في العصاري.. لكن السيدة «هيه» أنجبت «هيهات» صغيرات كبرن في زمن تلاحقت فيه طفرة التعليم والتحضّر بشكل يفوق الوصف فصار في كل شارع مدرسة وفي كل حي مستوصف فغدا بين السيدة «هيه» الأم والسيدة «هيه» الابنة فارق تعليمي كبير. اشتغلت «هيه» الأولى مدرّسة في الثانوية وهيه الأخرى طبيبة وأخرى باحثة في مركز البحوث العلمية، وأخرى دكتورة في جامعة الملك سعود. وكل يوم ورغم أن هؤلاء «الهيهات» يقرأن تقارير صحفية تنشرها وكالات دولية عن تفوق السيدة «هيه» البيولوجي والعقلي وتمتعها بمهارات تزيد أحياناً في جنسها عن الآخر في أعمار وأزمان معينة، كما أنه يوكل إليها بتربية العيال وحفظ المال وترشيد العائلة وتربية النشء الجديد، إلا أن لقب «هيه» ظل يلاحقها في المستشفى وعند حارس المدرسة وفي المطار وحين تذهب لماكينة الصرف الآلي لتسحب من مالها تسمع «هيه ياللّه خلصينا» والأطفال في الشارع بعمر يكاد يقرب عمر أبنائها لا يتورعون يمغازلتها و مناداتها بـ«هيه خذي الرقم» وإذ إن السيدة «هيه» لا تتمتع بأي وجاهة مميزة فيستسهل كثيرون القفز فوق جدارها القصير بالهمز أو اللمز أو بالشك في حضورها وتتحول السيدة «هيه» في الصحافة والتفكير الاجتماعي إلى مشكلة دائمة لتصبح «أم المشاكل» على وزن «أم المعارك» فحين تتجاوز عمر الزواج التقليدي الذي لم يكن يشغل المرأة فيه عمل ولا تعليم تصبح

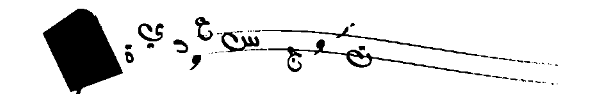
مشكلة عنوستها أولى مشكلات الصحافة، وحين تتزوج يصبح غلاء المهور مشكلة المشاكل فيتدخل المحللون والنافذون للحد من تلك الظاهرة ويتطوع الكثير لتحديد مهر الفتاة،و أغرب ما قرأت في هذا الشأن أن عائلة أعلنت أنها حددت مهور بناتهن فـ«الهيه» البكر خمسة وثلاثون ألف ريال و «الهيه» الثيب خمسة وعشرون ألف ريال على اعتبار أن الثيب بضاعة مضروبة وقد يستطيع أن يستثمر المرء ماله بأن يأخذ اثنتين بخمسين وعلى الرغم من أن المهر حق خاص للمرأة كما جاء في الإسلام إلا أن من يقرر ويخوض بشأنه كل الأطراف عدا السيدة «هيه». بل إن بعض الهيهات يخلصن لهذا اللقب ويجدن الاعتراض عليه ممنوعاً ولو حاولت «هيه» من الهيهات أمثالي الكتابة عن أمور رفيقاتها من الهيهات فأنها توصم بتهمة انتمائها لجماعة تحرير الهيهات وهي جماعة سيئة السمعة لدينا. لحظة من فضلك، أسمع أحداً في بيتنا ينادي «هيه»، عن إذنكم إنهم ينادونني..!!

مصيف ويصفر

فيما يرى الباحثون الانثربولوجيون أن اختلاف اللهجات مادة ثرية في دلالاتها اللغوية يرى كثير من الناس أنها نقيضة في قيمة الآخر المختلف عنا. ولأن اللغة كائن حي ينمو ويكبر ويتلون ويتأثر بالأحوال الاقتصادية والجغرافية لذا ترى كثيراً من اللهجات تتنوع في كل بيئة وسأسوق مثالاً بسيطاً في أسماء الناس التي كانت تميز حتى سنوات ليست بالقليلة البادية عن الحاضرة حيث يكثر لدى أهل البادية أسماء مثل العنود وغزيل ووحشة وقهوة ومزنة ومطر وذيب في حين ينتشر عند أهل الساحل مثل أهل الشرقية والبحرين أسماء مثل دانة وحورية وحصة وموزة وقماشة وهذه الأسماء هي من أسماء اللؤلؤ. وعند أهل المناطق الزراعية في الجنوب تجد في لهجة أهل نجد الصحراوية الاقتصاد والاختصار والمباشرة. ورغم غياب تلك الفواصل الاقتصادية والمناخية بعد نشأة المدن والرخاء الاقتصادي إلا أن الفوارق في اللهجات لم تغب إلى حد كبير واستتبع تعايشها وتجاورها شعور المرء بالانتقاص عند كل من يقلد لهجة الآخر ويثير الحساسية والشك في نواياه. ولا زلت أذكر مرة أنني قدمت لصديقة من منطقة مكة تعيش طوال عمرها في الرياض لقيمات وقلت لها: ذوقي أنها لزيزة على طريقة أهل الحجاز في قلب الذال زاياً. فحدجتني بنظرة متشككة قائلة: ماذا تقصدين؟.

وماذا تقصد؟ هو السؤال الذي يدور في رأس كل من

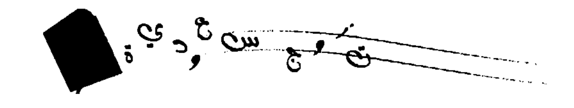
يتعرض للهجة الآخر دون النظر للأمر أنه نوع من الاختلاف وليس الانتقاص وهذا على ما يبدو يرتبط ارتباطاً كبيراً لدينا بعدم قبول الآخر متى ما كان مختلفاً، ولهذا تقع بعض الأعمال الدرامية في الحرج متى لعب الممثل دوراً بلهجة غير لهجته.
ورغم أن موضوع اللهجات موضوع أثير لدي في جانبيه العلمي والاجتماعي إلا أنني لا أود الإطالة عليكم في تحليله وتفكيكه لكنني أظن أن التقاط جوانب اللهجات الجميلة يقتضي منا أذنا نظيفة ووعياً حيًّا بجماليات هذا التنوع وليس التندر، فلو تتبعنا كثيراً من لهجة كبار السن لوجدنا أنها في الأصل عربية المعنى كقولهم: وش لونك؟ ورد المسؤول: طاب لونك. لأن لون المرء دلالة على صحته كما أن بعض المفردات ليس لها معنى لكن معناها في موسيقاها مثل كلمات أهل الخليج كقولهم هذا الشيء (مشنبق) أي جميل ومرتب أو (مشكشك) أما تضاد المعاني عند أهل المناطق الذين اجتمعوا وتجاوروا وذابت بينهم الفوارق الجغرافية لكن ظلت الفوارق اللغوية مادة مثيرة للطرافة والبحث اللغوي كما حدث لذلك الطفل الحجازي الذي ذهب إلى مدرسته متأخراً في يوم شتائي بارد فسأله معلمه النجدي: ليش يا ولد مصيف؟ فنظر الولد لملابسه مستغرباً السؤال قائلاً: أنا لابس شتوي يا أستاذ. أما الفارق في اللهجات العربية فهو أمر يدعو للحذر فلا تدعو لمغربي بالعافية لأن العافية لديهم هي النار، ولا تدعو تونسية بلقب يا شيخة لأن الشيخة لديهم تعني الراقصة. أما بعض الكلمات التي قد يسلم فيها المرء من الوقوع في معناها السيء قد لا يسلم من تهمة الجنون كما حدث مع صاحبنا الذي ذهب إلى لبنان وانقلب



مزاجه وتكدر ودخل فيما يشبه الاكتئاب فذهب لطبيب نفسي لبناني فسأله الطبيب: ماذا اختلف عليك منذ أن جئت إلى هنا، صف لي برنامجك اليومي؟ قال الرجل السعودي: أبداً والله أقوم أصلي الفجر ثم أصفر (وهو يعني نوم الصفرة، حتى تصفر الشمس) فاستغرب الطبيب معتقداً أنه يقوم بالتصفير أي إطلاق (صوت الصفير) سأله الطبيب: كم من الوقت تصفر؟ قال الرجل السعودي: أصفر لي ساعتين فزاد استغراب الطبيب، وقال له: وأين أهلك عنك؟ قال السعودي: يصفرون معي. قال له الطبيب اللبناني: يا عمي شو هيدا وزلاعيمك ما بتوجعك؟ فاستغرب السعودي سؤاله قائلاً: لا ليه يا دكتور أنت ما تصفر؟ قال الطبيب: يا عمي روح عني أنت بدك عصفورية مو دكتور واحد.

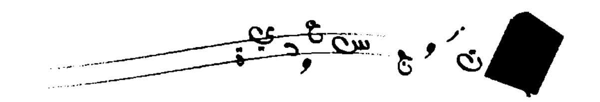
سوتي تفسد الإجازة

قـرأت عبـارة أجنبية تقـول: «إن إجـازة أسبوعين تقضيها مع أطفالك الأربعة تجعلك تحن كثيراً إلى أيام العمل الهادئة» وعلى ما يبدو أن كل أطفال العالم لم يتحولوا إلى قرود صغيرة تمثل علينا وتقفز على كل الأعمدة التي تمر بها. وقد شاهدت في الإجازة ذلك الطفل الأوروبي قامته لا تتجاوز النصف متر وعمره سنتان يتعلق بساق أبيه كما يتعلق قرد بشجرة، وأبوه يتحدث بهدوء ورضا التعايش مع زميل له وهو يجر رجله التي تحمل القرد الصغير والأب الآخر الذي نقابله في كل صباح مع طفليه يأكل الفطور معهم ويتحدث معهم بهدوء، وآخر يبدل لطفله ثياب السباحة دون أن ينعقد حاجباه ويصرخ في وجه أحدهم «أخلص ألبس ووجع» أما بعض آبائنا فلا يجتمع أب وأبناؤه إلا وتسمعهم يتصايحون «يا محمد، يا عزيز، ووجع، أمش، عجل» هذا إذا لم تمتد اليد وتمعط عزيز من كتفه وتجره. وفي السوق يقف الأب بقفه الباب وينادي عياله الذين تشطروا في كل مكان أو بدأوا بلعبة الاختباء بين عربات الزبائن منذ دخل والدهم البقالة مرتاحاً أنهم فكوه من صحبتهم فيما هم يبثون الضجيج في كل مكان. ويبدو لنا أحياناً أن أطفالنا ليسوا مثل هؤلاء الأطفال الهادئين الذين يلزمون أماكنهم في المطعم أو يجلسون في صندوق عربة التسوق الخاصة بالطفل ويديرون حواراً مع والديهم لا تكاد تسمعه. إلا أن الشكوى من الأطفال ليست هي ذاتها في الأيام العادية



فلماذا تتغير طبيعة أطفالنا في الإجـازة بصحبة الأطفال الأوروبيين؟ هل لأننا نواجه السلوك الحقيقي لأطفالنا ونتعرف بشكل حقيقي على مشاكلهم ومشاكلنا معهم؟ أم أن السبب هو «سوتي» تلك الخادمة الذهبية الأميَّة التي لا تقول لنا (لا) أبداً.

فحين يعود الأب من عمله كل ظهر ويأكل غداءه يدخل لينام بعد أن يعلن جملته الشهيرة «أبنام ولا أحد يصحيني!» وقد تلحقه الأم لتهتم سوتي بالأمر وإذا أرادت الأم أن تخرج فما عليها غير أن تقول: «أنا ذاهبة يا عيال عندكم سوتي» وتغلق الباب خلفها. والذي يحدث أن سوتي تفعل كل شيء يرضي الأطفال تجلب لهم كؤوس الماء وهم يشاهدون التلفزيون وقد جعل كل واحد منهم رأسه تحت ورجليه فوق وتمشي وراء الصغير بالأكل تلقمه من الصحن حتى يشبع ويسمن، «لأن الولد ما يأكل يا سوتي» وتلقط الأوراق المتناثرة خلفهم وتحك ظهر الصغير حتى ينام. سوتي تفعل أي شيء طالما ذلك يجعلهم صامتين وتحصل بهذا على رضا مخدوميها. وحين تذهب بهؤلاء الأطفال للإجازة تغيب سوتي ويبدأون بنثر ثيابهم في كل مكان ويقذفون بأحذيتهم في الهواء وعندما تطلب منهم أن يرتبوا المكان ويلموا أغراضهم يصرخون «يعني أنا سوتي؟!» أطفالك يتخيلون أن لا أحد يفعل ذلك غير سوتي فتضطر الأم أن تحل محل سوتي وتشعر أن إجازتها حولتها إلى سوتي والأب صار أيضاً لا يتحمل كل هذه الضوضاء وصار لا يتحمل غياب سوتي، ولهذا يصحب كثير من الناس سوتي معهم حتى لا تتحول الحياة إلى جحيم بدون سوتي. فما هو السبب يا ترى؟ هل لأننا في الإجازة نقابل نمطاً من الحياة جديداً علينا كان أطفالنا قبله كائنات طارئة ظلت



تحت عناية سوتي فلم نكتشف ولم نتعلم كيف نتعايش معهم ومع ثرثراتهم وعنادهم وتسليتهم وحاجتنا منهم وحاجتهم منا وماذا نحب أن يكونوا..؟ أم أن الحق كله على سوتي؟

اشتر الآن!

يصحو صالح صباحاً ويصحو معه عقله الجديد المبتهج كورقة بيضاء تستعد للحياة يسبّح لله كثيراً ويحمد الله على نعمة اليقظة يسكب فنجان شايه ويفتح جريدته اليومية فيقرأ بعنوان عريض «هل تريد أن تتمتع بشاي بمذاق أفضل، مذاق الشاي الجيد، تمتع بقهوة الصباح مع مبيض يجعل نهارك سعيداً»، يسجل عقل صالح الملاحظة الأولى. يخرج ويركب سيارته، يفتح المذياع يسمع صوت فرملة سيارة عنيفة وصوتا يقول «وين بتروح يا محمد؟»، محمد يقول ما سمعت عن العرض الجديد عرض سيارة ألفين بدون دفعة أولى، يسجل عقل صالح الملاحظة الثانية يرن الهاتف الجوال يرد لكنه يكتشف أنه إعلان جديد، يبدأ برنين جوال «استبدل جوالك الآن بجوال» «زوجة صالح تتصل عليه في المكتب»: يا صالح شفت الإعلان على الفرن الجديد فرن يطبخ الذبايح، يقلي، يشوي، يخبز اشتره الآن لكنه يتذكر أنه في عزايمه كلها يحضر الخروف من عند الطباخ والخبز من عند الخباز، يفتح جريدته في المكتب يشاهد السجاد الذي يجعل لبيتك طابعاً فريداً اغتنم الفرصة في الظهيرة يخلع صالح غترته ويقف أمام المرآة يطالع وجهه يمشط شعره يخرج عليه وجه المذيع اللبناني بشعره الغزير الناعم «هل يتساقط شعرك؟ نحن نزرع لك شعرك الآن» يدخل الحمام ويسمع أسطوانة قاتلة الحشرات «نحن نقتلها اتصل بنا الآن» يحلق صالح ذقنه فيسمع الأمواس السعيدة تغني «رغوة

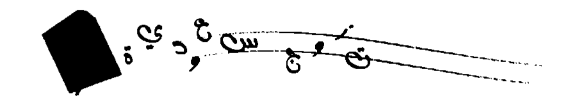
منعشة وبلا جراح اشتراها الآن» وإذا جاء العصر قالت زوجته «يا صالح: زهقانين ! فيسألها صالح: طيب وش نسوي؟» تقول زوجته التي تحولت إلى مذيعة مدربة «إنه مهرجان التسوق الدولي اربح معنا سيارة بقيمة نصف مليون» قبل أن يخرج يرش قليلاً من عطره المفضل فيسمع صوت المذيعة الفندورة يخرج من رذاذ عطره «عطر الإثارة الجديد» في السيارة يصيح عيال صالح جوعانين يا يبه! وش تبون؟ محل الساندويشات السريعة يقدم عرضاً خاصاً لديك فرصة للفوز بسيارة بقيمة ربع مليون يذهبون ويقفون في الطابور ساعة ونصف ينعس الأولاد يتخانق هو وزوجته ثم يأكلون ويكتشفون أنهم حصلوا على جوائز قيمة عبارة عن بالونات واحدة حمراء والثانية خضراء والصغير فاز ببالونة زرقاء وعلبة ألوان «مالنا حظ اليوم» قال صالح «حظنا ردي» قالت زوجته. يطالع صالح ساعته فيسمع صوت المذيعة ذات الأسنان البيضاء وأحمر الشفاه اللامع يقول «اشتر ساعتنا التي كلما نظرت إليها تشعر أن الوقت يمر بسرعة» كنت أريد أن أقول لك يا صالح قبل أن تنتهي الصفحة هل تشتري لأنك تحتاج أم لأنك لا تستطيع مواجهة هذا الزحف الاستهلاكي بحجم العائلة؟ أين ستضع كل هذا هل يكفي مرتبك؟ «اشتر الآن اشتر» صوت المذيعة يقطع الحوار «لحظة يا صالح لم أكمل حديثي» انتهت الصفحة يقول صالح «اقلب الصفحة يا صالح أريد أن أكمل حديثي» في الثانية «اشتر الآن» صالح لم يعد يسمعني صالح «اشتر الآن !!».



التلزيم!

عندما كنت صغيرة كانت أمي تلزمني وأنا أصب القهوة لجاراتها أن لا أعبأ بقول الجارة وهي تنتهي من فنجانها قائلة: (بس) يعني كفاية، وأن أسفَّه الجارة وأصب. ولأني كنت أخجل كنت أنظر نحو أمي لتحل الموضوع عني فتقول: (صبي لها، بعد واحد) فأصب. وكلما قالت: إحداهن بس يعني فقط تقول أمي: بعد واحد، وكنت أشعر بالحرج لأمي لأني كنت أظن أن المرأة تشرب رغماً عنها، ثم عرفت فيما بعد أن هذا ما يسمى بأصول الضيافة لكن حرجي ظل يلازمني،عندما كبرت، فقد فطنت وأنا المتعلمة أن إرغام ضيفة قد تكون مصابة بالسكر أو الضغط أو بالكليسترول أو تتبع حمية صحية على تناول طعام ممنوعة منه أو ملء صحنها عند العشاء بأنواع لا تتناسب مع حميتها قد لا تعود عليها أصول الضيافة بخير، لكني عرفت فيما بعد أن الآخرين هم الذين اتفقوا على قوانين ضيافتهم وسيغضبون منك إن لم تحلف عليهم وتغصبهم وأنت لا تدري هل من المناسب أن تحلف عليهم وتغصبهم، و هل من المناسب أن تحلف عليهم أن يزيدوا في شرب القهوة والعشاء، وإذا همّوا بالذهاب تحلف عليهم (تو الناس وراك مستعجل) أم لا؟ وقد فهمت فيما بعد أن الناس حين تستقبلك وأنت المتكلف عناء لزيارتهم فتقول لك على سبيل المثال (أعوذ بالله يالقاطع وش أنتم عاد هذي جية ما تستحون وبعد تتصلون مثل الأجانب تأخذون موعد) فإن هذا من ضمن المبالغة في الحب

والضيافة الحقة وإذا جئت خارجاً لا يقولون لك مضيِّفوك أسعدتنا زيارتكم مقدرين لكم وشاكرين بل تقضي معهم عشر دقائق،وهم يقولون (تو الناس، اجلس بس،وش ذي الجية وأنت تعتذر: لا والله مرتبط) حتى لو كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً لابد أن تقول لا والله مرتبط مواعد ناس، حتى يفكونك. لكنهم سيلاحقوك بالتهديد الآخر (مهوب عاد ما نشوفكم ترى هالجية ما هيب محسوبة)! وسيكون غريباً أن يكون الناس ألطف ويقولون لك (سعدنا بجيتكم، قضينا معكم وقتاً ممتعاً شكراً لزيارتكم أو شكر لتلبية الدعوة) لأن الضيف سيقول في نفسه (وجع ما صدقوا على الله رحت) لذا ليس عليك سوى أن تحلف حتى لو كنت أنت نفسك مرتبطاً وتقول للضيف (أقعد بس تو الناس) وفي الختام أود أن أختم بعادة لقط الفاتورة في المطعم، والحلف بأن ما يدفع إلا أنا حتى ولو كان صاحب الحلف حالي الجيب، او نسي محفظته، وفي هذا الشأن تذكرت قصة لقريبي الذي كان يدرس الماجستير منذ عشرين عاماً في أمريكا وزارهم صديق لهم فأخذوه إلى أحد المطاعم لتناول العشاء وحين أحضر النادل الفاتورة (تلاقطها) الأصدقاء الأربعة: والله ما أحد يدفع غيري.! فما كان من النادل إلا ركض وأخبر مدير المطعم بأن هناك مشكلة لا يعرف ما هي يحدثها العرب الجالسون إلى تلك الطاولة، فما كان من المدير إلا أن أمر بإقفال أبواب المطعم كلها بالأقفال الحديدية، ثم وقف فوق رؤوسهم كما يفعل رجال الكاوبوي مكتفاً يديه فوق صدره قائلاً:ستدفعون يعني ستدفعون.! لقد ظن كل من في المطعم أنهم يتخاصمون بقولهم: ادفع أنت.



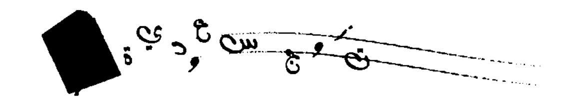
أين القبعة؟!

وصلتني نكته، تقول «كان أحد الرجال المسنِّين يجلس وزوجته مساءً، وقد لاحظ من تعابير وجهها أنها غير مرتاحة وعبوسة، وبعد مرور ساعة من دون أي تبادل للحديث، ألقى الرجل بقبعته المنزلية على الأرض، فقامت زوجته وأحضرتها له، فصفعها على خدها قائلا «شايفتيني معصّب وبتجيبيها كمان»، سكتت الزوجة ولم ترد، وبعد خمس دقائق ألقى الرجل قبعته ثانية فلم تتحرك الزوجة من مكانها، فصفعها ثانية قائلا «ألا ترين طاقيتي صار لها ربع ساعة ع الأرض، شو ضاربك العمى؟» فأحضرتها له أيضا من دون اعتراض على الكف الثاني، وبعد فترة أيضا من دون أي حديث متبادل، ألقى الرجل قبعته ثالثة، فبادرته زوجته بالسؤال أحضرها أم.لا؟...، فصفعها على خدها بشكل أقوى وأقسى من السابقتين وهو يصرخ «لسه إلك عين تحكي، الله يجيبك يا طولة البال، نطأتي، تفذلكتي، علكتي!!».

ذكرتني هذه النكتة بنكته تشبهها، لكنها تنطلق إلى فضاء أعم حول بشاعة استبداد القوة، حيث تسلّط ثعلب في الغابة على قرد، فكلما رآه صفعه على وجهه قائلا: أين القبعة، فاشتكى القرد، الثعلب، إلى الأسد، شعر الأسد بالحرج لأنه لا يقوى وهو الخبير بنشوة امتلاك القوة أن يحرم الثعلب من هذا الحق فاستدعاه ونصحه قائلا: أحرجتنا يا أخي ما يصير!!، فسأله الثعلب: ماذا تقترح؟. فقال الأسد: اسمع، حاول أن

تعطي لتسلّطك معنى وتبريرًا، كأن تطلب من القرد أن يحضر لك تفاحة فإذا أحضر لك تفاحة حمراء، اصفعه وقل له لماذا لم تحضر لي خضراء وهكذا!، وافق الثعلب وذهب، فمر القرد من أمامه فناداه: تعال هنا يا قرد، احضر لي تفاحة!. فسأله القرد: حمراء أو خضراء فصفعه الثعلب وقال: أين القبعة ؟!.

سيطرت هذه النكات عليَّ في موضوع ينفطر له القلب حزنا، لأنني لم أعرف ماذا أقول للقارئة للسيدة (ل) التي بعثت لي بقصتها الشخصية تشكو فيها من قاض، قدمت له طلبا بالانفصال عن زوج، أقر أمام القاضي بصحة كل العيوب التي اتهمته بها، إلا أن القاضي أقر لها بحق الخلع، وليس طلاقا بحكم قاض يلزمها برد ثلاثين ألفا كاملة، لكنه لم يحرص بعد ذلك على ضمان نفقتها ونفقة أبنائها، مثلما ضمن للزوج «المعيوب» نقوده، وهي اليوم تناضل لترعى أربعة أطفال، رغم أنها من دون عمل ولا تعليم، علما بأن الزوج يساهم بأسماء أولاده التي تعيلهم هي ويتكسَّب من وراء أسمائهم المدونة في بطاقته العائلية في عمليات الاكتتاب، ورغم تقدمها بالشكوى لمدير البنك وإشعاره بتفاصيل القصة، إلا أنه لا أحد يقوى على منع رجل من أن يستبد، لكنهم يستطيعون بنص قانوني منع الأم من المساهمة مثلا باسم أولادها الذين تعيلهم، فمَن الملام في قصص الثعالب تلك؟!.



أسماؤنا عناوين بريد

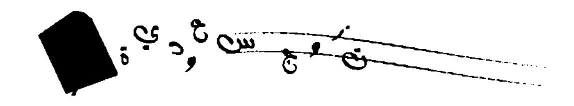
لي صديقة كلما قابلتها سألتها عن اسم ابنتها الكبرى، أذكر أنه جميل لكنه، عصي على التذكر وكانت على الدوام تخبرني به وأنسى، وهكذا وجدت نفسي في دائرة غامضة لاسم غامض. لدى الناس رغبة مشروعة في التجميل، تبدأ من أسمائهم لكنني أظن أن أسماءنا هي عناوين بريد لا يجب أن تكون غامضة ويصعب العثور عليها كما في مدينة الرياض.

والناس تسمي أبناءها وفق طريقتين لها ثالث ورابع بلا شك، الأولى من يعجبه موسيقى الاسم في الأذن بغض النظر عن معناه، لذا تجد أسماء كثيرة لو سألت أصحابها عن معناها لأجابوا بأنهم لا يعرفون، ولا شك أن اسم (يارا) مثلا هو أشهر الأسماء التي لايعرف أصحابها معناه، مرة يقولون جبل في فارس ومرة محطة بين القريات وعرعر، وكل من تاه عن معنى لاسمه عليه أن يلجأ للمعنى الشهير للبنت غزال صغير وللولد صقر. قريب لي وجدته عازمًا على تسمية ابنته باسم وجده على لوحة إعلانات وأعجبه فسألته عن الاسم فقال لي (رينام)، فأوضحت له أن الاسم هو ريناد بالدال وليس بالميم، وهناك من يتحرى المعنى لاسمه، لذا فإن اسم نورة يظل اسمًا لا منافس له، وهناك من يسرف في تسقّط الجمال، فيقع في أسماء شديدة الزخرفة تكاد تصلح لأي شيء إلا للبشر مثل صغيرة قابلتها اسمها (أوركيد)، ولا أظن أن هناك أجمل من أسماء الورد لكن (الأوركيد) في ظني اسم لا يصلح لاسم طفلة

صغيرة،وهناك من يحب أن يحصر نفسه في سلسلة من أسماء تبدأ بالحرف ذاته على شاكلة فيلم إمبراطورية ميم للفنانة فاتن حمامة فيسمي العائلة كلها بأسماء تبدأ بالحرف نفسه، وقد قابلت سيدة تسمي بناتها غيداء وغدي وغدير فخفت عليها أن تشرق بحرف (الغين) كلما نادتهن تباعا. وبعض الآباء يبحث عما يدعم اسماً وافق هوى في نفسه، فيستند إلى ورود الاسم في القرآن مثل اسم (سجى) الذي ورد في الآية الكريمة و(الليل إذا سجى) ولاشك أنها تأتي في هذا السياق بمعنى (أظلم) والناس تهفو إلى الأسماء المضيئة لا المظلمة، وذلك الاسم الذي منح لصغيرة هو (إرم) على اعتبار أنها مدينة قديمة ذكرت في القرآن، دون أن يفطنوا إلى نهايتها المؤلمة!!.

بعضنا يكبر وهو لا يحب اسمه مثلي أنا، وحين يكبر يجد أن اسمه أحسن من اسم غيره، فيحمد الله على ما أصابه، لهذا أقترح على الآباء، والحال ما هي عليه، أن يتركوا أبناءهم بلا أسماء أو بأسماء مقترحة، حتى يكبروا ويجدوا لأنفسهم أسماء يحبونها، فقد وجدت أن أول ما يفعله المراهقون، في مطلع ثورتهم العارمة على العالم، هو الانقلاب على أسمائهم، مثلما فعل مراهق اسمه طارق احتج على اسمه وغيره إلى محسن، وشاب وجد اسمه غريبًا بين الأسماء المحلية فأحرجه، فغيره من سامر إلى سليمان، ولهذا فإنني أقترح على دائرة تسجيل الأسماء، أن تترك هامشا مرنا لمن ينقلبون على أسمائهم خاصة من الشباب الصغار لينشغلوا به عن الانقلاب علينا في الشوارع والبيوت.

أما أكثر الأسماء التي مرت عليّ إزعاجا فهو اسم ذلك



اللاعب الصومالي الـذي كلما زعق المعلق باسمه قلت في نفسي: أعانه الله. كان اسمه جاك ضيوف!!!.

زائر من زحل!

دخل عليّ زائر من كوكب زحل شمال شرقي درب التبانة، وعلى وجهه وعثاء السفر. قال وهو يلهث: عندي سؤال وفتح جهازا مثل الكومبيوتر الجوال موصول برأسه، قلنا له: استرح يا أخا زحل، فالضيافة ثلاثة أيام، وطلبنا له قهوة، شكرني وقال: نحن في زحل قلَّصناها إلى ثلاث دقائق، ففي ثلاثة أيام تسقط حضارات وتقوم. قلنا له: حسنا لا نريد أن نضيع وقتك، اسأل. قال: إني مبعوث من (مركز دراسات الكواكب النايمة)، أجري بحثا عن قضية طال ترددها لديكم، ومنعت رقادكم وزادت من سهادكم وشغلتكم عن تخطيط مستقبلكم، يدور حول مطالبكم بإدارات خاصة بالمرأة، وأقسام خاصة بالمرأة، ووزارة خاصة بالمرأة، ومجلس أعلى خاص بشؤون المرأة، ومستشفيات خاصة بالمرأة، وتعاظم شأن المرأة لديكم أصابنا كمراقبين للشؤون الخارجية للكواكب بالحيرة، فأرسلت كمبعوث لجمع معلومات عن هذا الكائن الذي أثار كل هذا اللغط لديكم، من هي هذه المرأة التي تعد لها كل هذه العدة، وتفصل وتحاط وتحاصر ويصبح كل شأن لها بمعزل، هل هي كائن جاءكم من كوكب غريب له مواصفات لا تشبه مجتمعكم أم أنها معاق يستوجب عناية خاصة، بسبب ليونة أعضائه وسرعة عطبه وهشاشته، أم أنها وحش يحذر الناس منه فيحددون له خطوطا حمراء وأقفاصا، ليطلقوا الرصاص عليه حالما يتخطاها؟!

قلت له: على هونك يا زحلاوي، بعدت كثيرا، فالمرأة من

طراز محدثتك سيدة لها عينان ورأس، وتنجح في امتحانات الرئاسة العامة لتعليم البنات كل سنة، مثلما ينجح الذكور، بل إن نسبة النساء من خريجات الجامعات السعودية بلغت ستين في المائة!

سألني المراقب: إذن لماذا كل هذه الضجة واللجة ونساؤكم منكم وفيكم؟! شعرت بالحرج الكبير ولم أجد ردا إلا ما أسمعه ممن حولي. قلت: إن ربط النساء على الدوام بوزارة ومنهج وكتاب وشارع ومحل ومطعم وسوبر ماركت نسائية، لأن النساء هن الأقدر على فهم النساء!

فلم أزد المراقب بتوضيحي إلا غموضا، فسأل: وما الذي يستدعي فهما خاصا يتعذر فهمه بشكل عام.. هل شؤون المرأة غامضة إلى هذا الحد؟ هل وزارة التخطيط تحتاج لفك شيفرة رغبات النساء وحاجاتهن لتخطط مستقبلهن وتدريبهن واشراكهن في خطط التنمية؟ هل وزارة الصحة تعجز عن فك شيفرة أوجاعهن من انفجار المرارة والجلطات والوعكات بغير دواء يصلح للبشر؟!

قلت له: ربما يا سيدي المراقب، ألم تسمع بمقولة شاعرنا الرومانسي: «المرأة بحر غامض كبير»؟!

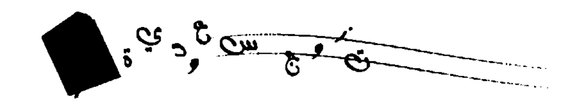
قال: بلى، وسمعت أيضا مقولة شاعرتكن الكبيرة الرومانسية «إنما الرجل طفل فدلليه، وخذيه على قد عقله!»، ولكن ما شأن الشعراء بالجاد من الأمور، هل تعتمدون على الشعراء في التخطيط لحياتكم؟!

قلت له: أرجوك لا تنتقص من قيمة شعرائنا، فلدينا شاعر استوزر على أربع وزارات أكثر من خريجي العلوم التخطيطية!

قال: صحيح، ولكن حسب ما يصلني من قناة الحرة الخاصة بكوكبنا، فان شاعركم هذا استوزر بشهاداته في الاقتصاد والقانون الدولي وخبراته العلمية الناجحة، وليس بسبب قصائده، ثم أنه الوزير الوحيد الذي يتحدث بلغة الأرقام تقريبا، وليس بأبيات الغزل، وهو الذي قال أيضا إن نسبة مشاركة نسائكم التي تزعج رقادكم وسهادكم وتشغلكم، لا تساوي في سوق العمل حسب مصادركم المحلية 17%، وفي المصادر الخارجية لا تتجاوز 5%.

اسمعي يا بنتي، إن تنامي النظر إلى النساء بمعزل عن المجتمع سيكرس غربتها عنه، فلا يعود المجتمع ينظر للآخر بأنه على قدم واحدة من التساوي والتعادل والاحترام.

نهض زائري ووضع فنجان القهوة، ثم قال وهو يركب سفينته الجيب اليابانية، قائلا: إنني أحذركم، إن كان اليوم الرجال هم أصحاب الغلبة لعزل النساء عن المجتمع وإعلاء شأن الذكور، فتذكروا مجتمع اسبرطة الأغريقي الذي كله نساء، يحكمنه بأنفسهن، وحالما يرزقن بذكر فان أمه تصيح: احضري السكين يا فهيمة! وقد قالت المرحومة ذكرى قبل يوم من مقتلها «يوم لك ويوم عليك مش كل يوم معاك!».

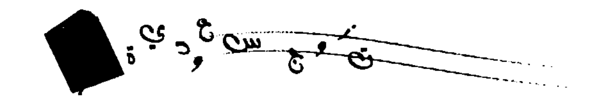


اصنع فلسفتك الكسولة بنفسك

هناك فرق بين الكسل كفلسفة والكسل كحالة. فالكسل كحالة تعيشه لكنك لا تختاره، إنما الكسل كفلسفة تختاره بحرية تماما مثل ذلك الشاب في القصة العربية الذي كان مستلقيا على ظهره في حقل فمر به رجل قال له: لماذا لا تذهب لتعمل في حقلك وتزرعه فسأل الشاب ثم ماذا قال: ثم تحصده قال الشاب ثم ماذا قال ثم تأكله قال الشاب ثم ماذا قال الرجل ثم تستريح فقال الشاب: حسنا ها أنا أستريح فالشاب على ما يبدو يختصر الحياة ويأخذها كما يقولون من قاصرها. أما نكات الكسل والتي تستقصد بلدًا عربيًا فتقول إن رجلاً من هناك ذهب لعمله ماشيًا ثم عاد فسأله حارس العمارة: لماذا عدت يا زول؟ قال تذكرت أن إصبع رجلي الصغيرة تؤلمني..! هكذا يعيش الناس في حالة من الكسل يسميها في بعض الأحيان راحة وبعضهم يسميها قناعة وبعضهم يسميها ترفاً

أما جيروم جيروم الكاتب البريطاني الذي كان كتابه «أفكار تافهة لرجل كسول» فإن فلسفته عن الكسل هي أذكى فلسفة قابلتها، إنها وصف لحالات الكسل اللذيذ وسط زحام العمل كما كانت صديقتي في الثانوية تقول بأن حتى نشرة الأخبار يصبح لها طعم مختلف في الامتحانات، أما جيروم فيقول «إنني أحب الكسل عندما لا يصح أن أكون كسولا لا عندما يكون الكسل هو الشيء الوحيد أمامي، فمن المستحيل أن تتمتع بالكسل كما يجب دون أن يكون لديك عمل كثير. ليس

ثمة متعة في ألا تفعل شيئًا إن لم يكن لديك أصلا ما تفعله، إن تبديد الوقت سيكون مجرد تأدية واجب وسيكون مرهقا، الكسل كما القبلة لا يستحب الا خطفا» وها أنا اختصر موضوع الكسل لأنني لم أستطع أن أقاوم الأسلوب الذي يكتب به جيروم عن الطقس، أما لماذا يكتب عن موضوع مثل الطقس فهو يقول إنه عندما حضرت خادمتهم المسز كاتنج وهو يذكر اسمها لأنها لا تهتم بقراءة الكتب التافهة مثل كتابه فهي لا تقرأ إلا مجلة الأخبار الأسبوعية فقط - سألها: إنه يريد أن يكتب عن موضوع يروع العالم عند ظهوره، موضوع لم يسبق أن كتبت عنه كلمة يلفت الانتباه بجدته وينعش بطزاجته المدهشة، قالت له الخادمة: اكتب عن الطقس إنه هذه الأيام مريع، فيكتب جيروم مقالا طويلا يضعه من ضمن مقالات الكتاب عن الطقس كيف أن الناس ترى أن الطقس مثلا كالحكومة دائما على خطأ، في الصيف نقول إنه خانق وفي الشتاء نقول إنه قاتل وفي الربيع والخريف نجد عيبه أنه لا هذا ولا ذاك. فاذا مر ديسمبر ولم يسقط الثلج تساءلنا ناقمين عما حدث لشتاءاتنا الجميلة الماضية كما لو كنا خدعنا في شيء اشتريناه ودفعنا ثمنه وإذا سقط الثلج تلفظنا بألفاظ قبيحة لا تليق بأمة لها أخلاق ولن نستريح حتى يصنع كل منا طقسه بنفسه ويدكنه لنفسه، أما عن مظلته التي ذهب لشرائها فقد سأله البائع: أي نوع يريد؟ فيرد: أريد مظلة تحمي من المطر ولا تسمح لنفسها أن تنسى في القطار. فيعطيه البائع مظلة أوتوماتيكية تفتح نفسها وتغلق نفسها بنفسها لكن جيروم يقول عنها إنها عندما يحاول فتحها عندما تمطر تعانده ولا تنفتح رغم كل الشتائم التي يطلقها



عليها فـإذا توقف المطر انفتحت ورفضت أن تغلق نفسها وتجعله كالمختل عقليًا يفتح المظلة والسماء ساطعة ثم إنها تقفل نفسها على نحو فجائي غير متوقع فتطير قبعته ليلحقها فيلحقه كلب بالقرب منه يظن أنها لعبة. يجب أن أتوقف ولولا خوفي أن تستغيثوا مني ومن جيروم لسردت المزيد. أود ان أذكّركم أن الكتابة عن الطقس والكسل هي أفضل الكتابات التي لا تجلب لرأسكم صداعا ولا لقلبكم وجعا. وبدلا من أن أعدد لكم الأوجاع الأخرى جربوا طعم نشرة الأخبار ومشاهدة الأفـلام ولعب الـورق فيما تتراكم على رؤوسكم الأعمال لكن فقط لتلمسوا فلسفة الكسل لا أن تعيشوها مثل صاحبنا الزول الذي جاءت زوجته من الخارج فطرقت الباب قال لها ادخلي قالت الباب مغلق افتح الباب فقال الزول: إذن اذهبي أنت طالق قالت الزوجة: خلاص سأخرج المفتاح من الشنطة!!..

الخروج عن النص

* أرادت المعلمة أن تخرج عن النص العلمي وتشاغب عقول البنات لإثارة جو من الحماس فسألتهن من هو رئيس الولايات المتحدة؟

أجابت واحدة من البنات:

كلينتون.. يا أبلا (في ذلك الوقت كان الرئيس بالفعل هو كلينتون)

قالت المعلمة: خطأ..! فظنت طالبة أخرى أن الأمر له علاقة بجملة مفيدة فقالت: رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو السيد بيل كلينتون وزوجته هي السيدة هيلاري كلينتون!

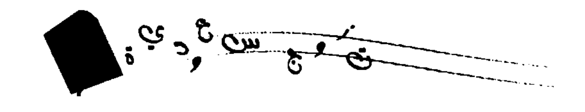
قالت المعلمة: خطأ.. خطأ!

كتمت البنات أنفاسهن بانتظار القنبلة التي ستصحح الأوضاع.. قالت المعلمة: أنه.. بوش(تقصد بوش الأب)

تنفست البنات الصعداء على طريقة (حسبنا عندك سالفة) وقلن لها: لا يا أبلا خبرك قديم بوش راح! وجاء بعده كلينتون وكلينتون هالحين بيروح بعد الانتخابات الأخيرة..!!!

قالت المعلمة: هاه.. صحيح.. والله!!

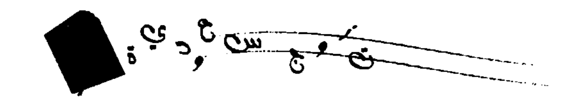
وعرفت هذه الحادثة بما يسمى بكارثة الخروج عن النص وقد كان هذا جزاء كل من يخرج عن النص. وعلى الرغم من أن الخروج عن النص مهارة إلا أنها مهارة تتطلب سعة المعرفة والاطلاع والتواؤم مع روح العصر. ويفيد النص كثيراً الخروج عنه لجلب ما يحركه ويحييه إلا أنهم في مدرسة ابني أرادوا



ولا أعرف من المسؤول الخروج عن النص في مادة السلوك والتهذيب التي هي مادة على ما يبدو ليست في النص المنهجي كتب هذا السؤال: كيف تعامل الخادمة والسائق في منزلك؟ الإجابة احترمهم وأعاملهم كوالدي. ومصيبة لو رأى الولد أن والديه الحقيقيين يضربان ويهينان والديه الآخرين بتزكية المدرسة. أما في مصر فأراد معلم أن يخرج عن النص في مادة التعبير التي تدور موضوعاتها حول حب الأم والنظافة ونزهة للبر فجاء السؤال في الامتحان: تخيل نفسك لصًّا واكتب خطة محكمة عن السطو على منزل؟! (الله لا يربحك خير يا معلم اللصوص!)

ترى هل كان المدرس يكشف دون وعي عن شخصيته. أم أن هذا جزاء كل من تسول له نفسه ويخرج عن النص ولهذا فالخروج عن النص هو خروج مرفوض. أما الخروج عن النص الكبير ففي حادثة فصل وزارة المعارف في بلد عربي مدرساً للرياضيات بعد مضي خمسة وعشرين عاماً من تدريسه لمادة الرياضيات لاحظوا رياضيات وليس تعبيراً أو خطاً أو رسماً بعد أن اكتشفت الوزارة أنه قام بتزوير شهاداته وأنه كان سبّاكاً قديماً. ترى ما هي المشكلة بعد أن خرج هذا المعلم أجيالا كثيرة من الطلبة على يديه. وهي واحدة من اثنتين أما أنه معلم قدير سخّر عقله من تفاهات الشهادات العلمية كما لدى أينشتاين الذي كان يرسب في جميع المواد عدا الرياضيات أو أن العملية التعليمية في بلادنا العربية تستطيع أن تمشي أمورها في المدرسة بالسبّاكين وعلى الوالدين إصلاح ما يقصر عنه السبّاكون في البيت بالدروس الخصوصية. وعلى كل حال فإن

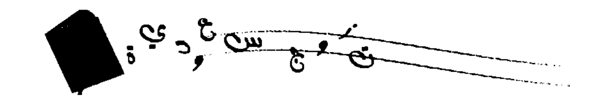
مشكلة الخروج عن النص ستبقى مشكلة كبيرة ويبقى الإخلاص للنص الميت في موضوعات التعبير التي لا تتجاوز اكتب عن «نزهة في البر» أو «رحلة الصيف» هي من الأمور الآمنة التي يمكن أن تسبح فيها دون التعرض لخطر الخروج عن النص فيكتشف الآخرون أنك مجرد سباك أو جزار أو ميكانيكي أو لصّ مع احترامي الكامل لجميع المهن وما انتقاصي هنا إلا في تزويرها أما إذا وجدت مخرجاً جيداً عن النص فستصبح فيلسوفاً لكن عليك أن تتعلم كيف تحمي رأسك من رمي الحجر.



تخلص من أصدقائك الخمسة

تظل صرخة قيصر الشهيرة: حتى أنت يا بروتس عنواناً لغدر الأصدقاء الذي يمتلئ التراث الإنساني العالمي بالحديث عنهم، ورغم أن الصداقة واحدة من أجمل العلاقات الإنسانية إلا أن ما يشتهر عنها، هو صرخات الندم والحسرة والغدر مما جعل الصديق الوفي من نعم الدنيا النادرة، وجعل الحكيم القديم يصرخ (يا أصدقاء لم يعد هناك أصدقاء!!) ويعرض نيتشه في حديث له عن الصداقة أن الصداقة التي يعرف فيها الصديق كل شيء عنك وبعمق مصيرها التفسّخ والانكسار لأن الرجل يصاب بالجراح حتى الموت حين يفكر أن هناك من يعرف عنه كل شيء، لأننا في الأصل وجود لعالم خاص غير مستقر من الآراء والأمزجة ولهذا نحتقره بعض الشيء ولا يعجبنا، وفيما يقبل الرجل الصداقة بشروط التحفظ والابتعاد عن الحميمية ترفض المرأة مثل هذا التحفظ وتعتبره غموضاً يسير في اتجاه ضد الصداقة ولهذا في ظني يسهل على النساء تبادل الأسرار منذ الوهلة الأولى في أول لقاء ويصبح مقبولاً الحديث عن كل شيء معهن من الجراح والشكوى حتى والأفراح. وقد أصبت بالدهشة الكبرى وأذناي تلتقطان يوماً وأنا أمشي في الطريق، سيدة تتبادل هي وجارة لها في المقعد لا تعرفها، أحزان حملها الثالث ببنت والزوج الذي غضب عليها جمعة!. لا أعرف كيف تدور الصداقات بين الرجال لكنني أعرف جيداً أن النساء في كل مكان في العالم تتحول صداقاتهن، إلى طبخة، تضاف

إليها كل النكهات الممكنة، فالنساء في صداقتهن يتبادلن كل شيء، ويصبح من حق تلك العلاقة المتشابكة أن تأخذ مثلما تعطي، وإلا أصيبت العلاقة بالموت، وتقول إحدى الدراسات التي قامت بها جامعة أمريكية إن النساء يتبادلن الأشياء الشخصية مع صديقاتهن أكثر من الرجال وبالتالي فإن رأي صديقاتهن مهم في كل شيء في حياتهن، رأيهن في زوجها، في ثيابها، في بيتها، وربما لهذا السبب تصاب صداقات النساء بالعطب أكثر مما يحدث للرجال، وتهدي هذه الدراسة نصيحة للنساء عن الصديقات اللاتي عليهن أن لا يصادقنهن وهن خمسة أنواع: الأول ما أسمته بمصاصة الجهد على وزن (مصاصة الدماء) وهي تلك الصديقة التي تستهلك منك كل الجهد والوقت الثمين حتى الجفاف وهي تتحدث طوال الوقت عن مشاكلها، فهذه الصديقة تستحق أن تقطعي لها ورقة خروج دون عودة، النوع الثاني: (السيدة لماذا أنت وليس أنا؟)، فإذا كنت من النوع الذي لا يكره أن يكون أصدقاؤه ناجحين فإن هذا النوع يكره ذلك!، الصديقة الثالثة: هي الصديقة الباكية (النقاقة) طوال الوقت، فهي تكره رئيستها في العمل وتكره زوجها وبالتأكيد هي تكرهك أيضاً فلماذا تضيعين وقتك؟.. «اهربي»!! الصديقة الرابعة (المتشائمة) التي ترى على الدوام نصف الكأس الفارغة، ما عليك إلا أن تعملي لها حفلة وداع.! الصديقة الخامسة: (التافهة) تلك التي دائمًا تبحثين لها عن أعذار أمام الناس، وقد اختارت أن تكبر المخدة لتنام فلماذا تنامين معها..!!! لا أدري إلى أي حد تنطبق تلك الأوصاف على صداقات الرجال لكنني، أهنئ كل من يبقى لها بعد حذف هؤلاء، صديقات!



أخطاء مطبعية

يعتذر بعض الصحف عن بعض أخطائه المطبعية التي لا يكاد يلتفت إليها أحد وقد تفعل ذلك من باب المجاملة لمن ورد الخبر بشأنه أو الإعلان ويشكو بعض الزملاء والزميلات من وقوع خطأ مطبعي في كلمة أو حرف يقلب المعنى، ولعل موضوع الأخطاء الصحفية من أطرف الموضوعات وأشدها ارتباطا بالمثل القائل شر البلية ما يضحك، خصوصاً إذا بلغت تلك البلية فصل رئيس التحرير أو سحب كل أعداد الجريدة من السوق أو اختفاء رئيس التحرير في رحلة طويلة الأمد، ويمكن بغير رجعة، خصوصاً إذا كان الخطأ من الوزن الثقيل على وزن خطأ جريدة عراقية أتخمتها ألقاب القائد البطل الفذ صدام حسين فكتبت مرة تحيي القائد بعبارة (نحيي القائد الباطل الفظ) بدلاً من (البطل الفذ)، وقد جمع الأستاذ منذر الأسعد في كتابه الطريف طرائف الأخطاء المطبعية والصحفية عن كثير من الأخطاء التي شاعت في بعض الصحف لعل زملائي يجدون فيها حمدًا وثناء على ما هم فيه من باب من شاف مصيبة غيره هانت عليه مصيبته، فقد ورد خبر عن وزير يجمّل المدينة بأن (الوزير الفلاني يضع حجر الأساس لمشروع تجهيل المدينة) بدلا من (تجميلها)، وخبر يقول (مجلس الوزراء يجتث حقوق عمال السكة الحديد) بدلا من (يبحث حقوق عمال السكة الحديد) أما الخبر المدوي فهو (الرئيس المدمن يتضاءل بالبيض المحلي) والصحيح هو (الرئيس

المؤمن يتفاءل بالبيض المحلي)، وفي خبر لزيارة وزيرة دولة استقبلها وزير الدولة المضيفة كتبت الجريدة تقول (الوزير الفلاني يختفي بالوزيرة الزائرة) والصحيح هو (يحتفي) وليس (يختفي)، وأخذت صحيفة عربية تمجد قوتها العسكرية وتستعرض عدد جيشها فكتبت (إن الجيش بلغ أربعين ألف جني) بدلاً من (أربعين ألف جندي) ولو صدق العالم الخبر هكذا لبلغت هيبتهم الآفاق، خصوصاً أن الجن لا يتأثرون بالنووي، أما سكرتير جريدة الأخبار المصرية في عهد الرئيس عبد الناصر فيروي أنه بعث إلى المطبعة خبرين الأول عن مصرع محمود سليمان أمين السفاح الذي روع مصر ووصول الرئيس عبد الناصر للهند فظهر الخبر (مصرع السفاح عبد الناصر في الهند)، ولا أدري حتى اليوم من مات قبل الآخر عبد الناصر أم سكرتير جريدة الأخبار، وعن إضراب طلاب الإسكندرية المنتهي نشرت الصحيفة المعنية خبرًا يقول (كلاب الإسكندرية ينهون إضرابهم) بدلا من (طلاب الإسكندرية ينهون إضرابهم)،..!!!!

و كتبت الأهرام عنواناً لأحد مقالاتها يقول «الأهرام تثني على عمة الشيخ الخضري الكبيرة» (بدلاً من تثني الأهرام على همة الشيخ) والمصيبة أن عمة الشيخ كانت كبيرة فعلا، أما خطأ خبر جولة وزيرة الشؤون الاجتماعية التي ذهبت في مهمة عمل إلى كفر الشيخ فقد كان فيه من «البياخة» الكثير فبدلا من أن يكتب «حكمت أبوزيد تتجول في كفر الشيخ» جاء «حكمت أبوزيد تتبول في كفر الشيخ»،

وفي خبر قديم نشرته الصحافة المصرية عن سلطان

باشا الأطرش الذي جاء راكباً جواده جاء الخبر سلطان باشا راكبا جرادة، وبدلاً من استقبل الملك فاروق ضيوفه في قصره العامر جاء الخبر استقبل ضيوفه في قصر العاهر، وفي حفل استقبال إحدى الكليات لحرم معالي الوزير لترعى حفل طلاب الكلية جاء الخطأ «استقبلت الكلبة حرم معالي الوزير أفواج الطلبة والطالبات والصحيح استقبلت الكلية».

ونشرت إحدى الصحف برقية رسمية في معرض تبادل رسائل بين الرؤساء مع رئيس دولة أخرى نشر نصها يقول «وأضرع إلى الله العلي القدير أن يمن عليكم بـ (الشقاء) العاجل بدلاً عن (الشفاء العاجل)»، ونشرت الصحيفة إعلانا يقول «يسر الشركة أن تلعن عملاءها الكرام» بدلا عن «تعلن لعملائها الكرام»، ومرة وصل إلى الجريدة خبر موت شخصية هامة في البلاد في اللحظات الأخيرة لصدور العدد فكتب رئيس التحرير خبر نعي «مات فلان أسكنه الله فسيح جناته» وكتب على جانب الخبر «إن كان له مكان» يقصد الخبر، فنزل النعي (مات فلان أسكنه فسيح جناته إن كان له مكان). وبمناسبة أخبار الموت فقد فوجيء الفنان فريد شوقي وهو يتفرج على التلفزيون المصري بالمذيع وهو يقول: انتقل إلى رحمة الله الفنان فريد شوقي، وقد علق فريد شوقي على الخبر بأنه بروفة، على عكس نوبل مخترع القنبلة الذي وقع حمل خبر موته الخاطيء بأفضل تصحيح فعد هذا الخطأ من أفضل الأخطاء التي ننصح الصحف بتجربتها، حيث فوجيء نوبل وهو يقرأ في أحد الصحف خبرًا خاطئا يقول بأن نوبل مات وقرأ بعده سيلا من الشتائم التي انهالت عليه على اعتبار أنه مدمر البشرية

ومخترع القنبلة التي أفنت البشر في حروبهم العالمية وأهدى البشر شقاء لا نهاية له وحين قرأ بأم عينه ما لم يجرؤ أحد على قوله في وجهه وهو حي، هالته صورته البشعة، فقرر أن يصحح خطأه بتخصيص جائزة عالمية للسلام والآداب أصبح الناس يعرفونه بها، ونسي كثيرون إنه هو مخترع القنبلة

يا شين العجلة!

روى أحدهم والعهدة على الراوي أن سعوديًا من الذين لم يروا زوجاتهم إلاّ ليلة العرس أو في يوم خطبة مشهود، يقف فيه اثنان من إخوانها على رأسه يبحلقون فيه ويحسبون طول النظرة ومقاسها وسعتها، والشاب يجلس كسيفا يعرف أن كل نظرة منه محسوبة عليه ويسألونه بعد وقت يظن العريس أنه يدخل في زمن الثواني: هاه شفت ولا ما شفت؟. قم رح بيتكم. وحياكم الله الخميس الجاي لعقد القران.

فيخرج الشاب من المجلس وقد عرف أن هذا الكلام نوع من التهديد له لكي لا يتراجع، فحدث نفسه طوال الطريق يعزيها:

شفتها ولا ما شفتها؟!.. هاه والله يمكن أني ما شفتها، النور كان في وجهي، وأخوها الصغير أشغلني بكثرة الأسئلة: وين تدرس؟! كنت شاطر في المدرسة؟! وش تحب تصير إذا كبرت؟!، يا بن الحلال البنت زينة! يا بن الحلال يعني زينة ولا شينة أنت بتتصور معها، المهم الأخلاق، أمك تقول بنت أجاويد، عيونها سوداء ولا خشمها طويل، يا بن الحلال العرس فيك فيك وين تروح؟! والحريم كلهم في الأخير غثاء أعرس بس يابن الحلال واخلص من أهلها، ومن وأمك اللي كل يوم تقول لك يا وليدي أعرس، يا وليدي خلني أشوف عيالك، يا ولدي خلنا نخطب لك!.

وحين يصل الشاب إلى والدته، تهرع إليه أمه تستبشره:

هاه بشر أعجبتك البنت؟!.

فيجيب الشاب وهو زائغ العينين منهك القوى:

هو أنا شفتها زين؟!.

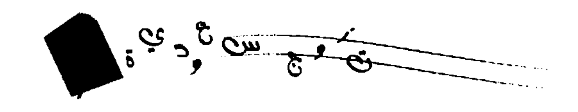
فتجيبه الأم تحثه: يابن الحلال توكل على الله البنت بنت حلال؟

يقولون والعهدة على الراوي إن هذا الشاب سافر، لقضاء شهر العسل في بيروت، فمرت في الشارع عليه نساء ملونات، أشكالاً وألواناً وموديلات، فأخذ ينظر تارة لوجه عروسه وتارة لامرأة في الطريق، ثم صاح من حر ما في قلبه:

«يا شين العجلة»!. فذهب قوله بين الشباب السعوديين مثلا بين الرجال في مجالسهم وفي حواراتهم مع زوجاتهم، فحين تسأل زوجة زوجها: ماذا قلت؟! يجيبها: أقول يا شين العجلة!.

هذا اللقب الفخري الذي منحه بعض الأزواج لزوجاتهم أصبح يثير شهية توليد المعنى وتفجير اللغة إلى عدة معان ضبطتها في رسالة هاتفية وصلتني من زوجي تبين سوء الحال الذي لحق بنا نحن الزوجات من هذه الملكة الإبداعية الوحيدة والنادرة، عند الأزواج ومهارة توليد المعنى في معان مجازية بلاغية!.

رسالة زوجي المتبرم تقول: «إن ألقاب الزوجات التي يخزنها الأزواج في هواتفهم الجوالة تحت اسم الزوجة هي: «المحقق كونان»، «يالله عسى خير»، «تعال للبيت»، «هات»، «الورطة»، «المقاضي»، «هيش»، «الغلطة»، «بسم الله»، «البلية»، «ودني لبيت أهلي»، «الشرطة»، «حسب الله بتاع ريا وسكينة»،



«النشبة»، «صاحبة السلطة»، وبعد قائمة الألقاب يأتي السؤال الأخير: «يا ترى أنت وش مسميها»؟.

قام زوجي بالرد مستخدما مهارته الفنية ومعرفته الضليعة باللغة، ومخزونه التراثي والأدبي فكتب مجيبًا عن هذا السؤال: إن زوجتي كالسيف والأسد، لها عند العرب عدة أسماء. ظننت أول الأمر أن السيف والأسد هما اثنان من ألقابي، لكنه قال إنني كذلك مجازا، إلا أن لي ألقابا عنده، لن تسمح لي الرقابة العائلية بنشرها، لكن يمكن القول إنه بعد هذه الرسالة حصل شقاق عائلي لا تحمد عقباه، لكن كل ما أقول: «حسبي الله ونعم الوكيل»!.

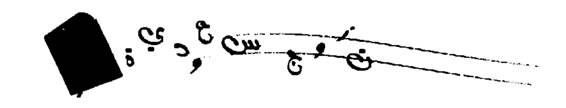
لماذا لا ينصت الرجل السعودي؟!

يظن بعض النساء الخليجيات أن الرجل اللبناني أحسن.... «قليلا» من الرجل الخليجي - أرجو أن لا تستعجلوا «حلمكم عليّ قليلا» - واللبنانية تظن أن الرجل الفرنسي أفضل بكثير من الرجل اللبناني، والمرأة الفرنسية تظن أن الرجل من كوكب زحل قد يكون أفضل من الرجل الفرنسي.

والشيء نفسه كل النكات التي تصلني تقول إن السعودي يعض أصابعه ندما عندما يزور لبنان شاتما الاستعجال في اتخاذ قرار الزواج، واللبناني يظن أن المرأة اليابانية أفضل من اللبنانية بأدبها وطاعتها ومرونتها وحسن تدبيرها.

لكن «آلان وباربرا بيز» مؤلفي كتاب «لماذا لا يستطيع الرجال أداء أكثر من مهمة في وقت واحد ولماذا لا يستطيع النساء الصمت» يثبتان لقرائهما أن كل الرجال وإن اختلفوا في أزيائهم الظاهرة إلا أنهم واحد، وأن النساء وإن اختلفن في أوزانهن فهن في المضمون واحد. فكل الرجال يكرهون عبارة «نحتاج إلى الحديث في علاقتنا». هذه الكلمات الخمس كما يقول «بيز» تنزل الرعب في قلب كل الرجال حتى «سوبرمان». والمرأة حين تغضب من الرجل تعاقبه بالصمت بينما الرجل ينظر للأمر وكأنه منحة يحصل من خلالها على قدر من الهدوء والسلام.

والمرأة تنظر إلى الحديث كهدف لتكوين علاقات وتكوين صداقات وليس حل مشاكل، بينما يعني الحديث للرجل تقرير



حقائق وإيصالها للآخرين، لهذا فإن متوسط مكالمة الرجال يقدر بثلاث دقائق بينما متوسط المكالمة الهاتفية للمرأة تقدر بـ18 دقيقة.

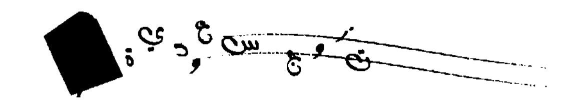
والمرأة لا تركز في عملها حين تشعر بالتعاسة، بينما الرجل لا يركز في علاقاته مع الآخرين حينما يكون تعيسا بل ويستغرق في عمله هربا من مشاعره المؤلمة. ولهذا فإن المثل الذي اشتهر بنصفه الأول فقط بأن وراء كل رجل عظيم امرأة ليس صحيحا بل ربما يكون تكملته «امرأة تنكد عليه وتحثه على الهروب منها إلى العمل».

والمرأة تعترف بأخطائها لكن الرجل يعتبر أن خطأه مجرد نقص في الكفاءة، والمرأة لديها ضعف في تتبع الخريطة، لهذا يقول الكتاب إن الخريطة بين زوجين تصل بهما إلى حافّة الطلاق، ويقول لي زوجي كلما وصفت له مكانا «إنه لا يحب عادة وصف الحريم!». رغم أنني عادة من يدله في كل مرة إلى الطريق حتى ولو كنا ذاهبين إلى بيت أهلي.

حكايات المرأة والرجل في هذا الكتاب مسلية ومختصرة بطريقة خفيفة تحليها بعض الرسوم الكاريكاتيرية المضحكة التي سأختم بأحدها الذي يعبر عن بماذا ينشغل الرجل وبماذا تنشغل المرأة. في الرسم صورة زوجين يتمددان على السرير.. الرجل يحدق في ذبابة في الهواء ويفكر: «إنني أتعجب كيف يستطيع الذباب الطيران بالمقلوب»!

المرأة بجانبه تفكر: «إنه لا يشعر حتى بوجودي. لا أعتقد أنه سيظل يحبني. إنه ممدد بجانبي ولا يشغله سوى التفكير في المستقبل، إنه يتساءل ويخطط ويقلق»!

آمل أنني أقنعت الخليجيات بأن الرجل اللبناني ليس أفضل من السعودي وأن المرأة السعودية ليست اللبنانية بأفضل منها، وإن كانت قراءة الكتاب قد تساعد في تعزيز مثل هذه القناعة، لكن أود أن أحذركم بألا يطلب مني أحد إعارته الكتاب كما يفعل بعضكم أحيانا ولا يسألني أن أدله على مكان اقتنائه، وهذا لا يدخل ضمن صفات المرأة بل لأنه كتاب مستعار ودمتم سالمين!



لا تقابل أديبًا تحبه!

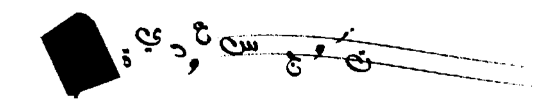
يهرع كثير من الناس لمقابلة الكاتب الذي أدهشهم بمقالاته الرائعة أو أدبه الفريد، وبعضهم يرتكب حماقة بأن يسافر (ويضرب أكباد الطائرات)، ويسأل عنه، حتى يلاقي هدفه المنشود ويحرص على التصوير معه، وأخذ عنوانه، الذي عادة لا يرد عليه أحد، ويعود ليخبر أصدقاءه عن أنه قد لمس الحجر السحري بيده لكن يا للخيبة، لم يكن كما عرفته كاتبا أو أديبا، كان خشنا، أو كئيبا، أو متغطرسا، أو نزقا، لكنه بالتأكيد لا يشبه من عرفناه في صحفه وحبره، فعلى من تقع تلك المصيبة، ومن هو المسؤول عنها في ظنه؟ الكاتب الذي خدع القارئ؟! أم القارئ الذي وضع للتصورات والأخيلة وظن أن أبطال الكاتب الشهم، والمجنون بالتطهر والنضال من أجله، يشبهون صاحبهم، وأن القيم التي نادى بها يعيشها بحذافيرها ويموت من أجلها؟

لكن الحقيقة - رغم أن كل حقيقة متغيرة - أننا يمكن أن نعتبر أن الكاتب هو أكثر من شخص أو أن هناك شخصين يعيشان في جلباب واحد، أو بعبارة أخرى ليس بالضرورة أن تقابل الكاتب في وجه ما يكتب بل يمكن التعامل مع الكاتب كمدير لشركة يعمل فيها كتاب كثيرون وهو المدير لها والمتحدث باسمها.

في ظني المتواضع الذي يجمع من الظنون ما يعادل الخيبات الكثيرة التي قابلت بها أناسا ظننت أنهم يشبهون ما

يكتبون تأكدت من أمر واحد وهو أن الكاتب حين يكتب فإنه يذهب لغرفة مظلمة ويمد يده ليلتقط أشياء فيها هو نفسه لا يعرف كنهها، ولا من أين جاءت، ولا إن كان هذا جذر الشيء أم رأسه، لكنه اعتاد دائما على الكتابة على هذا المنوال، من هذه الغرفة المظلمة التي لا يفاجئ الكاتب القارئ بجمال وبديع ما التقطه منها، بل إنه هو (الكاتب) نفسه أحيانا يأخذه العجب مما كتب ويسأل نفسه أحيانا من أين تخرج هذه الأشياء؟!

لهذا فإنني أنصح كل من يستمتع بالقراءة لكاتب، ويعد اللحظات التي تفصله عن كتاب جديد أن لا يذهب لمقابلة كاتب يحبه، لأنه إن لم يكن قد فقد الحماس للقائه مرة أخرى، فربما سيخسر مما لا شك فيه الرغبة في قراءة ما كان يحب أن يقرأه لهذا الكاتب، مرة أخرى بالحماس نفسه، وهو بهذا سيخسر واحدة من متع كانت ميسرة وسهلة، بسبب حماقة التعرف على الكتَّاب والتصوير معهم، أقول قولي هذا وأنا واحدة منهم فصدقوني!!



لله.. يا محسنين !

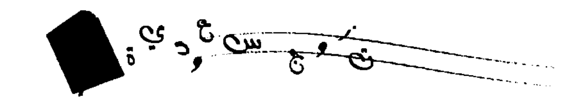
لكل شعب طريقته في الشحاتة. ففي أوروبا مثلاً يتبع المتسوّلون طريقة فنية لكسب الأموال فترى المتسوّل يعزف على آلة موسيقية بشكل رديء أو جيد ويضع أمامه طبقاً أو قطعة قماش ليرمي له المارة قروشاً قليلة دون أن تسمع صوتاً لذلك المتسول حتى حين يريد أن يقول لك شكرا فهو يرفع لك قبعته شاكراً لك حسن صنيعك وبعضهم يقوم باستعراض لألعاب الخفة أو الرقص عله يحصل على إعجابك، ومن المتسولين من يصطحب معه كلباً أو قرداً لعل هذا الحيوان يثير شفقتك أكثر مما تفعل حالته البائسة. وأما في أمريكا فيكتفي المتسول برفع لوحة تعبر عن فقره في الشتاء والصيف (جميعهم أظن يعرفون القراءة والكتابة دون حاجة لأن يلجأوا لخطاط) وهذه اللوحة مكتوب عليها (أنا بلا مأوى) أو (أنا بلا عمل) ويترك لك حرية التفكير بما تصنع حياله إن شئت فادفع.. أو لا تدفع أنت حر. وأكثر حالات التسول رقيّاً تجدها لدى أصحاب العاهات الذين لا ترى منهم سوى (الصم) وهؤلاء يكونون صبية يتقدمون بكل تهذيب ويلقون على طاولتك أقلاماً أو أعلاماً ملونة صغيرة أو جداول تبين لغة الإشارات مع الصم ثم يهرول مبتعداً في مكان بعيد وأحياناً ترافق تلك مع عبارة (أنا أصم أحتاج مساعدة) وطبعاً العبارة دون تحديد لك الحق أن تأخذها وتدفع ما تريد أو تتركها وتذهب ولن يلحق بك الصبي!.

وحين تختفي اللغة المحكية في التسول في تلك البلدان

فإنك تجدها في أعلى درجاتها في البلاد العربية، فاللسان هو أداة المتسول الوحيدة وشطارته في لسانه مثله مثل التاجر وبائع العقارات، فحين تدخل مكاناً شعبيّاً (كالحسين) في القاهرة سيقفز عليك متسولون بعدد شعر رأسك ويبدأ الموال (اللساني) (يا بيه يا باشا يا ست ربنا يخليك ربنا يعلي مراتبك ربنا يسترها معاك إن شاء الله تشتري سيارة شبح.. إلهي تبقى وزير) وإذا كان المتسول واحداً وفكرت أن تتخلص منه ببضعة قروش فإياك أن تفعل لأن هناك المتسولين الكسالى الذين لا يريدون أن يتعبوا أنفسهم مختبئين في مواقع استراتيجية يراقبون الموقف وحالما يرون زبوناً يضع يده في جيبه حتى يتقاطروا من كل فوج (وأنا كمان يابيه).

وإذا هربت سيلحق بك المتسولون ليتسلوا بك: (الحقوه.. تعالى يله.. بص خذ اللي وقع منك) وهناك متسولون من ذلك النوع يبدأ ضعيفاً بقوله (ربنا يسترك إلهي ما يوقعك في ديقة أنا غلبانة يا أفندم بص لهدمتي بص لجزمتي..) وحالما تعطيها ظهرك متجاهلاً إياها حتى تسمع: (ربنا يأخذك.. يا تخين.. يا مدور.. يا عرة.. إن شاء الله تصحى الصبح تلاقي نفسك جزمة قديمة).

أما في بلادنا فقد كان المتسولون إلى وقت قريب يتبعون الطريقة القديمة التي تعتمد تقطيع الثياب وتوسيخها وربما يقطعون (خشومهم) أو أرجلهم أو يستخدمون أيادي ملفوفاً عليها شاشاً كنوع من الإثارة وكسب العطف لكن (القاموس التسوّلي) هو أهم الأحداث في عملية التسول (من مال الله.. الله يخليلك حبيبك ضعيفة مسكينة عندي عشرة بزارين وأبونا

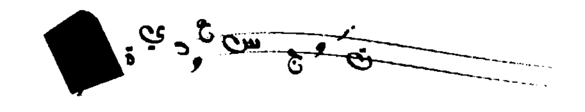


شايب مسكين وولدي صار عليه حادث) وقبل أن تستمر في سرد أحداث ليلة القبض على زبون لك أن تهرب أو تدفع مرغماً.

ورغم أن المتسولين التقليديين قد حاولوا مجاراة العصر بإدخال (دعاوي) مناسبة للعصر مثل (إن شاء الله تنجح في الامتحان) أو (قل آمين تجيب مجموع يدخلك الجامعة أو يارب تراجع ديوان الخدمة للمرة المائة وتلقى وظيفة ما حد متقدم عليها إلا أنت) أو (يارب تلقى وظيفة حتى لو بنظام الساعات).

ورغم كل هذه المحاولات إلا أن جيلاً من الحداثيين المتسولين قد خرج علينا هذه الأيام وقد نسفوا كل نظريات التسول القديمة. فهؤلاء يرفضون طريقة الثوب المقطع والأسمال البالية والعاهات فمظهر المتسول مهم في هذه المهنة لا سيما أن الاستراتيجية قد اختلفت وربما أن ذلك يحقق لهم هدفين هما: مفاجأة الزبون و (الخمه) بالطلب المفاجئ فيضطر للخضوع له والثاني هو الهروب من مراقبي مكافحة التسول وهؤلاء المتسولون الجدد يظهرون في غاية الاعتزاز والترفع والإيحاء بالندية لك وأنه لم يضطرهم على هذا إلا الشديد القوي بل إنهم قد يعدونك برد ما أخذوه منك في يوم من الأيام فالمتسول يقف أمامك بشكله المحترم الحديث: (يا أخ.. لو سمحت.. السلام عليكم ورحمة الله.. آسف للإزعاج ممكن أتكلم معك دقيقتين من فضلك) وعلى الرغم أن القاموس التسولي قد تأدب كثيراً وترقى إلا أن النهاية أيضاً مختلفة اسمعوا: (الحقيقة أنا غريب هنا لست من الرياض أنا من جدة.. (ربما الدمام) سيارتي انسرقت أو محفظتي ضاعت أنا ولد ناس كل ما أريد هو أن أعود لأهلي..) ولا تدري بماذا

سيعود بالسيارة (الليموزين) أم.. بالنقل الجماعي أم يريد منك حق تذكرة (الكونكورد) ولكن لا تقترح عليه أن توصله بنفسك إلى جدة فلو قلت له (اركب أوصلك) سيهرب!!



مات زوزو!!!!!!

بجانبي تقوم حرب، أسمع الشباب يزود بعضهم البعض بالنصائح الضرورية:

- قَوْصُه، (صوِّبه)
- بدي أشتري سلاح
- شو السلاح اللي معه
- أوف يا لطيف!

تجرأت ونظرت بجانبي تماما، إذ بالدماء تسيل على الجدار، قتلوه، الجنود يركضون وهو يطلق الرصاص من مخبئه ثم يعاود الاختباء، اليدان تلبسان قفازاتهما الحربية، وفوهة السلاح مصوبة نحو الجنود، سألت المحارب بجانبي:

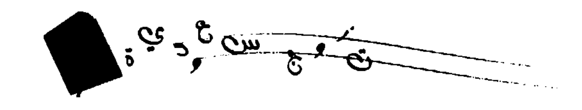
- ما هو نوع سلاحك؟
- قال لي: بي 44
- صاح بصاحبه: هل ستقوم بعملية انتحارية، هيا الآن؟!

سأل الشاب:

- أين زوزو؟
- زوزو مات؟!.
- انظر لزَقْ مخُّه على الحيط
- تكلم زوزو وهو ميت: نعم لزق مخي على الحيط؟!
- الشاب الصغير يؤكد بفخر: أنا اللي قتلته!.
- زوزو بالمناسبة هو الشاب جوزيف الذي يبلغ ستة عشر عامًا، وهو صاحب محل الإنترنت في بيروت- الذي أتردد عليه

لأرسل منه مقالتي كل يوم إلـى الجريدة- والذين قتلوه هم أصحابه من السن نفسه الذين يلعبون بجانبي لعبة القتل على شاشات الكومبيوتر، فهم يلعبون لعبة مشتركة على شاشات متفرقة، وكلٌ يختار الشخصية المقاتلة التي يريد، والثياب العسكرية، ويختار السلاح الذي سيحارب به، ثم يتقاتل الشباب الصغار.

في الصيف،أضطر للنزول إلى محل بجانب منزلي لأكتب وأرسل مقالتي،وكل يوم يتوجب علي أن أمر بساحة الحرب هذه، حيث صرخات المتحاربين تقاطع انهماري، وتفزعني، وتوقظني من أحلامي بالسلام الممكن، وتجعله مستحيلا حتى في محل إنترنت!.، تهبط علي في الصباح و في المساء كتائب من المقاتلين يصرعون بعضهم البعض، ويسفكون الدماء ويشترون الأسلحة، ويقتلون (زوزو) صديقهم بفخر، ويحفظون أسماء وأنواع السلاح المدمرة بثانية، وهذا كله في لعبة، مجرد لعبة تجعل القتل بالنسبة لهم لعبة ممتعة!.



ليه مستعجل؟

يبدو أن «أحلام» المطربة الإماراتية ليست وحدها التي لا تحب أن تناظر الساعة وقد زعلت على خلها الذي ناظر الساعة فنهرته قائلة: أحداً معه خله ويناظر الساعة؟! ويبدو أننا نحن جميعاً لا نحب أن نناظر الساعة، وقد اكتشفت أن هناك عقلية عربية خاصة بالساعة، أو ربما تفهم الساعة بشكل مستقل عن الوقت وعن أرقام الساعة، فخمسة ممكن أن تكون خمسة ونصف، وستة ممكن أن تكون سبعة، وليس هذا فحسب بل إننا الشعب الذي يحرص أبسط موظف أو موظفة فيه أن يقتني ساعة تعادل راتبه، إن لم تكن أضعاف راتبه، ونحن الشعب الوحيد ربما الذي يخلط بين تقدير الوقت ذاته وتقدير الساعة فنشتري ساعة بالذهب، وساعة بالألماس، أو الفضة ورغم هذا عندما تطلب من أحدهم موعداً يقول: عقب صلاة العشاء، أو عقب صلاة المغرب.

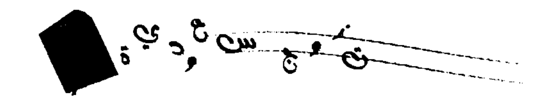
صديقة لي اتفقنا أن نلتقي لكن متى؟ قالت لي: عقب أذان المغرب قلت لها: طيب متى يؤذن المغرب؟ قالت: مدري إذا أذن المغرب وبس..!

وأذكر مرة أن عقليتنا العربية هي التي جعلتني وعائلتي نعتقد أننا وصلنا باكرين إلى محطة القطار في إحدى المدن الإيطالية، فقد وصلنا قبل ساعة ونصف بالضبط من موعد الرحلة، ومن حسن الحظ أننا بادرنا بالوقوف في الطابور عند شباك التذاكر، وقطعنا التذاكر، وختمناها، وحملنا الحقائب

إلى المقطورة لأننا ما إن انتهينا، حتى كانت الساعة الثانية عشرة إلا دقيقتين بالضبط، يعني قبل دقيقتين من وقت تحرك القطار، وفي الثانية عشرة تماماً تحركت عجلات القطار لنكتشف أنهم عندما كتبوا في جدول القطارات أن موعد الرحلة الثانية عشرة، كانوا يقصدون أن عجلات القطار ستتحرك في الثانية عشرة: «الله يسامح الخطوط السعودية».

وقد أخبرتني صديقة لي درست إدارة أعمال في الولايات المتحدة بما هو أسوأ من كل هذا، فقد قالت لي: إنهم في الولايات المتحدة يدرسون مادة في الإدارة والأعمال، لرجال الأعمال تحثهم على عدم الإسراع إلى الموعد، إذا كان الموعد عربيّاً، لأن العرب يعتقدون أن من قلة التهذيب أن تبكر في الحضور، واكتشفت أننا فعلاً نسمي من يحضر مبكراً، أو أول الواصلين على الوقت المحدد في البطاقة للعزيمة بالمشفوح، وإذا ما سألت أحداً عن موعد الدعوة يقول لك: «قل سبع وبالله يجون الناس تسع» والحقيقة أن «الناس بالله يجون» هذا أمر مقبول في العزايم، إلا أن الطامة الكبرى أن المعازيم هؤلاء يعتبرون كل موعد عزيمة فيتأخرون عنه، فقد حضرت في شهر واحد ثلاثة اجتماعات الأول محاضرة، والثاني اجتماع، والثالث ندوة وفي كل مرة أذهب متأخرة ربع ساعة، وتتقاذفني أمواج من الشعور بالذنب وأكتشف أنني من الذين حضروا باكرًا لكن هذا ليس اكتشافي الوحيد فقد اكتشفت أيضًا أننا نحترم من يتأخر، وليس من يأتي مبكراً، لأن من يحضر على الموعد هو من ينتظر.!

مرة حضرت اجتماعاً اكتمل عدد المتوقع حضورهم



باستثناء اثنتين، قالت مديرة الاجتماع: حسناً ننتظرهم وقد كدت أن أقول: وماذا عنا نحن الذين حضرنا على الوقت؟ إلا أنني سكت وشربت القهوة الممدودة لي وأكلت.. «تمرًا»!!!

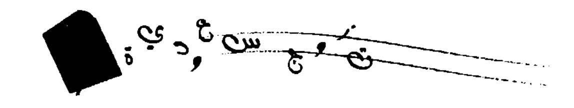
شتائم فاخرة

تحدث المصطلحات الجديدة على السامع أثرًا جديدًا، خصوصاً تلك التي تتميز بالحذلقة والفذلكة والتنطُّع، وكل منا يحب أن يتنطّع حسب مزاجه ومقاسه، فالأدباء يكثرون من كلمات كالنجوم والشموس وسيزيف وفينوس والنستالوجيا، والسياسيون يحبون الديماغوجية والبراجماتية والديمقراطية والتيار الحر، والمفكرون يحبون أن يستخدموا الديالكتيك والبيروقراطية والشيزوفرينيا، وغيرها من المصطلحات التي تتسرب قهرًا لوعينا أو لا وعينا، وتصبح لازمة لمهن معينة.

بعضنا تضطره الحاجة للتعبير لاستخدامها، وبعضنا يقحمها ليتمظهر بها، مثلما فعلت مرة وأنا صغيرة، عند أول مرة والتقطت أذني كلمة (ساذج) في أحد الكتب المترجمة، أعجبتني الكلمة، خصوصاً حرف الذال الغريب فيها، فذهبت في الغد إلى المدرسة، وليس على لساني شتيمة غير: وخري عن الطريق يا ساذجة أو اسكتي يا ساذجة.

بعد سنوات اكتشفت أنني لست وحدي من يتعلق بالكلمات ويستخدمها جزافا، وجدت قريبتي، التي تدمن مشاهدة المسلسلات المصرية ـ قبل عصر الفضائيات ـ مرة تشتم متصلا يزعجها على الهاتف، وهي تشاهد المسلسل ليلا، تقول له: يا وحش!

فوزية في المسلسل المصري، شتمتها جارتها قائلة: يا برجوازية!



فسألت جارتها الأخرى عن معنى برجوازية، فأوضحت لها أنها تعني: يا قليلة الأدب! فاشتاطت غضبا وقررت أن تؤدبها.

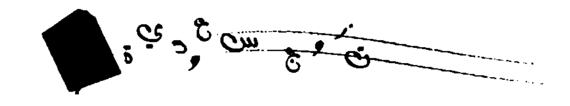
أما وصف نزار قباني الجميل لحبيبته في أغنية كاظم الساهر «حافية القدمين» ترقص على شرايين قلبي! فقد تحولت على لسان الممثل الكوميدي في أحد الأفلام إلى شتيمة، قالها لخطيبته: روحي من هنا، يا حافية القدمين!

وتظل قصة لطفي السيد أشهر القصص الطريفة للمصطلحات الجديدة، أوردها طه حسين في كتابه «كلمات». تقول القصة، إن لطفي السيد رشح نفسه للانتخابات ضد منافس أمي لا يرقى إلى ثقافة وعلم لطفي السيد، أستاذ الجامعة ورئيس تحرير صحيفة، لكنه ثري وعريض الجاه، فانتصر على لطفي السيد في الانتخابات. أما السبب فهو أنه زعم للناخبين أن لطفي السيد رجل ديمقراطي لا يصلح لتمثيل المدينة، فسأله الناخبون وماذا يعني رجل ديمقراطي، قال: إنه الذي يبيح أن تعدد المرأة أزواجها، كما يباح للرجل أن يعدد زوجاته، وأنكر الناخبون هذه الديمقراطية التي لم يسمعوا بها من قبل، فذهب فريق من الناخبين للتأكد بأنفسهم من صحة ما قيل فسألوه: في الحق أنك ديمقراطي، كما يزعم منافسك في الانتخاب؟! فابتسم لطفي السيد مغتبطا بهذه الصفة وقال: نعم أنا ديمقراطي وأفخر بديمقراطيتي! فخرج الناخبون وهم متأكدون أن ما قيل عنه صحيح، وأنه يبيح للمرأة أن تعدد الأزواج، وصوتوا للمنافس الأمي، وصار حتى أصدقاء لطفي السيد كلما مروا به قالوا له «روح يا ديمقراطي!».

ماذا يفعل الناس عند إشارة المرور.!

لو حاولت أن تعرف: كيف يقضي كثير من الناس وقت فراغهم أمام إشارة المرور، ستجد أن جميع ركاب السيارات يحدقون طوال وقت توقفهم عند الإشارة الحمراء في بعضهم البعض حتى لو كانا شخصين في سيارة واحدة مجتمعين إلا أنهما لن يفوتا على نفسيهما فرصة التحديق بالآخرين،والسواليف لاحقين عليها!.

في مدينة الرياض، التحديق بالآخرين ليس سلوكا خاصا بالتوقف عند الإشارات ففي كل مكان عام لا يجد المرء غضاضة في مد نظره نحو الآخر ليس فقط في نظرة فطرية سريعة وعابرة بل في نظرة متتبعة فاحصة. وقد لفت نظري في كثير من الأحيان ازدحام محل تجاري بالناس واستغربت كيف يزدحم محلٌ حتى لا تجد فيه فرصة للدخول، ولفت نظري أن كل واحد أو واحدة في المحل يرفع رأسه عن البضاعة في كل مرة يدخل فيها شخص من باب المحل ليحدق فيه ويتابعه إلى أن يذهب ومن يصحب معه..إلخ. وبدا لي أن الزبائن في الحقيقة ليسوا مستعجلين على الإطلاق ويمنحون كل داخل حقه من النظر إلا إذا كان الفضول الذي يسيطر عليهم أقوى من كل حاجاتهم. والغريب أنه فيما يخاطب الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات على السواء طالبا منهم غض أبصارهم إلا أن هذا النوع من الخطاب لا يدخل ضمن القيم التي يتولى النظام الأسري والتعليمي لدينا على تعويده لأبنائه وبناته



وإن كان كثير من النساء تغض الطرف خجلا بما يتفق مع طبيعتها وشعورًا أحيانا بالضعف، فعلى العكس يجد الرجل دائما أن من حقه أن يطلق الفضول دون خجل لتتبع امرأة مارة أو تجلس بالجوار في مطار أو محل عام أو سيارة بل إن بعضهم حين تفوته هذه الفرصة وتتقدم سيارته عن السيارة المجاورة لا يجد غضاضة في إعادة تعديل المرآة الأمامية العاكسة لتلتقط الركاب في السيارة التي خلفه. وهكذا وعلى الدوام تستطيع أن تتسلى بالتحديق في الآخرين والاستماع إلى أحاديثهم التي تدور بين أطفال ووالدين أو بين زوجين وتشبع فضولك قدر ما تشاء وأكثر ما أجده غريبا حقا أن لا أحد لديه الفضول المعرفي نفسه تجاه ما يحدث في العالم فيهديه هذا الفضول لحمل صحيفته المفضلة أو كتاب صغير يقضي به وقت الانتظار في مكان يعرف سلفا أنه سيواجهه مثل عيادة طبيب أو مطار أو طابور تسديد الفواتير لذا تبقى عادة التحديق بالآخرين والتلصص على محادثاتهم سواء التي يجرونها مع من معهم أو عبر هاتف جوال هي العادة المفضلة لدينا، وقت قرأت أن صحيفة بريطانية جديدة من القطع الصغير الذي يسمى التابلويد تحمل اسم مترو بدأت توزع مجانا على مستخدمي قطارات الأنفاق وتستهدف الطلبة بدرجة أساسية لتعويدهم على القراءة والإطلاع ولكي تؤمن لها أيضًا قاعدة عريضة من القراء في المستقبل وتحتوي هذه الصحيفة على قصص أخبارية خفيفة ومعلومات مفيدة في قالب صحفي بسيط وجذاب يتناسب مع حياة الشباب اليومية تمنيت أن تتطوع صحيفة لدينا بإصدار مثل تلك الصحف مع أعدادها

الكبيرة ليقلب فيها محبي التحديق في الآخرين عيونهم بدل التحديق في الناس. ويبدو أيضا أننا لسنا الوحيدين الذين يعانون من قضية التلصص على شؤون الآخرين وملاحقتهم، ففي هولندا مثلا ما إن يحل الظلام وتضاء الأنوار حتى تتحول منازل الهولنديين إلى معارض مضاءة تتيح للمارة التحديق بحرية داخل المنازل. وتعلق الجارة ماريا أنه أمرٌ شائعٌ في لاهاي التطفّل على شؤون الآخرين، وتقول ماريا إنها تلقي نظرة فاحصة على جارها القوي البنية الذي يسكن بجانبها وأنها شاهدت عن قرب انفصال زوجته الأولى عنه مشيرة إلى أنها ترتاح لها كثيرا أكثر من زوجته الثانية ولأن الجيل الجديد من الهولنديين لم يعد مرتاحاً للتطفل الذي يسود هولندا، خصوصاً أنه كما تقول الجارة أمر شائع وهذا يكفي في نظرها ليعطيها الحق بالتلصص فقد بدأ كثيرٌ من الهولنديين الذين كانوا يتركون نوافذهم وستائرهم مفتوحة في الليل بإغلاقها لإخفاء أنفسهم من فضول المارة والجيران في دول كان ترك النوافذ بدون تغطيتها بالستائر أمرا شائعا لعدة سنوات وإذا ما ظل الناس لدينا لا يحبون القراءة في وقت الانتظار ولا يحفلون بحق الآخرين في التمتع بخصوصياتهم فعلى السيارات التي تنتظر عند إشارة المرور بتركيب ستائر يجرونها عند كل إشارة حمراء.

نافذة أم سليمان.!

أم سليمان امـرأة شديدة الفضول نحو أحـداث العالم الذي يحيط بها وتحاول أن تتعرف عليه من خلال أخبار الدش المشوشة والتي لا تفهمها كما يقصها عليها ولدها سليمان الذي تخرج من أمريكا منذ أعوام وتجد أم سليمان في القصص التي تدور بين أبنائها الذكور وبناتها المتزوجات اللواتي يجتمعن لديها كل خميس اختصارا مفهوما وتلخيصا لأحداث الساعة خصوصاً وأن سليمان يبسط لها الأحداث التي تقع في العام بطريقة تجعلها تشعر أنها تحدث في حارتهم وهو لا يرد على أخطاء أم سليمان ولا يصححها لاسيما أن بعضها أخطاء متأصلة مثل تسميتها الباسكتانيين قاصدة بها (الباكستانيون) و(السراليون) تقصد (الإسرائيليين).

وقد أظهرت في الخلفية الأخبارية أم سليمان عند جاراتها بأنها امرأة لديها سعة معرفة وأصبحت مرجعا لدى كثير منهن ليسألنها عن بعض الأخبار التي تتداولها النساء في حارة أم سليمان وقد كانت أم سليمان أول من عرف عن حرب البوسنة والهرسك وهي التي أوضحت لإحدى الجارات التي ظنت بأن البوسنة والهرسك داءً يستوجب أن يأخذ الناس مصلا وقائيًا منه وقد حولت أم سليمان قصة جارتها تلك إلى طرفة أخذ الجميع يتداولها ويضحك عليها حين قالت لها الجارة: وشو ذا البوسنه و الهرسك ذا تطعيم؟

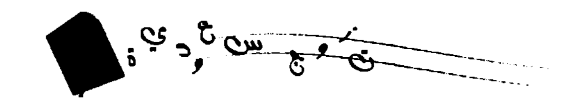
وأصبحت أم سليمان التي تسمع أخبار (السي إن إن)

التي يترجمها لها ولدها سليمان كلما راجعها أحد في خبر ما صاحت فيه وش عرفكم ولدي سليمان هو اللي يقول!.

ولـذا صـارت جـارات أم سليمان يشاركنها الاهتمام وخاصة عندما تدور حول أمور نسائية مثل قصة طلاق الأميرة ديانا سبنسر ومن ثم موتها مع صديقها دودي. ورغم أن أم سليمان لا توافق ديانا على تركها بيتها وزوجها بسبب نزوات رجل عابرة فأم سليمان تقول (إن بنت الحمايل ما تخلي بيتها وعيالها وتطلع أيًا كان السبب) وتقول عند موتها (لوها صبرت ما كان اللي كان) وعندما تفجرت قضية كلينتون ومونيكا لم يسعد أم سليمان شيئ مثل تفرُّدها بنقل الأخبار. فقد عاد الحماس لمجلس أم سليمان وعادت إليه حرارته.

بعد تورط رئيس الولايات المتحدة في علاقة غرامية مع متدربة البيت الأبيض مونيكا لوينسكي، وقد دبت الحياة في مجلسها الذي يمتلىء عادة بالاستفسارات والأسئلة التي ستطرح على أم سليمان من قبل جاراتها فكانت أم سليمان كلما هبطت من غرفتها إلى صالتها الخالية، تطلب من خادمتها «فينا» أن تضع لها قهوتها ثم تتصل بابنها سليمان في مكتبه لتسأله: هاه وش سووا البارح ؟ فيخبرها سليمان أن هيلاري قد أعلنت عدم تخليها عن زوجها والوقوف بجانبه ولن تطلقه. أغلقت أم سليمان هاتفها وقلبها يمتلئ بالهواء من السعادة بسبب حصولها على خبر جديد.

عندما اجتمعت جارات أم سليمان في العصرية قالت لهن: (اسمعوا هيلري ما هيب طالبتن الطلاق من رجلها كلنتن ماهييب مثل الخبلة ديانا اللي جنت على نفسها ثم أردفت أم



سليمان بأكمال نشرتها الخاصة بها.! (تدرون ليش لأن ديانا عيالها أولاد باكر إذا خطبوا من الناس ماهوب الناس قايلين من هي أمهم ولا وين أمهم لكن هيلري ما عندها غير بنت باكر إذا خطبت يقولون أمها ما هيب في البيت أما ديانا فما عليها إلا أولاد ما أحدا سائل وين أمهم.

وتمر تحليلات أم سليمان على جاراتها مـرورًا طريفًا مختلطاً بين الحقيقة والعيارة لكنهن على الدوام يعجبن باطلاع أم سليمان وسعة معرفتها وموقعها الإعلامي إلا أن أم سليمان تورطت في صورتها الدعائية التي صنعتها تعليقات الجارات وحفاوة الجارات بها فلم تعد قادرة على ضبط نفسها وبدأت تظن مثل كثيرٍ من الناس أن العالم كله مجرد نافذة صغيرة وتستطيع من خلالها أن ترى العالم الذي لا يتحرك بعيدا عن إطارها الصغير. وذات يوم وعندما كانت أم سليمان تجلس مع ابنها سليمان ظهرت على الشاشة صورة الرئيس الأمريكي وهو يلتقي برئيس عربي – وقد صادف ذلك اللقاء إثر أزمة فضيحة الرئيس مع متدربة البيت البيض مونيكا – وفيما كان كلينتون يحادث ضيفه علت الموسيقى وانخفض الصوت بين المتحدثين وبقيت الصورة بلا تعليق ولم تحتمل أم سليمان الانتظار لتسمع تعليق سليمان فما كان منها إلا أن أطلت من نافذتها الخاصة كالعادة بتعليق خاص لتخبر سليمان بدلا من أن يخبرها هي فقالت له:

هقوتي إنه يحاكيه من طرف المرة !!! (أي يحدثه بشأن قضية المرأة)!

مفحط بن شداد !

خرجت جارتنا أم محمد مع أبو محمد في الساعة الثانية صباحاً إلى الصيدلية، بعد أن جاهدت نفسها لتصبر حتى الصباح، على ألم ضرسها الملتهب الذي اشتد عليها لكنها لم تقوَ، كان الطبيب قد كتب لها دواء، لكنها أجلت صرفه، وقالت إنها ستمر على الصيدلية لاحقاً لأن السائق وراءه الأولاد والمدرسة. أوقف أبو محمد السيارة مقابل الصيدلية ونزل إلى الشارع فيما ملامح وجه أم محمد البائسة تسبح من الألم في هواجس لاحدود لها، لكن صرير الكفرات المقبلة عليها من أول شارع الأمير ماجد بن عبدالعزيز، والشاب الصغير في السيارة وقد ارتسمت البسمة على ملامحه بحبور وسفور، يحدق طوال الوقت في أم محمد، ويتخيل عيني غزاله الشارد، وقوام الهيفاء الساحر، وقلبه يفطفط من الفرح، فخوراً بجمهوره الناعم، قلب الدركسون بين يديه يميناً وشمالاً فدارت السيارة دورتين وصرت كفارتها صريراً عالياً، ثم مال بها يميناً وشمالاً، والسائق الصغير لايكف عن التحديق بغزاله الليلي (أم محمد) ليرى نظرات الإعجاب، أما أم محمد التي طار ألم ضرسها من رأسها، وغشّى قلبها وعينيها غمام أبيض، لم تدر هل هو غبار الشارع الذي ثار من تحت عجلات السيارة وتفحيطها، أم أنه غشاوة الخوف والفزع، فقد سبحت في غيبوبة، لاتدري هل هي حقيقة أم خيال، لحق بها من تأثرها بالمسلسلات البدوية، لأنها كما تقول رأت كما يرى النائم، أم محمد أخرى، تلقي ببرقعها

على مفحط بن شداد وتزغرد وترفع يدها لتحيي (ياعنك، إن أباك جاب ولدا)!! وفيما أم محمد غائبة في حلمها البدوي إذ أبو محمد يصيح بها: وش جرى لك يامرة غطي وجهك تستري!! وتحلف أم محمد أنها لم تدر ماحل بها، فقد شدت غطاءها عن وجهها، طلباً للهواء، دون وعي منها، حين شعرت أن أنفاسها احتبست من الخوف، فقد ظنت أن السيارة التي أقبلت عليها كانت ستسحق عظامها، وستطير كرعان أبو محمد النحيلة (بسم الله عليه)، وسط الشارع لكنها، أشارت لأبي محمد وهي تسوي نقابها: يالله يا أبا محمد تكفي خلنا نروح البيت، قال لها: والدواء، قالت: خلاص طبت ماعاد فيني وجع.

لم تكن تلك القصة الأولى لـ (مفحط بن شداد)، لكنها على حد زعم أم محمد، المرة الأولى التي تراه رؤيا العين، والبصر، وسيارته تسير على عجلتين جانبيتين فوق رصيف الشارع. أبو محمد الذي تأذى طوال أربعة أشهر من مفحط بن شداد وربعه، يراقبهم كل مرة من نافذة السيارة، يشدون عزم السيارة، من أول الشارع ثم يسرعون حتى نهايته التي يغيبون فيها، والعجلات تصر صريراً مفزعاً، يضع أطفال الحي ونساؤه أصابعهم في آذانهم ينتظرون تلك النهاية التي يرونها في برنامج سلامتك (بم بم طخ) وكل جار أوقف سيارته بجانب بابه ينتظر صوت ارتطامها، لكن شيئاً من هذا لايحدث، لأن (مفحط بن شداد) بارع في التفحيط، وهو حريص على أن لايسبب الأذى لأحد، لأن نواياه نبيلة وشعاره النظيف يقول (شوفوني شوفوني!!) وقد صار الأطفال يحيونه كل مرة ينفذ من الخطر،بياهوووا. رفع أبو محمد سماعة الهاتف على

الدوريات قائلا لعياله: هين هالحين أوريكم فيه!!

ياخوي فيذا واحدا والله يهديه، أزعجنا، وقلب حياتنا وشارعنا، لملعب تفحيط، أيه، الله يجزاك خير، ماقصرتوا، الله يطول عماركم، الله يحفظكم!

لكن أبا محمد، صار يتصل كل ليلة على الدوريات ويسجل اسمه، دون فائدة، حتى نبهه ولده سعد مرة قائلاً: يبه اتصل على (911) هم اللي يجون بسرعة، ترى مرة أنقذوا كلباً محشوراً في ماسورة، وأنقذوا قطوَه من الحريق، قال له أبو محمد: أقول بس، قم نم!!

أشار عليه أصحابه: ياخوي أرسل لسعد الدوسري ولاّ عبدالعزيز السويد ولاّجهير المساعد في جريدة الرياض تراهم دايماً يكتبون عن مشاكل الناس لكن أبا محمد فكر وقال: لا والله الأقربون أولى بالمعروف بأرسل لبدرية البشر، بريدها الإلكتروني عندي، كتب أبو محمد، لبدرية البشر، ووصف لها شارعهم، كأنها يعني، ماتعرفه، أو ماتسمع تفحيط ابن شداد كل يوم، لكنه قال إن الدقة مطلوبة، والحريم مايعرفون يوصفون، عرف أبو محمد أن رسالته ولاشك كان جوابها الدائم، (مسح) فلم يحرز جواباً ولارد، قالوا له: طيب ياخوي يوم أن ناصر القصبي جارك رح له، خله يحط مشكلتك في (طاش ما طاش) ذهب أبو محمد، وطق على جارهم ناصر، قالوا له: ناصر في الأردن يصور(فؤاد فارس القبيلة) ما هوب فاضي لك، الله يرحم حالنا وحالك..!! عاد أبو محمد لبيته، عندما رآه ولده سعد قال: يايبه، قايل لك، كلّم ناين ون ون!

أنا هندي؟

تقول إحدى الطرف القديمة، بأن أحد المسؤولين زار الهند واستقبلته رئيسة الوزراء حينذاك أنديرا غاندي وضمن القضايا الهامة التي تباحثها الطرفان شكت رئيسة الوزراء من ذلك الانطباع السلبي الذي يحمله مواطنو بلد المسؤول عن الهنود ورجته أن يبذل جهوداً لتصحيح تلك النظرة فوعدها المسؤول بأن يفعل وجعلت رئيسة الوزراء تذكره في كل مرة أن لا ينسى وقالت له للمرة الأخيرة وهي تودعه «لا تنس» فما كان منه إلا أن طمأنها قائلا: «ليش أنا هندي؟!».

هذه النكتة تعكس تماماً ما يسمى في علم النفس التورط في الانطباع الأول ويسمى «الستيريو تايب» والذي يظل عالقاً بالأذهان ولا نستطيع تغييره بسهولة. لذا فقد ظل الهنود حتى وقتنا الحاضر هم أبطال لقصص الغباء ويبدو أن نظرتنا الانتقائية هي التي جعلتنا لا نرى الأطباء الهنود من حولنا ولا المهندسين الهنود ولا علماء الذرة الهنود ولا الموسيقيين والسينمائيين الهنود ولم تجعلنا نرى غير تلك العمالة البسيطة المحدودة المهارات والذكاء والتي تتشابه مع أي عمالة في أي مجتمع، إلا أنه على ما يبدو أننا لسنا الوحيدين الذين يعانون من هذا فقد تكلف الأمير فيليب زوج ملكة بريطانيا اعتذارًا علنيّاً عبر التلفزيون بعد أن زار مصنعاً للأدوات الإلكترونية وشاهد صندوقاً غير مضبوط التركيب فعلق قائلاً «من الواضح أن شخصًا هنديًا قد رتب الصندوق» وقد كلفته خفة الظل هذه

اعتذارًا علنيًا بعد ثلاث ساعات من زيارة المصنع لكي يتفادى الهجوم الذي شنته عليه مؤسسات إزالة الحواجز العرقية في المجتمع البريطاني وأحزاب سياسية اتهمته بعدم احترام مشاعر الآخرين وأن تعليقاته عنصرية وأنه لا يزال يعيش في عصر الظلام لا سيما أنه علق من قبل على «عيون الصينيين المشقوقة».

الكبار والمشاهير هم الذين يحاسبون بشدة على ألفاظهم ويضطرون للاعتذار عنها بينما يتمتع العامة من الناس بالتنكيت كما يحلو لهم. والخطورة ليست في التنكيت بل في النظرة التي وراء النكت والتي تتعداها إلى جمل مسجوعة تحوي السخرية أو أغنية محرفة وضع فيها كلمة تشير للآخرين بدونية. والناس عموماً كشعوب ثم كأفراد يميلون إلى تصنيف الناس في سلم بشكل ترتيبي أو طبقي ولا ينسون طبعاً أن يضعوا أنفسهم في الدرجة الأعلى تماماً. ويحمل كل منا تصورات عن الآخرين وتصنيفات تضعهم في السلم الأدنى من السلم الذي نجلس في أعلاه. فبعض العرب يسمون الخليجيين بالنفطيين لانتقاصهم ويرد عليهم البعض بنعتهم بنسبهم أو عرقهم كنقيصة مقابلة دون أن يكون الفعل أو السلوك الخاطئ هو العار الذي اقترفه بل لأي بلاد ينتمي وليس أي فعل مشين يرتكب. وأما في نكاتنا فكل شعب يختار فئة في بلاده يجعلونه بطلاً لأدوار الغباء والبخل والهبل كما يختار البريطانيون الاسكتلنديين ويختار المصريون الصعايدة ويختار السوريون الحمصيين ولا أدري كيف ولماذا يقع الاختيار على هؤلاء هل لهذا علاقة بكونهم أقلية في المجتمع فيسهل تمرير النكتة دون

احتجاج؟ ربما لأنهم فئة مسالمة يسهل سحب النكت عليهم،أم أنهم هنود لايفهمون النكته وهي طايرة.!

المساج

يقولون إن «أبـو علي» زعل على زوجته فـأخـذت زوجته تسترضيه وهو لا يرضى فاختارت أن تجرب هذا العرض قائلة: طيب أسوي لك مساجاً؟ فرد عليها وهو لا يزال غاضباً: والله ثم والله إن سويتيه أن أكبه! فقد ظن أبو علي أن المساج أكلة مثل الجريش والقرصان.

ويفهم بعض الناس بعض الأشياء الجديدة عليهم كما يفهم أبو علي هذا المساج الغريب،ولا يجد حرجاً في أن يهدد برميه مفترضاً أنـه يعرفه ويعرف أنـه طبق أكل لا غير كما تفعل أم علي حين التصقت بزميلتها في العمل تسألها وكأنها تسأل عن واحدة من الأسرار الأمنية قائلة: هل صحيح أنك تستطيعين إذا جبت الإنترنت أنك تقدرين تشوفين عيالك في المدرسة وش يسوون؟ وعلى رغم أن الأطفال هم آخر الناس المقصودين بالمراقبة لدى أم علي فالمقصود بعض الاستراحات والمكاتب المسائية إلا أن الاختراعات الجديدة قادرة على فعل الأعاجيب، ويظن البعض شتى الظنون بهذا الجديد - الإنترنت - فيظن بعضهم أنه قمر صناعي تستطيع أن تطلقه في الفضاء وتسلطه على أي منطقة تريد لتنقل لك المشهد حيًّا على الهواء كما تظن أم علي وأظن أن المخترَع كلما كان متداولاً وعاماً تكثر التصورات والآراء حوله بقدر متداوليه فعندما اقتصر تداول جهاز مثل الفاكس مثلا بين المؤسسات لم يتعرض لكل هذه الشائعات والأقاويل بينما ساعدت الفترة

الاستهلاكية الذهبية التي نمر بها والتي تجعل كل فرد مقحم بشكل كبير في تناول ما يتناوله الجميع كما أن امتلاء البيوت بالمتعلمين الذين ينمو لديهم الفضول المعرفي لتجربة الأشياء يجعل الإقبال على مصادر المعلومات والتعامل معها سمة العصر لذا يظل الخائفون وبعيدو الصلة والاهتمام إن صحت التسمية هم أصحاب الآراء الداعية للمقاطعة والحذر. فالذي لا يستخدم الكمبيوتر هو الذي يقول عنه إنه خطر يداهم الأسرة والذي لا يعتمد الإنترنت كمنطقة معلومات واتصال هو الذي يقول عنها إنها أبواب تشبه الجحيم، والذي لا أفهمه كيف يمكن أن نطلق أحكاماً على ما لا نختبره؟ وتظل هذه الآراء المتداولة هي آراء منقولة وهذا بالنسبة لهم كاف لتبنيها. وتشتعل تلك الآراء الفزعة في منطقة النساء اللواتي يكثر لديهن اللونان فكل مخترع جديد يهددهن باختطاف أزواجهن مثلما يفعل زواج المسيار، فالإنترنت يجعل أزواجهن يدمنونه مع أنهم كانوا يدمنون التلفزيون من قبل ويكثر صمت الزوج بسببه وكأن صمته لم يأت معه منذ أن تزوجته والكمبيوتر يجعله لا يندمج في برامج الأسرة، دون أن تفطن إلى أن حضور الزوج المتزايد في البيت ميزة جديدة أحضرها لهن الكمبيوتر، بل إنني وجدت أن أحد السعوديين العباقرة قام ببرمجة لعبة البلوت في برنامج كمبيوتر يلعب به محبو ومدمنو البلوت، وميزة برنامج البلوت عبر الكمبيوتر عن اللعب الحي أن اللاعب يستطيع إيقاف اللعبة إذا ما حان موعد اصطحاب زوجته من العرس أو العزومة دون أن يهدده أحد بعبارة «إلعب ياللي تخاف من مرتك» فتضطر الزوجة أن تقضي الليل كله تدفع ثمن شجاعة زوجها!!

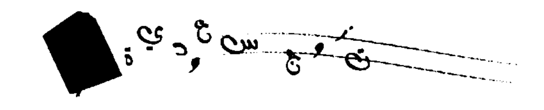
الكذب ملح الكلام.!

أظن ذلك وأظن أيضاً أن كثيراً من الأمثال الشعبية التي تحذر من الكذب تحذر أيضاً من الصدق كقولها «يا فصيح كن مليح» وذلك المثل السوري الذي يقول «إذا بدك تستريح فقل عن كل شي تشوفه مليح» وهناك حكمة أخرى تقول «كن صريحاً لكن كن لطيفاً» ولا يسع المرء في هذه الأيام أن يكون الاثنين معاً وربما لا يجيد أن يكون الاثنين معاً فيكذب.

وأظن أنهم وحدهم الثقلاء هم الذين يصدقون فيذكرونك كل مرة تراهم بأنك تكبر وأن شعرات رأسك البيضاء قد بدأت تكثر أو أن وزنك قد زاد عن ما قبل.

ولدي صديقة تكذب كثيراً إلا أنني اكتشفت مع الوقت أن مجالستها أخف على قلبي من مجالسة باقي الصديقات فهي تمتعني كثيراً بحكاياتها وكلما تجد كذبة تناسب حكايتها تستعين بها حتى لو كانت قد استخدمتها في حكاية أخرى وهذا من فضل الله علينا أن الكاذب ينسى فنستمتع بالكذب ونحن نعرف أنه كذب. وقد حدثتني هذه الصديقة عن قصة أخذت أستعين بطولها وعدم منطقية أحداثها أتخيل بأنني أقرأ رواية وقد وجدت في نهاية الحكاية أنني استمتعت برواية رائعة وقد كدت أن أقترح عليها أن تكتب روايات لولا أنني خفت أن تفهمني خطأ. وبهذه الطريقة استطعت أن استمتع بالكثير من الروايات الكاذبة والرائعة في الحياة.

وفي أول يوم من أبريل يقترف الناس في الغرب لعبة



الكذب فيكذبون على بعضهم البعض ويقولون إن السبب لهذه الكذبة أن هذا تقليد بدأ منذ قام الملك الفرنسي شارل التاسع في القرن السادس عشر بتغيير موعد رأس السنة من أول أبريل إلى أول يناير ولا أدري هل هذه بالنسبة لهم كانت بداية كذبة في حياتهم أم نهاية كذبة إلا أن الناس قرروا أن يحييوا هذه المناسبة باختراع كذبات مريعة أحياناً وطريفة أحياناً أخرى ولعل أطرف كذبة قرأتها عن كذبة أبريل كانت في كاريكتير نشرته صحيفة غربية يصور فيه الممرضة في غرفة المواليد الجدد وهي ترى والداً يقف خلف الزجاج ليرى وليده الصغير والممرضة هنا لا تعرض للأب مولوده الجديد بل صورة لوحش صغير يشبه التمساح والأب يقف شعر رأسه من روع المفاجأة والدكتور يفتح باب الحضانة ليقول لها كفي عن هذا فقد امتلأت وحدة العناية بالقلب في المستشفى. وأظن أن العرب لا يعبأون بالأول من أبريل ولا يحترمونه ويجدون أن دمه ثقيل لأنه كذب مرتجل ومناسباتي وقد يقع فيه الكثير من الأخطاء الفادحة حين يرتجل كذبة مؤقتة ولأنهم أيضاً يحترمون صنف الكذب المحترف الذي يزاوله الناس منذ عشرين عاماً فتبدو لياقتهم فيه عالية تسمعهم وكأنهم يروون حقيقة. وقد صرح مستشار لمجلس وزاري شهير (في خبر منشور) تفسيراً آخر له وجاهته حول لماذا: «لا نحتفل بالكذب في أول يوم من أبريل» فقال: «لأن الكذب فعل يومي يرتكبه العرب براحة ضمير».!!

الجمهور عاوز كده

شاهد الأمير خاير بك حاكم مكة عام 917هـ 1510م، بينما كان عائدا إلى بيته بعد الصلاة، جمعا تنحوا جانبا من المسجد الحرام مستغرقين في احتساء كؤوس الشراب، فسأل عنهم فأجيب بأنهم يشربون القهوة التي جلبت حبوبها من اليمن وانتشر تناولها في مكة المكرمة، في أماكن يرتادها الرجال والنساء أحيانا، فأمر خاير بك بجمع كبار فقهاء مكة، وبعد أن شرح لهم تكرر اجتماع الناس في أماكن شرب القهوة مع ضرب العود والدف أحيانا، أفتوا بأن حب البن حكمه حكم باقي النباتات، أما اجتماع الناس على شرب القهوة فإنه حرام وعلى هذا يجب أن يحرم شربها.

لم يكتف خاير بك بهذا، بل جمع شهادات أخرى لأطباء وأناس عاديين، شهدوا بأن القهوة مفسدة للبدن المعتدل وأن شربها يجر للمعصية وإلى تغير الحواس والتباس العقل. وبعد أن استوجب خاير بك من الفقهاء شروط حرمة القهوة، أمر بأن ينادي المنادي في شوارع مكة بأن شرب القهوة محرم شرعاً، ولهذا وجب إغلاق كل محال بيع القهوة وإحراق حبوب البن كافة في مخازن التجار في مكة المكرمة، إلا أن أهالي مكة لم ينصاعوا تماما لقرار الفقهاء واستمروا في شربها في بيوتهم، اعتمادا على رأي مفتي مكة، الذي وقف وحده ضد هذا القرار.

غير أن خاير بك قبض على أحد شاربي القهوة فعاقبه



وجرّسه ودار به على ظهر حمار ليكون عبرة لمن اعتبر. ولم يكتف فقهاء مكة بذلك، بل أرسلوا إلى القاهرة سؤالا استنكاريًا بغرض أن تؤدي الإجابة عنه إلى تقوية موقفهم، واستخدمت عبارات مثل «يتم تعاطي القهوة في المسجد الحرام في كؤوس، وأن كثيرها يؤدي للسكر، وأن الأطباء شهدوا بأنها مفسدة للبدن»!

غير أن السلطان الغوري أبدى دهشته مما يحدث في مكة، فقد كان شرب القهوة في القاهرة مباحا بشهادة الفقهاء والأطباء أيضا، الأمر الذي دفعه لمخاطبة خاير بك بضرورة التراجع عن قرار تحريم شرب القهوة، مع الاستمرار في سياسة منع الفوضى الناجمة عن رواد المقاهي.

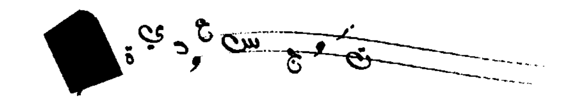
بعد أن قرأت القطعة وجدت أن القراء يحتاجون لتنشيط مهاراتهم الطلابية القديمة بسؤالين، خاصة الذين يحملون كل يوم ترامس القهوة ويشربونها في المسجد الحرام، لكنهم سيعترضون ماجداً في عصرهم من أنواع أخرى يشبه حكما حكم القهوة آنذاك لكنهم، يشهدون ويحلفون بأنها حرام ومفسدة، السؤال الأول: هل سيكتب المؤرخون عنا بعد تسعمائة عام، قصة مشابهة يتعجب لها العقل كما فعلنا مع قصة خاير بك والقهوة؟ كأن يكتب عنا أننا لا ندرّس اللغة الإنجليزية للصفوف الأولى في الألفية الثالثة، كما نمنع قيادة المرأة للسيارة مثلا؟! سؤالي الثاني هو: هل من الديمقراطية أن يحرم الناس من شرب القهوة لأن الأغلبية رأت بحرمتها عملا بقانون «الجمهور عاوز كده»؟

حكاية الكلب والديك

الناس (طاحوا) هذه الأيام في ظاهرة اقتناء الكلاب، مع أنه ليس منا من يشتري (كلبا) ليشاهد وإياه برامج السهرة على (كنبة الصالة) لكنهم ربما اضطروا إلى هذا (الطيحان) بعد أن عادوا ذات يوم من سفرهم إلى منازلهم ووجدوا أن ليس فقط ما خف وزنه وغلا ثمنه قد سرق بل كذلك (التلفزيونات والفيديوهات والمايكرويفات والغسالات والثلاجات) ولم تتكشف لهم دوافع تلك الظاهرة ولا من وراءها لذا لجأوا إلى اقتناء الكلاب حتى يتبين الأمر.

ويبدو أن كل شيء قد فسد هذه الأيام حتى الحيوانات التي كانت ذات يوم ذات فاعلية فقدت فاعليتها وصار (غثاها) أكثر من نفعها فكلاب اليوم لم تعد ككلاب أيام زمان والناس الآن يراهنون فقط على سمعتها القديمة فيكفي أن ينبح الكلب ليوحي للص أن في (بيتنا كلب) واللص لا يستطيع أن يخاطر بحياته ليتأكد إذا ما كان الكلب الذي أمامه هو كلب (ابن كلب) أم أنه من كلاب (الناتي واشلة وفافي) ولا سيما إذا كان لصوص اليوم هم من أبناء الطعش والهاربين من الرقابة الأبوية.

وتذكرني كلاب هذه الأيام بديكة هذه الأيام التي لا تزال جدتي تحبها وتتغنى بصوتها وتقول إنه يوقظها لصلاة الفجر والغريب أن جدتي (على هواها) لا تفطن أن ديكنا يصيح في كل وقت وبمناسبة وبدون مناسبة ويبدو أن جدتي التي (طاحت)



هي الأخرى في هوى الديك لم تعد تسمع أخطاءه السبعة ويبدو أن ديك هذه الأيام قد اختلطت عليه الأضواء فلم يعد يعرف الفرق بين أضواء اللمبات البيضاء وضوء القمر وضوء الشمس فأخذ يصيح في كل وقت خوفاً أن يمر وقت أذانه فيفوته وهو يعمل بمثل لدى الديكة يقول:

(أن تصيح دائماً خير من ألا تصيح أبداً) وقد روى لنا قريبي حكاية ديكهم (الفثيث) الذي اشتراه ذات يوم ووقع أطفاله في حب هذا الديك إلا أن تلك المشاعر لم تكن نفسها لدى جارهم الوجيه الذي أخذ هذا الديك يقطع عليه صخب سهراته وولائمه وحفلاته لا سيما أنه لم يثبت بعد أن بالإمكان أن يندغم صوت الديك مع أية فاصلة موسيقية وقد سمع قريبي ذات ليلة صوت طلقتين ناريتين قادمتين من بيت الجار إلا أن هذا الطلق الناري لم يفلح إلاّ في تطيير ريشتين من رداء الديك الذي أفزعه رد فعل الجار المروع على غنائه فوق جداره،ثم ندم الجار في الصباح على تهوره، فأرسل مندوبًا عنه، للتفاوض مع قريبي حول شراء الديك وقريبي الذي يروي لنا تلك الحكاية مراراً يزيد في كل مرة المبلغ الذي تكفل الجار بدفعه وقد وصل حتى كتابة هذه المقالة خمسة وعشرين ألف ريال إلا أنني أشك في صحة هذا المبلغ لا سيما أننا حين سألناه آخر مرة عن بعض التفاصيل سأل مستغرباً: أي ديك؟!

وعوداً للكلاب فكلاب اليوم لم تعد تشبه كلاب الماضي كما لم تعد تشبه ديوك اليوم ديوك أيام زمان فقريبي الآخر الذي اشترى كلباً لحراسة منزله، في يوم توافق مع وقت الانتخابات الفرنسية وتيمناً بفوز الرئيس الفرنسي جاك شيراك أسماه

(جـاك) ولأن كلمة (جـاك) تعني بالعربي (جـاءك) أو أقبل عليك وذلك تفاؤلاً بانطلاق الكلب نحو الهدف وليس نحو أماكن أخرى لا سيما حين نقول (جاك جاك) إلا أن الكلب (جاك) لم يستلم مهمة رئاسية كما يفعل جاك الآخـر بل كان كل ما يفعله هو الدوران حول البيت الصغير لأنهم حين يربطونه ينبح حتى تخاف الحارة كلها وأخذ الكلب يعاني من بطالة شديدة ولأن البطالة تورث سوء الخلق فقد أخذ الكلب يقتلع الزهور (البريئة) وكل الشتلات الصغيرة التي أمضى قريبي وقتاً طويلاً لغرسها وفي اليوم التالي أخذ يمرن أسنانه بعلك الأحذية لاسيما الجلدية الخاصة بأصحاب البيت والضيوف الأمر الذي حرمنا من الجلوس في حديقته بسبب (جاك) الذي لا يكف عن ملاحقتنا حتى نرمي له بحذاء أو يركض وراء الأطفال من (الطفش) ليلاعبوه أو يلاحقهم ومن يمسكه يبطحه ويلحس خدوده فأفزع الأطفال وأبكاهم.

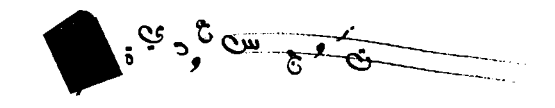
فكر قريبي بأن يتلقى الكلب دروساً في كيفية إطاعة الأوامـر واستلام عمله الجديد في الليل إلا أن المدرب الذي وجدوه سيدرب الكلب باللغة الفرنسية وسيحتاج قريبي لمترجم بينه وبين الكلب وفي الأخير اقترحت أنا أن أشتري الكلب منهم وعرضت مبلغاً كبيرًا لا يستحقه (هذا الكلب) سألوني عند نهاية المساومات:

× هل إلى هذا الدرجة تحبين الكلاب؟

- لا

× إذاً لماذا تشترينه؟

- لأقتله!



شباب في مهب الريح!

في يوم من أيام الصيف سافر الأب هو وعائلته إلى الإسكندرية لقضاء عطلة الصيف، بينما بقي الابن الذي كان يستعد لامتحاناته المدرسية. في عطلة نهاية الأسبوع، عاد الأب ليطمئن على ابنه، راكبا القطار من الإسكندرية إلى القاهرة، وصادف جلوسه بجانب رجل موتور، دار كل حديثه عن فساد شباب هذا العصر، وانتشار الرذيلة بينهم، ورواج تدخين الحشيش بين طلبة الثانوية. ولم يتوقف حديث هذا الرجل عن التشكيك بكل صغيرة وكبيرة في جيل شباب اليوم المنحرف، التافه الهزيل، قليل الأدب، قليل الدين، المتكل، الكسول، حتى وصل القطار، والأب في حالة رعب من هذا الزمن الذي لا أمان فيه، وتكاد قيامته أن تقترب.

وضع الأب مفتاح الشقة في الباب وكان صوت ابنه وصديقه يذاكران دروسهما، أدار المفتاح ودخل، وما إن دخل حتى شم رائحة غريبة تنبعث من البيت، فدخل على ابنه المنحرف وعاجله بكف على وجهه وطرد صديقه،وصاح به: قم للنوم،ثم ذهب للنوم غاضبا مكفهرا، ولكنه عندما استيقظ في الصباح اكتشف أن الرائحة النفاذة لا تزال بالدرجة وبالقوة نفسها، وعندما تفقد الشقة اكتشف أنها رائحة، الدهان الذي صبغ به الشقة قبل ذهابه والتي لا تزال عالقة في الجدران. فاستدعى ابنه واعتذر منه.

هذه القصة رواها ابن أحد المفكرين العرب، بلغ اليوم

الخمسين من عمره، وأصبح طبيبا ناجحا، ومواطنا صالحا، يتحدث عن أبيه، ليؤكد على خصال والده العظيمة. لكن ما يهمني هنا هو الحكاية التي تتكرر دائما في كل جيل.

التأكيد المستمر على عدم الثقة بالشباب والخوف منهم، وتكريس فكرة أن الشباب دائما هم أشجار هشة، يابسة، في مهب الريح يطوح بهم كل شيء وليس لنا أمل في إنقاذهم إلا بعزلهم عن كل شيء، كلما خرج مخترع جديد، كان مسوغ الخوف منه والتحذير منه ومصادرته هو أنه مفسدة للشباب، حتى تخيلت الشباب أشجارًا تتمايل يمنة ويسرة مع كل هبة ريح.

الأب لم يستطع تمييز رائحة الدهان الذي يعرفه جيدا عن رائحة الحشيش التي لم يعرفها أبدا، لكنه تحت سيل التحذيرات ورعب التكهنات والاتهامات، والتخوين والتشكيك، ظن أن ما شمه هو حشيش وليس دهان «بويه».

الاحتقان بالخوف يسلب العقل القدرة على معرفة الحية من الحبل!. فلا يستطيع العقل أن يميز الحق من الباطل، يحتاج العقل أن يتحرر من الخوف، وإلى مناخ صحيح من المعرفة، وتعدد الخيارات، التي تساعد على الحكم الموضوعي على الأشياء، بمعايير أهمها الثقة والتجربة والبرهان، رجال اليوم هم شباب الأمس، الجيل ذاته المخون، الفاسد، العاطل، الكسول، لكن الحقيقة تقول إن شباب الأمس تقدم ونجح وأحرز نقاطا أكثر في سجله الحضاري الشخصي والعام، ماذا لو عمل الشباب اليوم في مناخ من الاحترام والحرية والظن الحسن، لا شك أنهم سيكونون الجيل الأفضل حظا ومهارة!

سافر..!

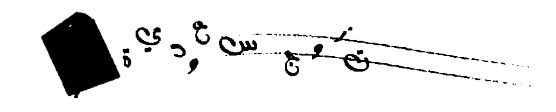
يقول العرب سافر ففي السفر سبع فوائد، إلا أنني أظن أن هذا القول قد مضى عليه قرون طويلة فزادت السبع الفوائد إلى سبعين فائدة لا سيما أن أصحاب هذا القول لم يلحقوا بالتكنولوجيا المتطورة والانفتاح المذهل على العالم والتجارب الجديدة ما جعل من سفر قوافل الإبل سفراً شاقاً لم يمكنهم إلا من سبع فوائد.

وتحت هذه النظرية أخذت أحول كلما يمر بي من جوانب مأساوية في رحلاتي إلى جانب معرفي تستطيع استثماره للتزود من معرفة تنقصك ومن ضمن تلك المعارف الجديدة التي ألمت بي هي التعرف على خطوط الطيران العالمية.

وأخذت أتذكر أحداث فيلم أمريكي قديم ينتمي إلى ما يعرف بأفلام (الفانتازيا الكوميدية) و (الفانتازيا) تعني غير الواقعي وفي الفيلم يختار البطل خطوط طيران رخيصة إلى درجة أنها لا تمنح راكبيها تذكرة ورقية للحجز بل تقوم بالختم على يده ليتمكن من الصعود إلى الطائرة وحين يدخل الراكب الطائرة يجد أن مقاعد الطائرة خشبية وطويلة كتلك التي تراها في الحدائق العامة والمقاعد بطبيعة الحال دون أحزمة وتأتي المضيفة حاملة قدراً ومغرفة وتصيح في وجهه هيه أخرج الصحن من تحت مقعدك لأسكب لك طعاماً ويلتفت الراكب إلى الجانب الآخر من الطائرة فيجد جماعة من رعاة البقر يشعلون ناراً يحيطيون بها ويتدفئون.

وكنت أظن أن ذلك الفيلم - حقّاً - نوع من الفانتازيا الكوميدية غير الواقعية حتى ركبت خطوط طيران متنوعة قاربت الكوميديا فيها حد الفانتازيا وصارت فانتازيا الفيلم واقعًا ملموسًا.ففي خضم المنافسة على شركات الطيران العالمية أخذت شركات الطيران في تخفيض أثمان تذاكرها على حساب راحة الراكب فأخذ بعضها يرص مقاعد الطائرة وتصغر حتى يخيل إليك أنك تركب (ميني باص) بينما راحت شركات أخرى تزيد من تدليل الراكب حتى يخيل للراكب أنه ضيف في بيوت هؤلاء أو مدعو إلى عرس لهم. فزيادة على المقعد المريح يهيئون للراكب شاشة تلفازية صغيرة تتبع كل مقعد وعدداً كبيراً من القنوات تستطيع أنت مشاهدة ما تريد من أفلام وبرامج علمية وثقافية بينما صغيرك في المقعد المجاور يشاهد أفلام الكارتون وذلك بسعر التذكرة السياحية. وفي خطوط أخرى لا تجد غير شاشة وحيدة لجميع الركاب يتخللها رؤوس الركاب الواقفين بل وتزيد في تعذيبك حين تعرض فيلماً عن أحداث طائرة تقع مما يجعل رحلتك مليئة بالكوابيس؟

وفي خطوط أجنبية أخرى يبالغ الملاحون بالحفاوة بك وتوزيع الهدايا على الركاب بل يزيدون فيحملون طفلك إلى دورة المياه بأنفسهم وتفاجأ وأنت ترى المضيفة تحبو على ركبتيها لتلاعب أحد الأطفال. ويتفاوت نظام كل طائرة عن الأخرى ففي أحد الخطوط كان الملاحون لا يشددون على ربط الأحزمة أو تفتيش الركاب بعناية للتأكد من ربط الأحزمة عملاً بالمبدأ القائل ماذا ينفع الحزام إذا ما وقعت الطائرة بينما



ملاحون آخرون تكاد قلوبهم تقع ويصرخون في الراكب من خوفهم ويصيحون به نحن نهبط اربط حزامك!

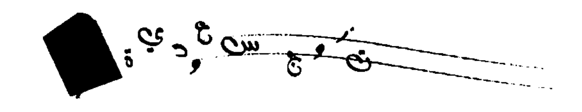
كما أن مسؤوليتهم تجاه الراكب تستمر حتى يستلم حقائبه ويخرج من صالة المطار فلا تغادر رئيسة الملاحين صالة السفر حتى تتأكد من أن كل الركاب قد أخذوا حقائبهم وإذا ما تأخرت حقائبك أو فقدت، فلا تقلق، هناك أناس تتألم من أجلك فتلك الشركة لن تكف عن الاهتمام بك حتى تجدها وتوصلها حتى باب غرفتك بل وتدفع لكل راكب ما يعادل سبعين دولاراً لتشتري ثياباً حتى تصل حقائبك وإذا ما فقدت حقيبتك تعوضك عن الحقيبة مع خطاب اعتذار مبلل بالدمع. والشيء نفسه يحدث لو فقدت طائرتك بسبب تأخر رحلتك السابقة فهؤلاء يعتنون بأمرك ويتألمون لمصابك حتى يقوموا بترحيلك على طائرة أخرى على عجل ولسانهم يتوسل بالاعتذار.

ومهما تفاوتت درجات ومستويات الخدمات فيها إلا أن جميع الخطوط الأجنبية تتفق على الإقلاع في الوقت المسجل في تذكرتك واضعة في عين الاعتبار أن هناك ركاباً يحجزون على رحلات أخرى تواصل سفرها إلى مدينة أخرى.

وهناك خطوط تنتهي مهمتها تجاهك عند صرفها لك تذكرة الطيران وبعدها (الوجه من الوجه أبيض). فشركات الطيران العربية وإن بلغت مقاعدها حد الرفاهية وشاشات التلفزيون الموزعة على كل مقعد كالخطوط الإماراتية تتحول في مواعيدها إلى (باص) إذا (امتلأ.. مشى) وحين تسأل عن مصير الـ (مائة راكب) الباقين الذين حجزهم مؤكد من قبل الشركة يقولون لك إنه تم الحجز لأعلى من سعة الطائرة

بمائة راكب لضمان عدم خسارة الشركة ومن لا يعجبه يضرب رأسه بجدران المطار وأما معرفة موعد إقلاع طائرتك فعلمه عند الله أما الوقت الذي كتب في التذكرة فقد كتب من باب الوجاهة.

أما شركة الخطوط السعودية فإنها حريصة على أن يتعرف الركاب على بعضهم البعض ويقيمون علاقات حميمة وسواليف طويلة من خلال تأخير الطائرة عن موعد إقلاعها حيث تكفي سبع ساعات تأخير لتتعرف على كل رفاق السفر كما حدث مرة مع طائرتي المتجهة إلى لندن حيث بقي الركاب من الساعة الواحدة حتى السابعة صباحاً يتعرفون على بعض وخلصت السواليف وأخذوا غفوة سريعة حتى أعلن لهم أن الفرج قد جاء دون أن يتألم من أجلك أحد والأدهى أن هناك ركاباً كانوا قد رتبوا حجوزات أخرى على خطوط طيران أخرى فقدوها بسبب التأخير وحين وصلنا إلى مطار لندن كانت الطائرات المفقودة تلوح لنا سلاماً. وقد لاحظت أن شركات الطيران الخليجية تتسم بالوحدة العربية المشتركة في إلغاء قيمة الوقت كنوع من التضامن العربي المفقود فلا يعود للوقت المسجل على تذكرتك وبالكمبيوتر أي نفع حتى أنني فكرت باقتراح هديه للخطوط السعودية لإخراجها من مأزق الالتزام بالوقت وهو أن تستخدم توقيتنا الشعبي لرحلاتها فنحن حين (نواعد) بعضنا البعض نتواعد بعد صلاة العشاء أو بعد صلاة المغرب وفي ذلك الوقت متسع طويل لذا فالمفترض أن تكتب الخطوط مواعيد رحلاتها (بعد صلاة العشاء) أو (بعد صلاة الفجر)!!!!



ضربها وبكى

إحدى صديقات زوجة الكاتب الساخر برنارد شو جاءت إلى منزله ولم تكن تعرف برنارد شو فوجدته منهمكاً في عمله في الحديقة فدار بينهما هذا الحوار:

هي: هل مضى عليك زمن طويل وأنت تعمل لحساب آل شو؟

شو: خمسة وعشرون عاماً يا سيدتي؟

هي: وكم تتقاضى منهم؟

شو: إنني أعمل مقابل طعامي وكسوتي يا سيدتي؟

هي: ما رأيك في العمل عندي بالشروط نفسها مع منحك أجراً شهريًّا؟

شو: يؤسفني يا سيدتي لأنني مرتبط مع السيدة شو مدى الحياة.

هي: مدى الحياة؟ إنها عبودية إنها سخرة!

شو: كلا يا سيدتي ليس في الأمر عبودية أو سخرة نحن ندعو ذلك زواجاً!

لم تكن هذه المرة الأولى التي يسخر فيها برنارد شو من الزواج بل إن موضوعاً مثل الزواج حظى بالتندر والسخرية من قبل الكتَّاب الساخرين ما لم يحظ به أي موضوع آخر. فقد سأل رجل.. حكيماً: كيف يطول عمري أيها الحكيم؟ فقال له الحكيم: تزوج وهذا سيمر عليك اليوم وكأنه سنة!

حين شنَّع الكتَّاب الساخرون على الزواج باركه طبعاً الرجال الذين أظهروا سعادتهم بمن ينتصر لهم ويثأر لهم

وانتهزوها فرصة للانتقام وتبرير أخطائهم خارج عش الزوجية من ذلك السجّان الجائر بوصفهم الطرف الوحيد الخاسر في شركة الزواج، أما المرأة فأنها دائما تحول خسارتها في هذا الزواج لربح كما في الطرفة التي ذهبت فيها المرأة إلى الشرطة لتبلغ عن ضياع زوجها فسألها الشرطي عن أوصاف الزوج المفقود فقالت: إنه طويل ووسيم وأشقر وعندما صاح بها ابنها ولكن ليست هذه أوصاف أبي يا أمي قالت له: اصمت لعلهم يحضرون لنا رجلاً أفضل من أبيك.

يرسم الرجال لأنفسهم عادة صورة عصافير ذهبية تذهب طائعة أو مغرراً بها إلى عش الزوجية، ففي أخبار الصحف يقال علانية وأمام الملأ «أن فلاناً دخل القفص الذهبي» ولم نسمع بأن المرأة تدخل القفص الذهبي بل تنجو من العنوسة والحظ الردئ.

لهذا أخذت العصافير التي لا يحدها فضاء تهجو سجّانيها من النساء، فما إن نشرت الصحف منذ سنوات الحادثة التي ذبحت فيها الزوجة زوجها بالساطور وقطعته ووضعته في أكياس من البلاستيك استثمرت هذه الحكاية وأصبح الكاريكاتوريّون يتندرون بها فرسم أحدهم الخطيب الذي جاء لوالد العروسة وهو يسأله عن ترتيبات العرس قائلاً: «الأكياس علينا ولا عليكم؟» وظهرت أمثلة من نوع: «من لم يمت بالكيس مات بغيره» وقد كتب أحمد رجب الصحفي المصري الساخر عن الأزواج الغلبانين والنساء الساطوريات كثيراً مثل قوله: «إن الزوج الطيب يوقع بعقد زواجه استعداده للتنازل عن حرياته العامة مثل حرية التعبير،وعن حرية الرأي وحرية



التنقل خارج بيت الزوجية كيفما يشاء ولم يتبق له من الحريات غير حرية الإشارة من خلف ظهرها!».

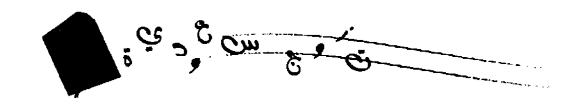
كما كتب أيضاً «إن من نعم الله أن الذي يقبل الزواج يكون عاشقاً مخدراً بالهوى فلا يشعر بما يجري حتى يفيق بعد فوات زمان العسل! وإن المرأة تتمتع بحدة إبصار في الظلام لأنها تنهض في الليل بحثاً عن الساطور».

كما يقال أيضاً إن أم كلثوم هي أول امرأة بدأت بتحذير الرجل من الساطور حين صاحت فيه: للصبر حدود.. للصبر حدود!.. بينما مطربة رقيقة مثل سميرة سعيد لم تقل غير «مش حتنازل عنك أبداً» وقيل أنها كانت تقصد «مش حتنازل عنك إلا جثة»!

وحين كنت أفكر بكل ما كتبه الرجال عن الزواج اعتبرت أن هذه وجهة نظر الرجال، وأن سبْقهم في دخول ساحة الكتابة وتسيّدهم فيها لوقت طويل أسس لهذا الرأي بينما لم تقل المرأة حتى الآن وجهة نظرها في الزواج. وهل حقاً إن الرجال هم الفئة المسحوقة في شركة الزواج بينما المرأة هي التي تحصد أرباح هذه الشركة على الدوام وقد كدت أنتهي بطرح تساؤل للنساء: هل هذا صحيح؟ حتى فوجئت بخبر تنشره جميع الصحف العربية يقول: «إن النساء أقل من الرجال سروراً بالزواج». ويقول الخبر: «إن مؤتمراً عقد لإحدى الجمعيات - ليس لها علاقة بجمعية الدفاع عن حقوق المرأة بل هي جمعية خيرية بريطانية - أظهرت نتائج دراستهم أن الزوجات غير راضيات في الزواج لأن الأزواج لم يتكيفوا مع الطريقة التي تغيرت فيها أدوار المرأة وأن معظم الزوجات ساهمن في خير

ورفاهية الزوج، ليس فقط بالتأكيد أنه يأكل جيداً، بل أيضاً برعاية علاقاته مع الأهل والأصدقاء».

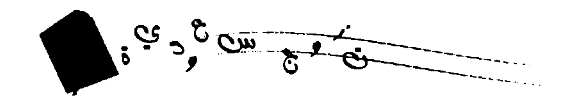
ولأنني حظيت بأجوبة علمية فقد ارتدت أسئلتي للرجال لأسأل هل هم من فئة (الهوالين) الذين يهولون من حجم الأضرار الواقعة عليهم ويبحثون من خلال هذه النظرية عن مبررات أخطائهم خارج عش الزوجية (فأخذوا النساء بالصوت) بينما انشغلت الزوجات عن الشكوى بالتنظيف وتربية الأطفال ورتق شقوق الثياب وشقوق الشركة الزواجية ولم يفطن لما يدور حولهن فيما اتبع الرجال المبدأ القائل: «ضربني وبكى و...» ؟؟!!



عزايمنا

عندما تزوج ابنهم صالح صار اسمه العريس. ولم يعد لإخوانه وأخواته هم غير أن يراقبوا برنامج العريس وين راح العريس ومتى يفضى العريس والسبب طبعا، لكي يذبحوا للعريس ويعزمون العريس واستعزم العريس أولا لأخيه الكبير(أبو محمد) يرتب لعزيمة أخوة صالح ثلاثة أسابيع وانتهى هو وأم محمد في أول الأمر إلى أن فلته ذات الستمائة متر وذات الثلاثة مجالس والصالة الكبيرة لن تكفي لكل أقاربهم ومعارفهم فقروا أن يعزموا الرجال على الغذاء والنساء على العشاء في اليوم التالي. وانقضت الثلاثة أسابيع في ترتيب أمور العزيمة وعد الفناجين والأباريق والملاعق وصناديق الفاكهة وقدور الطباخ وطقم الحمام الناقص ورأت أم محمد أن الستين امرأة ستحتجن لصبابات متدربات لن تنفع بديلا عنهن الخادمات فتعاقدوا مع صبابات خمس اثنتين لتقديم القهوة وتحضير الشاهي وثلاثة يدرن بالفناجين وكلموا المطعم لكي يرتب للرجال ذبيحتين ورز وللنساء بوفية وما إن جاء موعد عزيمة الرجال حتى امتلأت المجالس بالأعمام والأخوال والأرحام وتفرقوا في المجالس وجلس كل واحدٍ بعيداً عن من يعرفه وبجانب رجلٍ لا يعرفه وبدأ المتحمسون لتنشيط الأحاديث بالبحث عن موضوع مشترك إلا أن الحديث ظل باردًا ومتقطعا ولا يعرف المجلس أي حديث يناسب الجالسين من شيوخ وشباب ومراهقين وكلما انفتح

موضوع ذبل بعد خمس دقائق فكف المتحمسون عن البحث عن جديد وغرق المجلس في صمت أو بعض همهمات صغيرة وكلٌّ ينظر إلى ساعته كل دقيقتين حتى جاء الفرج وأعلن موعد الغداء وقد بلغ بأبي محمد تعبا لكنه ظل مع ذلك يدور فوق رؤوس المدعوين وهو يفكر بمن سيهمز ظهره الذي اشتكت فيه كل عضلة للأخرى. في اليوم التالي جاءت عزيمة النساء وامتلأت المجالس الثلاثة والصالة الكبيرة بالنساء وضاق المكان بالفتيات الصغيرات فوقفن على الدرج وجلس من يعرف بعيدا عمن لا يعرف لضيق المكان وغص بعض النساء اللواتي يخضعن لبرنامج حمية عن السكّر أو الكوليسترول أو ارتفاع الضغط بصحون لا تتوقف من الشيكولاته والبسكويتات الشعبية منها كالكليجا والأقط والفتيت أو البسكويت الشرقي المرشوش بالزعتر وبسكويتات الزبدة وبسكويتات الكريما الفرنسية والفواكة المثلجة والنساء بين بعضهن البعض لا ينجحن في الاستمرار في حوار مع جاراتهن في المقعد لمدة تزيد عن الخمس دقائق ومرت الساعتان والناس تناظر الساعة ثم جاء موعد البوفيه الذي تأخر كثيرًا وقام النساء يغرفن ويأكلن ثم يخطفن عباءاتهن من عند الشغالة التي وضعت رقما لكل عباءة ثم ذهبت تسولف مع الشغالات وانفض الجمع وبقى البوفيه فاغرًا صحونه في الساعة الثانية صباحًا بذبيحتين لم يؤكل ربعهما وتكفيان لإطعام مائتي جائع في يوم الشباب والجوع وصواني من المكرونة بالباشميل والكبة المقلية والفطاير والسلطات والحلو التي لن تتسع لها برادات سبعة من جيران أم محمد. وتهاوشت أم محمد مع الصبابات اللواتي



جئن متأخرات وأربكن حفلتها وتهاوش أبو محمد مع المطعم الذي تأخر بالعشاء وغير ذبايحه وجاب الأكل بارد وتهاوشت الشغالات مع بعضهن البعض «علشان أنتِ ما في يشتغل كويس بس قرقر » وتكلفت الدعوتان الباردتان ما يقارب العشرة آلاف، أخوه صالح الذي يعمل بمرتب أربعة آلاف وثمانمئة ريال شهريًا والتي سيدفع نصفه ولمدة أربع سنوات شهريًا لشركة التقسيط التي أثثت له شقته الصغيرة وفوقها حبة رأس وتعشوا في يوم ثاني سوا هو والأهل وسمعوا سوالف صالح عن شهر العسل التي آمل أن لاتكون على الفيزا أيضا !!

الطلاق الصامت!

تقول أحد الحكايات «عاد الزوج متأخرًا فإذ زوجته الجميلة قد نامت ووجد بجانبها مجلة أنيقة أخذ يتصفحها بدون اهتمام، وفجأة شدت إحدى الصفحات اهتمامه إذ وجد فيها استفتاء عن الزواج السعيد، تحت عنوان عريض هل أصبت في اختيار شريك حياتك أم أخطات».

وهناك عدة أسئلة وقد قامت زوجته بالتأشير على الجواب الذي أقنعها ولم يكد يمضي في قراءة ما اختارته من إجابات حتى استشاط غضبا، فالاستفتاء مكون من عدة أسئلة ومن بينها:

1. في لقائكما الأول شعرت أنه:

أ. ممل.

ب. مثير للفضول.

ج. أليف كأنك تعرفينه من فترة طويلة.

د. فارس لأحلامك.

وهنا وجد زوجته أشّرت على الفقرة (أ) ممل.

2. في علاقتكما الحميمة هل تشعرين معه:

أ. بالإشباع.

ب. بالإحباط.

ج. بالرضى فحسب.

وهنا وجد زوجته قد اختارت الفقرة (ب) بالإحباط

3. حين يتحدث عن هواياته وعمله هل:

أ. تشعرين بالملل.

ب. تهتمين لسماع ما يقول.

ج. تشعرين أنه كالطفل وتستمتعين بحديثه.

وهنا وجد زوجته تختار الفقرة (أ) تشعر بالملل

4. أجيبي بنعم أو لا وبجانب كل سؤال جواب الزوجة كما وجده زوجها بخطها المميز:

أ. هل يستاء من اهتماماتك خارج الحياة الزوجية، الإجابة نعم.

ب. هل تشعرين بالراحة والاسترخاء معه أثناء وجودكما بمفردكما، الإجابة لا.

ج. هل صديقاتك معجبات به، الإجابة لا.

د. هل ملابسه تثير غيظك، الإجابة نعم.

هـ. هل يحب طبخك، الإجابة نعم.

و.هل هناك أشياء عنك لا يمكن أن تخبريه بها، الإجابة نعم.

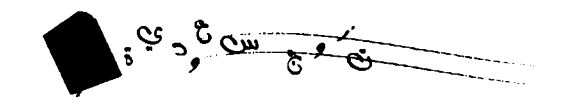
ز. هل يشجعك على إظهار أحسن ما لديك، الإجابة لا.

وأحس الزوج أن الدم يغلي في عروقه فخرج من الغرفة التي هي فيها ولم ينم تلك الليلة بل ظل يأكله الغضب، وفي الصباح لم يوصلها إلى جامعتها بل إلى بيت أهلها وعند الباب دس في يدها مظروفا فيه ورقة طلاقها وورقة الاستفتاء.

والآن وقد مضى على طلاقها سنوات وأنضجها الدهر تحس من أعماقها أنها أخطأت خطأ كبيرًا وأنها ملأت ذلك الاستفتاء بغرور المراهقة الذي كان يملؤها وأن الرجل لم يصبر عليها أو يناقشها لهذا كانت توصي أخواتها كلما اقترب

زفاف إحداهن ألا يكتبن بأيديهن إلا ما يسر الزوج أن يراه وأن يستعنّ على نجاح زواجهن بالكتمان.

و على المتزوجات أن يجربن الإجابة عن الأسئلة نفسها ويحذرن من أن تقع في يد الزوج خاصة إذا كان ضغطه مرتفعاً طبيعيًا. و على الأزواج أن لا يتخذو أي قرار مستعجل حتى ننتهي من القصة الثانية:



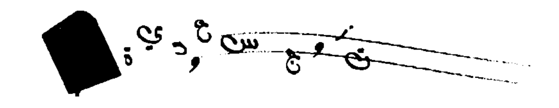
الزواج الصامت

ليس هناك فقط طلاق صامت بل هناك أيضا زواج صامت كما حدّث رجلٌ استمع إلى محادثة هاتفية بين زوجته وصديقتها بطريقة ما فسمع أثناءها عزفاً متنوعاً على سلم السباب والشتائم ألحقت بالزوج وعائلته وكل من التحق به نسباً. هذا غير الصفات التي ألحقت به والتي هي أبعد عن صفات الفارس الضرغام ابن سيد الكرام. لكن المشكلة لم تنته كما انتهت بصاحبنا الذي طلق زوجته بعد أن عرف رأيها السيئ فيه لأن صاحبنا اليوم أبقى على زوجته لأن بينهما أطفالاً لكنه لم يفتح أي حوار معها حول ما سمعه. اعتبر أن رأيها فيه حكماً أخيراً بلا استئناف، فظل يضمر لها الحقد وقلبه طافح بكل أنواع الانتقام الممكنة التي اخترعتها البشرية. والعجيب أن كلا الحكايتين التي أعرف أن واحدة منهما على الأقل حقيقية وكثير يشبهها بشكل أو بآخر يحدث في كل يوم بيننا وهي أن الزوجين لديهما آراء سلبية تجاه بعضهما واحدة أدت إلى الطلاق والأخرى إلى حياة مسممة بالحقد والغضب. إلا أن الحوار ظل آخر ما يفكر به الطرفان. وكأن الزوج أو الزوجة يفهم أن دوره في العائلة الزوجية مجرد عامود من الأسمنت عليه أن يقف تحت زاوية من سقف العائلة حتى لا تنهار وليس للحياة في مضمونها مشاعر طيبة وودودة. لذا علينا منذ اليوم أن لا نهلع حين نرى أعداد المطلقين بل أن نصفق لهم لأنهم اتخذوا القرار الشجاع على الأقل بوقف مسلسل الصمت المسمم بالحقد والغضب، بل

أن نهلع حين نرى أعداد من يعيشون تحت ظل طلاق صامت يرى كل طرف أنه مجرد عامود أسمنت عليه أن يغالب وقوعه حتى لا يقع سقف العائلة، ولا يعرف أنه مع الوقت يتحول إلى سقف يمنع الهواء والشمس عن أصحابه أو غمامة من ثاني أكسيد الكربون. ليس فقط غياب الحوار هو الذي يسمم أجواء العلاقات بل أيضاً الاستعداد لتفهّم الآخر وحاجاته. تقول واحدة من علماء الاجتماع «إن سبب الطلاق الصامت يعود إلى أن جهاز الاستقبال في حالات الطلاق الصامت أن كل طرف جهاز الاستقبال لديه لا يعمل وفق جهاز الإرسال نفسه عند الطرف الآخر فيأتي الحوار بينهما مثل حوار الطرشان».

ويتهم كثير من النساء الرجال بأنهم غير عاطفيين وحسيين والعبارة تعني أنهن يحتجن بعض العاطفة بينما يتهم الرجال النساء بأنهن لا يهتممن بحاجات الرجل، وكلا الحاجتين تدور في معنى الحب بالنسبة لكل طرف وتظل هذه الحاجات ذات أهمية طالما يضعها ضمن أولوياته في العلاقة والاعتراف بها أمر هام لديه.

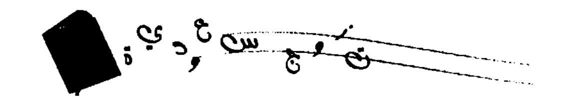
وفي المفهوم الشعبي لدينا ينظر للزواج على أنه «جح» أي بطيخ أحمر وكلٌ وحظه. البعض يجد بطيخته حمراء فيعتبر حظه جيداً والآخر يجدها شاحبة أو بيضاء فلا يجد غير قرارين أحلاهما مر، الطلاق والبحث عن بطيخة أخرى أو الصبر على بطيخة بدون سكر. ولهذا في ظني يكثر الزواج في الصيف، كلهم يبحثون عن بطيخ صيفي لأن في الصيف عادة ترتفع نسبة البطيخ الأحمر. نحن أيضاً نظن أن النجاح في العلاقات مشروع جاهز يباع في البقالات أو متاجر الأثاث



بينما هي علاقات إنسانية تنمو مع الوقت وتطبخ وتضاف إليها مقادير ذائقتنا. ولكن حطبها دائماً الحب والحوار. الحوار الذي يحترم مشاعر كل طرف ويتقرب منه لفهمه ومراعاة مصالحة دون ضرر بالمصالح الأخرى وأن نعرف كيف يفكر دون أن نكتشف رأينا فيه بالصدفة عبر مجلة تنشر استفتاء أو ثرثرة عبر الهاتف.

«سي الأسد!»

اتصل أحد المشاهدين بقناة عربية رزينة في أحد البرامج المصرية الحوارية ليدلي بمداخلته في ندوة عن واقع المجتمع العربي الذي لا يزال يتعامل الرجل فيه مع المرأة بالصورة القديمة للرجل «سي السيد»، الشخصية الشهيرة في ثلاثية نجيب محفوظ، والذي طلق زوجته لأنها ذهبت للصلاة في مسجد الحسين أثناء غيابه، وخرجت من دون إذن منه. احتج المتصل، على هذه الحملة الشعواء التي تريد أن تغير صورة النساء المطيعات، واحتج أيضا على تعاظم صورة المرأة التي بدأت تطالب بتغيير واقعها، فهو يرى أن هذه الدعوة هي السبب في أن يصبح الرجل مظلوما ضائع الحقوق، ثم طلب من المتحاورين والجمهور الكريم أن ينظروا ويتعظوا من صورة الأسد في المملكة الحيوانية فقال «إن اللبوة هي التي تخرج للصيد وتحضر الفريسة وتجعل الأسد يظفر بها لوحده و(تحوش) الصغار عنه حتى يشبع، ثم تأكل هي وصغارها من بعده. وطبعا فهمنا نحن المشاهدون، وفهم المتحاورون في نهاية الأمر الحكمة العظيمة التي أراد المتصل تعليمها نساء عصره في الألفية الثالثة، كان يريد أن يدشن الرجل صورته اليوم بلقب «سي الأسد». أتذكر «سي الأسد» اليوم وأنا أقرأ خبرًا بمناسبة اليوم العالمي للمرأة يقول: «إن ست نساء في فرنسا يمتن كل شهر بسبب العنف الذي يحدث في البيوت»، في بلد تستطيع فيه المرأة أن تلجأ إلى المحكمة لتحصل على



طلاقها بدون شروط، وفي مجتمع ممتلئ بجمعيات أهلية وبيوت رعاية للنساء، وإعالة مكفولة، وضمانات صحية واجتماعية، لكن العلاقات الإنسانية، تظل معقدة لدرجة أن ست نساء يمتن كل شهر، فماذا يمكن أن يحدث لنساء العالم الثالث اللائي يعتبرن الزوج مصدر دخلهن وأمنهن ومركزهن الاجتماعي، في غياب مؤسسات الرعاية والقوانين التي تظل تعتبر الرجل فوق القانون، والمرأة واحدة من رعاياه يفعل بها ما يشاء. أقابل شخصًا، وسط محيط محدود، نساء يروين قصص معاناتهن، وأسمع منهن حكايات القاضي الذي يحشرهن في ركن ضيق لطلب حريتهن بحكم «أعيدي إليه مهره»، وهي لا تملك قرشا، أو يحكم لها بالنفقة التي لا تتكفل المحكمة بتأمين وصولها إليها، فيظل حكمًا على ورق، وزوج يلوي ذراعها ويهددها بأنها لن ترى أطفالها إن خرجت من البيت، فأما الضرب المميت والذل وإلا عذاب آخر. أشد ما أعجب له أن بعض الجمهور الذي يقرأني كلما أكتب عن ضرب النساء، لا يفهم إلا أن هذا النوع من المقالات هو تحريض ليصبح الرجل هو الطرف الأضعف في العلاقة وكأنه يقول: «ماذا يرضيك؟ أن تضربنا النساء؟ ما عاد إلا هي؟»! أنا شخصيًّا لا ألومهم فنحن شعب لم نكبر إلا على معادلة في العلاقات والحب تقول: «ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب»، وعليك أن تختار إما أن تكون «حبيبا» أو«زبيبا» أقصد «زبيبة!»

تخيل أنك امرأة.!

تخيل أنك امرأة وعندما يولد أخوك يقولون عنه: جاء ولد ما شاء الله، وعندما تولد أنت يقولون: ما شاء الله جات بنية!. تصغير «بنت» وأنت مرحب بك إذا كنت رقم واحد من البنات أو اثنين، ولكن يفضل أن لا يزيد الرقم، حتى لا يحدث للأم ما لا تحمد عقباه، أما أخوتك الأولاد فمرحبا بهم و لا حرج!.

تخيل أنك امرأة وتحتاج دوما لموافقة ولي الأمر، رغم أن الفقهاء لا يعتبرون موافقة ولي الأمر شرطا سوى في زواج البكر فقط، لكنك تعيش وسط ثقافة وقوانين تضعه شرطا في كل شأن من أمرك، فلا تدرس إلا بموافقة ولي أمرك حتى لو كنت تتقدم لدرجة الدكتوراة، ولا تتوظف وتأكل لقمة عيشك إلا بموافقة ولي أمرك، بل ولا يخجل بعض الناس من التصريح بأن عمل المرأة حتى في القطاعات الخاصة لا بد له من موافقة.

تخيل أنك امرأة ويكون هذا الولي المطلوب حضوره معك في كل مكان، ابنا لك في الخامسة عشرة، أو أخا يحك ذقنه قبل توقيع الموافقة ويسأل: هاه وش رأيك يا «رجال» خلها تمشي، وأحيانا يطلب ما «يمسح به السير»، وهذه العبارة دلالة على الرشوة والعياذ بالله، والتي سيترفع أخوك عن أخذها «كاش» باسمها الصريح، فعزة نفسه تمنعه أن يمد يده إلى مال امرأة، لهذا يفضل أن تكون الرشوة سيارة، أو ثلاجة، أو ضمانا لأقساط تسددها أنت حتى يفرجها الله عليه، لكنه في أغلب الأحوال لا تفرج بل يُفتح عليك باب جديد.

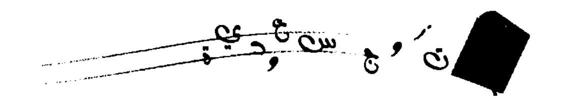
تخيل أنك امرأة وتتعرض للتحرش أو الضرب أو القتل، وحين تنشر الصحف صورك وصور المجرمين وتوحشهم يظل هناك من يسأل هل كانت الضحية متسترة أم لا؟ وإن كانت متسترة وش اللي خلاها تطلع من البيت في هذه الساعة؟ وإن كان زوجك من هشم ضلوعك فلابد أن هناك سببا دعاه إلى ذلك؟!.

تخيل أنك امرأة يكسر زوجك خشمك أو ذراعك أو رجلك وتذهب للقاضي تشتكي فيسألك القاضي عن شكواك فتقول: يضربني. يرد عليك القاضي مستنكرا: أيه وغيره!، على اعتبار أن الضرب حالة فنية يعيشها كل زوجين وحبيبين «فضرب الحبيب مثل أكل الزبيب».

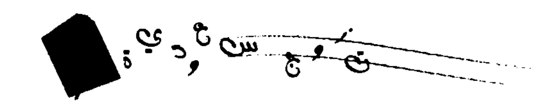
تخيل أنك امرأة تضطر لقضاء شؤونك العامة للركوب في سيارة «الليموزين» مع سائق أجنبي تصبر على رائحة زيته وثيابه التي تراها بين مقاعد السيارة، أو تنتظر أخاك الأصغر منك ليوصلك للعمل أو تحضر سائقا يتعلم في سيارتك، ويتدرب على حسابك وتنشغل طوال أشهر تعلمه القيادة وحفظ الدروب حتى تمل وتقول: «الله أبوها عيشة»! لأنك ممنوع من قيادة السيارة.

تخيل أن امرأة في القرن الحادي والعشرين تتابع فتاوى بعض فقهاء هذا العصر فتجد أن ما يتداوله بعضهم هو حكم سبي نساء العدو ومعاشرتهن، بل تجد من يتداول فتوى حكم سبي نساء العدو وهو في حالة السلم، ولا تدري من هن نساء العدو المقصود.

تخيل أنك امرأة تكتب في جريدة، وكلما كتبت عن همومكن



وقضاياكن وفقركن وبطالتكن وأحوال القضاء والمحاكم معكن قالوا عنك: خلها عنك، كل حكيها حكي حريم!.



صناعة العبط فن عربي

المحللون النفسيون، يقولون إن الريموت كنترول في يد امرأة، ليس هو في يد رجل، فالمرأة تحب الانتظار ومعرفة الأسباب وربط العلاقات مع بعضها البعض، أما في يد رجل، فهو لكي يشاهد ستا وثلاثين قناة في دقيقة.

لهذا السبب «توقفت عند قناة عربية تبث مسلسلا دراميًّا مصريًّا، والسبب الذي جعلني انتظر

هو مشهد الفتاة في المسلسل، كانت عيناها تسحان الدموع سحا، فتوقفت لأعرف ما هو السبب يا ترى، الذي يجعل فتاة تبكي أنهارًا من الدموع.

دخل الأب الممثل فاروق الفيشاوي بثياب عصرية، في بدلة أنيقة حليق اللحية وقال:

❑ ما تقومي يا بنتي علشان أوديك الجامعة، ومش عاوز دموع.

○حاضر يا بابا مش حاعيط و(الدموع تهطل مدرارًا)! اللي تشوفه حضرتك، مش أنت عاوزني أدخل كلية الطب. أنا حادخل كلية الطب. اللي حضرتك تأمر بيه يا بابا..!

❑ يا الله يا بنتي مش عاوزك تتأخري على أول محاضرة، ليكي في كلية الهندسة.

أيه.. بعد أيه... يلتفت وجه البنت في حركة بطيئة، ثماني مرات، تماما كما في الأفلام الهندية، التي كنت أشاهدها في مراهقتي، حين تستخدم عادة الحركات البطيئة أو الالتفاتات

المتكررة، لكي ينتبه المشاهد جيدا لحجم التأثير!

قال الأب:

❑ أيوه يا بنتي حتدخلي كلية الهندسة زي مانتي عاوزه!

❍ يا حبيبي يا بابا.. وهات يا حضن ودموع وابتسامات، وربنا يخليك يابابا.

❑ مرسي يابابا.

ولكن لماذا عاد (البابا) عن قراره القراقوشي، وهداه الله إلى ما تحبه ابنته وترضى عنه؟!

في المشهد الثاني، يتضح ذلك من خلال الحديث مع زوجته أم المهندسة:

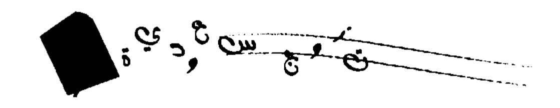
❍ ما هو أنا لما صليت اليوم الصبح في الحسين، ربنا هداني ونور بصيرتي، وقلت لنفسي، ما هو الواحد ما بيكلش لقمة هو مش عاوزها!

عند هذه الحكمة صاحت زوجته من فرط الإعجاب بحكمة زوجها الحكيم، وقالت: يا سلام.. الله.. الله!

أكمل الأب.. وقلت لنفسي ما دام البنت عملتني كبير وكل همها رضاي، لازم أنا بقا أراعي خاطرها وأوافق!

لم تجد الزوجة التي أحاطت بها السعادة من كل حدب وصوب، ما يكفي من الكلمات لتدعو لهذا الأب الحكيم والراعي السديد، إلا أن تدعو له أن يحفظه ويبقيه ذخرا للأسرة والعيال يا كبير.

هذه الحرب الأهلية التي أوشكت أن تحدث، والتدابير السلمية التي تم اتخاذها، كانتا بسبب أن البنت كانت تريد أن تدخل كلية الهندسة، ووالدها يريدها أن تدخل كلية الطب.



أما الحكمة التي وصل إليها الوالد في حالات الصفاء والسكينة في الفجرية، فهي أن «الإنسان لا يأكل اللقمة التي لا يشتهيها غصبا»!

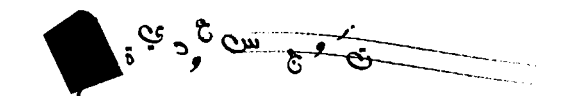
أما الحكمة التي تعلمتها، في خمس دقائق، فهي أن العبط لدينا في العالم العربي، صناعة نرصد لها الأموال والطاقات والقنوات والأقمار الصناعية، ويتم ترويجها بجهود جبارة، ليصبح الشعار «صناعة العبط فن عربي».

يا شهر التربان

لم أعد أعرف حال الطقس فالدنيا من حولي تراب، ادخل مكتبي كل يوم لأكتب فلا يستقبلني غير التراب أمسح أزرة الكمبيوتر تراب، شاشة الكمبيوتر، تراب، سطح طاولة المكتب تراب، الدفاتر، شاشة هاتفي الجوال تراب، والعاملة في المنزل تقسم إنها للتو مسحت التراب، أتذكر جملة الكاتب المصري الساخر محمود السعدني «أه يا مارس ياشهرالأحزان»، فأردد وراءه «آه يا مارس، يا شهر التربان». في شهر التربان تختنق شُعب الأطفال الهوائية بالتراب، وأقسام الطوارئ في المستشفيات، تمتلئ بمرضى حساسية الصدر التي يهيجها شهر «التربان» شهر مارس، والأحزان!!!

ذات مرة طلب مني طبيبي تحليلا لدمي ليتأكد من خلوه من مادة الزئبق، وحين ظهرت النتيجة، قال لي:- دمك سليم باستثناء وجود تراب، لكن لا تقلقي التراب يتجول حولنا بالأطنان «عادي»! ونتيجة التحليل يمكن أن يقال عنها سليمة حتى مع وجود التراب.!

تذكرت بطل رواية البير كامو الفرنسي وكيف حاصره حر صيف الجزائر في شهر آب، فوجد نفسه يقتل شخصاً لا يعرفه ودافع الجريمة هو الحر، حر آب اللهاب، قريبي يحفظ أمثلة يعالج بها ثقالة دم كل شهر، «في تموز يحتر الماي بالكوز» و«في آب يحمى المسمار في الباب»، وماذا عن شهر مارس، شهر احتقان الشعب بالأتربة، أنه شهر كان لابد أن

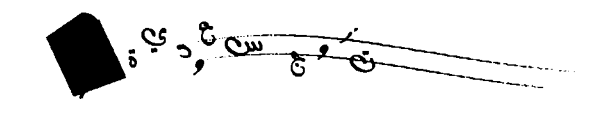


يقول عنه الشاعر «أقبل الربيع الطلق يختال متربا» حيث لا ثلج تذوب ذوائبه من على مرتفعاتنا، لكن تتنشط فيه الأتربة والريح العاصفة، وينزل المطر فيه خفيفاً حيث تستطيع أن ترى كيف يتحول المطر طينا يسبح فوق صندوق سيارتك في خمس دقائق.

في مارس تنفست ترابا وأكلت ترابا، وكتبت من فوق التراب، حتى إنني أقسمت لنفسي أن التراب جدير ببطولة رواية كاملة، اسمها «التراب».

خرجت في عصر يوم ترابي، لأجلس في حديقتنا، ففوجئت بغمامة ترابية، تفور فوق رأس البيوت، لكنها هذه المرة تراب صناعي، فبجانب بيتنا ومنذ عشرة أعوام أقيمت دعائم قصر ضخم، يلد في كل يوم زخرفاً من جناح مستدير يخرج من فتحة سوره، وكل يوم تزيد زخرفته، حتى صار القصر مثل قلاع العصر السابع عشر الأوروبية، وفي كل يوم يزيد القصر من زخرفه، يزداد وجهه تجهماً، لكن على ما يبدو أن هذا القصر مسكون بجنون العظمة فلم يحبه حتى صاحبه، وبعد أعوام ظل القصر هيكلا لقصر مهجور، لا يرضى عنه ولا يحبه أحد، باع صاحب القصر قصره، و هانحن اليوم ننعم بقرار هدم القصر المهجور، وننعم بموسيقى الجرافات، ومدافع الحفارات.! صاحب القصر الجديد الذي يكلفنا هدم قصره غبار يحلق كل يوم على سطوحنا ومرايانا وشاشات رؤيتنا ويدق في أسماعنا وأعصابنا حرابه، اجتمع بجيران الحي يشاورهم، ويسألهم النصيحة في أن يجعل من قصره المهدوم، مركزا صحيًّا رياضيًّا تطوعيًّا للنساء، لكن قبائل

الجيران احتجت وقالت ألا يكفينا كل هذا الزحام، لتزيدنا زحاماً بالنساء، ونزولا عند رغبة الجيران طار المركز الصحي «للنسوان»، و ما كان نصيبنا من كل هذا سوى التربان!!!!!.



ابني إرهابي

قال لي ابني أمس:

ـ أمي أنا إرهابي!

قلت له وقد شق عليّ الخبر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ما الذي دفعك لهذا!

قال: هكذا أحببت هذه اللعبة!

سألته: وماذا فعلت بالضبط؟

قال: احتجزنا رهائن، فهجمت علينا الشرطة لتحررهم. دار بيننا قتال عنيف، قتلنا بعضا منهم، قمت بقتل أحدهم بالسلاح الأبيض، كان يحمل رشاشا وأنا أحمل سلاحا أبيض غرزته في رقبته، وفي عرف القتال من يقتل بالسلاح الأبيض وفي يده رشاش يلحقه عار كبير. فنسمع أصواتا تصيح به: (أووه)، بمعني يا للعار!

سكت وأنا أشعر ببؤسي وقد بلغ حده.

سكت ابني وهو يتفكر مخفضا رأسه، ثم عاد ورفع رأسه قائلا: «يمه» قتلت هتلر.

قلت، ما شاء الله أنت من قتل هتلر إذن؟! أي عصابة خرافية تنتمي إليها؟ هل هي أبو البراء أم أبو مصعب أم الزرقاوي؟!

قال لي: لا يا أمي.. لقد شطح عقلك بعيدا! أنا أحدثك عن لعبة أمريكية في الإنترنت اسمها «كاونتر سترايك».

تنفست الصعداء وحمدت الله على السلامة، لكنني ما

كدت أرتاح حتى عاجلني ابني مرة أخرى وقال:

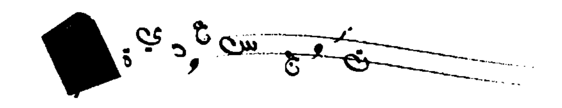
- «يمه» أنا مدمن؟!

قلت له: «ياالله عاد أنثبر كل شوي طالع لي بقصة! مرة إرهابي ومرة مدمن!».

قال لي «لا.. يا يمه»، هذه المرة أقولها صادقا، أصبحت أخرج من البيت هائما في المقاهي، أبحث عن لاعبين مشاركين لي وجمهور، ألعب ساعتين كل يوم لكنها تمر عليّ وكأنها دقيقة، لا أشبع بل أقول هل من مزيد!

أصبحت يا أمي مدمن ألعاب القتل الإلكترونية، هل تظنين أن هناك أملا في شفائي؟ الحقيني يا يمه بدكتور.

وضعت يدي على خدي وقلت: حسبي الله ونعم الوكيل.



خلني افهمك!

لخص أحد الظرفاء الحكمة الثمينة التي خرج بها من مجالس الحوار السعودي فقال: «حين تسمع أحداً يحاورك ويقول لك عبارة «خلني أفهمك»، فأنحاش - أي أهرب - فهذا الشخص بدأ يرسل ولا يستقبل»!.

ولو أردنا توصيفا لنمط الحوار الذي يحاول البعض تقريره كنمط نموذجي للحوار مع الآخر لما وجدنا وصفا أبلغ من وصف «خلني أفهمك»!.

فالرجل معك لا يضع أمامك غير خيار واحد «حتفهم يعني حتفهم بالطيب بالغصب» ستفهم!.

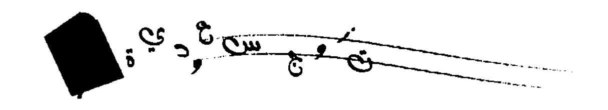
هذا النمط من الحوار رأيته وسمعته كثيرًا ممن حاول طرح وجهة نظره من زاوية واحدة، زاوية «أنا الآن هنا»، دون النظر إلى أنني غدا هناك، بمعنى آخر دون أن يكون في محل المثل القائل «ضع قدمك في حذاء الآخرين فإن آلمك فهو يؤلمهم».

هؤلاء يصرون على أن يطلقوا في الحوار مع الآخر أحكاما قيمية تقرر أن الآخر هو «الأدنى»، الضال، ويصر على قبول هذا الواقع كنتيجة نهائية للحوار مع الآخر، ولو طرحت عليه سؤالا ماذا لو كان هو يوما ما «الآخر» هناك، في مجتمع الآخر، حيث لا يمثل هو «المسلم» سوى مليار وسط ستة مليارات على الأرض، أي بنسبة السدس، فماذا يجب أن يكون عليه الحال؟

ستجده يطالب بكافة الحقوق الدينية والقانونية

والاجتماعية والأدبية، ولسمعت منه عبارات غريبة عن قاموسه كان يرفض استخدامها حين يكون غيره الآخر، مثل حق ممارسة الشعائر، وحق منح رخص لجمعيات إسلامية، وتسهيل النشاطات، وممارسة الدعوة لدينه، وتوزيع الكتب، وارتداء الزي الإسلامي، ولاعتبر أي محاولة لمنعه حقا من حقوقه ولو خالفت قانونا وضع منذ تأسيس الدستور الوطني، يستهدف النيل من الدين والمتدينين، ولسمعت عبارات مثل حقوق الإنسان والديمقراطية، واحترام الأديان.

وسيعتبر من يصفه بوصف يشابه وصف الأدنى أو الجاهل أو أنه على باطل أو كافر سبة يجب الاعتذار عنه، وأنها حملة شرسة ضد الإسلام والمسلمين، ولسمعت عبارة أخرى اسمها الكيل بمكيالين، ولا تدري لماذا يصبح تغيير الكيل هو القاعدة لديه. أحد أصحاب الكيلين قال: أنا مقتنع بأن وصف الآخر بالكافر ليس سبة، بل وأسافر لبلد الآخر وأناقشه وأحاججه في خصوصياته بل وفي أخص خصوصياته، وأشير عليه بخطئه، وأحثه على التخلي عن موقفه الخاطئ، وأرشده للصواب - لم يبق إلا أن يقول وأذبحه إن لم يقتنع - ثم يقول ومع هذا فأنا لست بإقصائي، هذا هو نوع «خلني أفهمك!»



«انقلع!»

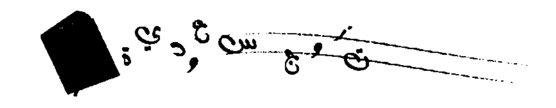
عفوًا ليست هذه هي من مفرداتي لكنها واحدة من مفردات أغنية سعودية لمطرب شهير، و«انقلع» تعني في مصطلح الشتائم العربي «أغرب عن وجهي»، وفي موسوعة الشتائم المصرية «غور من وشي»، وهي مفردة استطاعت أن تدشن بها الأغنية العربية والخليجية عصرًا جديدًا للحب الشبابي، تماشيًا على ما يبدو مع موجة العنف والإرهاب التي طغت على حياتنا السياسية والفكرية، والاجتماعية.

وعلى طريقة «ما فيش حد أحسن من حد» راحت الأغنية تباري الآخرين بالعنف، وتطلق رصاص كلماتها على عصافير الحب التي اعتدنا رقتها في أغاني الحب القديمة، فبدلا من الأغاني التي يظهر فيها الحبيب توسله، وضعفه بدونه، والشكوى من قسوته، وجفائه، وطلب العفو والرحمة، والرجاء الحار بالوصل واللقاء، ظهر لنا المطرب الإماراتي يغني «حل عن سماي وروح»، فيرد عليه الآخر «اللي ما يبينا مانباه»، فما كان من المطرب السعودي الجديد إلا أن شاركهم في ساحة الردح الغنائي بمطلع أغنية، تقول «انقلع» وهو هنا طبعا يقصد «العذول» الشرير الذي لا يفهم مشاعر الحب، على اعتبار أنه هو من يفهم!.

أما النصائح التي تداولتها الأغاني الغزلية اليوم فهي نصائح من نوع «لا يهمك»، و«من يبيعك بالرخيص بعه بهلهلة» في بورصة العملات المالية.

«اللي ما يبينا مانباه»، و«حل عن سماي وروح» و«انقلع»..
مفردات عشاق سوق حب جديد، يعاني على ما يبدو من حالة فيها «العرض أكثر من الطلب»، وحتى لا يظن البعض أن الحب في زماننا تغير وفقد معناه، فإنني أؤكد له إن هذا السوق الذي خاض فيها هذا العاشق اللامبالي بالحبيب تجربته المكررة، وظن أنها تستحق التوثيق، لتدخل التاريخ الغنائي، هو سوق بضائع الحب المستهلكة، على طريقة «الون وي» للاستخدام مرة واحدة، وهو سوق كما يقول عنه اللبنانيون «بلا أخلاق»، حيث يؤكد لنا راشد الماجد هذا في أغنيته الشهيرة المشتركة مع عبد المجيد عبد الله، فعبد المجيد يسأل راشد: «ياخوي وش فيك؟» فيرد عليه راشد: «تعبان!»، لنكتشف السبب، أن المحبوبة، سيدة محترفة في الحب، باعت الصديقين الاثنين بضاعة الحب والشوق وضحكت عليهما، على طريقة «اثنين في واحد».

ولم يعد أمامنا، وهذا النوع من الحب يغزو أغاني الشباب اليوم، في هرج ومرج إيقاعات صاخبة بمصاحبة كورس يصيح: «وراء، وراء»، إلا أن نتحسّر على أغاني زمان «التي كان الحبيب يباري حبيبته في وصف ضعفه أمامها، ونحول جسده، واصفرار لونه، وهي علامات الحب البارزة، فتغالي الحبيبة وتحلف، كما حلفت ليلى العامرية، بأنها لم تتزين في غيابه، وأن لون الحناء الأحمر، الذي يراه على أصابعها ما هو غير دم سال من مآقيها من شده وجدها وشوقها!. لكن المطرب المصري الشاب بهاء سلطان رفض حالة الذل والمهانة التي عاشها الحبيب في أغاني وأشعار زمان ليصيح في وجه حبيبته «أوم أوقف وأنت بتكلمني!!» هذا هو العاشق وإلا فلا!!



احذروا السبت

ذكرت إحدى الدراسات أن هناك 350 ألف شخص اختاروا يوم الاثنين ليكون هو اليوم المفضل لديهم للانتحار. أما لماذا يوم الاثنين فلأنه كما يقول الدارسون، يوم العودة للعمل أو اليوم الأول لما بعد الأجازة.

أقول قولي هذا كل أملي بأن تكون نتائج يوم السبت، اليوم الأول لما بعد أجازتنا الطويلة التي قاربت الثلاثة أشهر، والتي ملأناها بالفوضى وقلب الليل نهارًا وشربنا فيها البيبسي والكولا صباحا بدلا من الحليب، وأكلنا الهامبرجر فطورا،وأسرفنا في الأحاديث الهاتفية حتى دفعنا ثمنها غاليا، وتعبأت فواتير الصرف حتى امتدت لطلب سلفة من قريب، أو كشف حسابنا حتى يستره الله، حتى صار من الجور أن يلام المرء بعد أن انفلت طويلا كل هذا الوقت، إذا ما شعر بارتباك نفسي ومعنوي واجتماعي وهو يرى نفسه يعود ذليلا صاغرا لنظام الصحو المبكر والإفطار المبكر والعمل المبكر والنوم المبكر والأسوأ من كل هذا أنه سيضطر مجبرًا لا بطلا للعودة لاستخدام عقله في الحد الأدني ليعود ويفكر من جديد.

اضطررت لهذا الشرح الطويل، المفصل لنعم الصيف العبثية، لأقرب لكم مفهوم لماذا ينتحر الناس يوم الاثنين، حيث ذكر التقرير أن سبب انتحارهم: هو أنهم وجدوا في يوم الاثنين (صعوبة بداية جديدة!).

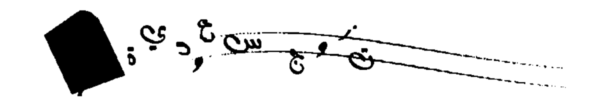
وحتى لا يجد المكتئبون تشجيعا مني للتمادي في

كآباتهم، أود التوضيح فقط أن المنتحرين في الأصل يعانون من مشاكل جمة دفعتهم للانتحار، فوجدوا في يوم الاثنين القشة التي تقصم ظهر البعير ـ رغم أن البعير لا ينتحر عادة، بل ينتقم ـ وحجة لينتحروا، فهم مع كل مشكلاتهم ما إن يرفعوا ورقة التقويم ويروا يوم الاثنين يدس أنفه الطويل في حياتهم، أو يصيح فيهم مناديا: ياللّه ياشباب.. الاثنين عالباب، حتى يلطموا خدودهم ويصيحون: مش كفاية اللي احنا فيه، طيب هه وآدي موته!

إلا أن عقلاءنا أمثالكم، يكتفون بأن يتخذوا من نهاية العطلة وبداية الدورة الجديدة للعمل، حجة للبرطمة والغلدمة، وهي من علامات التجهم الشهيرة التي يقابل بها المرء أحبابه كل يوم سبت، إن كان من المسلمين المسالمين الطامحين للعفو والعافية، أو يتقاتلون مع كل من يقابلهم وكأنهم المسؤولون عن يوم السبت إن كان من النوع الثاني الذي لاشك أنكم تعرفونه.

ويذكرني يوم الأحد الغربي بيوم الجمعة السعودي والذي ظل يوما كئيبًا عندي وعند أجيال المدارس والموظفين، دهرًا طويلاً، ولاتزال صورته مربوطة في خيالي بيوم أفيق فيه على هدير غسالة أمي يملأ وسط البيت، وهي تستأنس بصوت خطيب يوم الجمعة المميز المذاع على الراديو، وأمي تصرخ بأخي ليلحق الخباز ويشتري لنا خبزًا للفطور قبل أن يحل موعد الغداء، وفي الأخير بكائي في حفلة النظافة الأسبوعية، حين تنتقم أمي من كل ما حل بها وهي تغسل شعري.

لهذا ظللت طويلا أعاني من كآبة يوم الجمعة، ويزداد الطين بلة حين أكون في بلاد تكون يوم جمعتهم أحدًا، لأجد



نفسي أعاني من يومَي كآبة، يوم الجمعة التقليدي الخاص بي، ويوم الأحد الآخر الخاص بهم، وطالما خسرت مواعيدَ بسبب حسابي ليوم الجمعة مرتين في الأسبوع.

يبدو أن عبء البدء من جديد هو الثقل الذي يعانيه كل منفلت في إجازة بلا ضابط ولا رادع ولاهدف، وقد سماها أحد الحكماء بـ(طلعة يوم السبت) مشبها إياها بطلعة الطيارة عند إقلاعها قائلا: اسمعي يارعاك الله، كل الكائنات الحية والثقيلة تجد في بدء السبت يومًا ثقيلا، ولو سألت طيارًا لقال لك إن أصعب دقائق الرحلة هي الإقلاع، هذا كل مافي الأمر فلا تكبروا المسألة و لاتنسوا ربط الأحزمة كان الله في عونكم!

الأطفال لا يجيدون لعبة السياسة

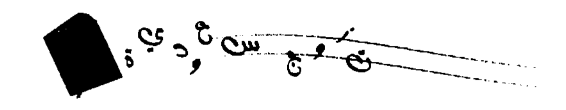
لا شك أن الأطفال لا يعرفون شيئا عن السياسة فهي لعبة الكبار فقط، والسياسة هي لعبة الفن الممكن وأحيانا المستحيل، بل لعبة الألعاب التي تشبه المروق فوق جبل من علو شاهق ربما تشبه لعبة الأكروبات الماهرة، لكنها بالتأكيد لعبة لا يجيدها الأطفال وإذا ما حاول الأطفال أن يفهموا شيئا عن السياسة فستبدوا أسئلتهم عنها غاية في الطرافة والنصاعة كما فعل الأطفال الذين بعثوا للرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» برسائلهم التي تحمل أسئلة يستفسرون فيها عن أمور محيرة بالنسبة لهم.

أحد الأطفال يسأل الرئيس:

-«سيدي الرئيس عندما تطلب بيتزا هل يستوقف الحراس عامل البيتزا ليحققوا معه أو يفتشوه عند بوابة البيت الأبيض؟ ألا تبرد البيتزا؟!».

أو في سؤاله ماذا يفعل حراسك عندما ترغب في الذهاب إلى الحمام، هل يدخلون معك ؟

لم أعد أتذكر منها غير هذين السؤالين حتى رأيت صورة للطفل البريطاني «فريدريك» الذي أخفق في أول درس له في تعلم السياسة حين حمله والداه بباقة من الزهور البنفسجية ووقفا معه إلى جانب الطريق الذي ستمر منه الملكة البريطانية اليزابيث الثانية أثناء الاحتفال الذي تقيمه جامعة أوكسفورد بمناسبة الذكرى السبعمائة والخمسين لتأسيس كلية



«يونيفرستي» أقدم كلية في جامعة أوكسفورد وعندما مرت الملكة لكز الأب الذي يحمل «فريدريك» ليقدم الباقة للملكة، إلا أن الطفل صاح وبكى وشد باقة الورد ناحيته قائلا:- لا! إنها لي إنها باقتي !!!

فما كان من الوالدين إلا أن غرقا في ضحك طويل ولم يتصببا عرقا، بينما لم تسمح التقاليد الملكية للملكة «اليزابيث» بغير طرف ابتسامة خفيفة وتجاوزت «فريدريك الخايب».

لكن والد «فريدريك» أكثر حظا من والد ذلك الصبي العربي الذي يعيش تحت نظام صارم من تبجيل الرؤساء ويقال أنها ليست أكثر من طرفه وقد خففتها مرارا لكنها تظل ثقيلة حيث تقول إن رئيسًا عربيًّا، أخذ يمشي في الطريق أثناء احتفال شعبي موهومًا بصورته الشعبية الدعائية وحين مر بطفل صغير أراد أن يزهو بصورته الدعائية هذه فسأل الرئيس الطفل: هل تعرفني يا شاطر؟.

رد الطفل: نعم أعرفك أنت الذي كلما ظهرت صورتك في التلفزيون بصق أبي على التلفزيون!!!

فما كان من الأب إلا أن خطف ابنه ورفعه عاليا بين يديه وركض يصيح: «لمن هذا الصبي الضائع» !!

أبيض وأسود

يتعالى المثقفون على الكرة، وكل من يحب أن يبدو مثقفاً، أو أديباً، عليه أن يزدري الكرة، لذا صارت سمة التعالي على الكرة سمة المثقفين والأدباء، والمتأدبين، والمتثاقفين، والدخلاء، فهم يرون أنفسهم مشتغلين بعلوم، أهم فكراً، ويبدو أن الكرة تثير مشاعر الحقد والغيرة لدى المثقفين، لأن جماهيرها تكتسح الملاعب بالآلاف أكثر مما تملأ ساحات النوادي الأدبية، والصوالين الثقافية، ولأن نجوم الكرة الذين لا تعادل ثقل أرجلهم رؤوس المثقفين الذهبية يحظون بالاهتمام،وتدفع لهم الأموال، فهل حقا تستحق الكرة كل هذا التعالي؟

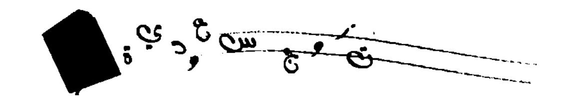
موقف التعالي ليس موقفا جديدًا، وهو موقف موروث، أكثر منه موقفاً نقديّاً مستقلاً، فمنذ ظهرت الكرة ونصيبها النكران والتعالي، فمنذ قرون نظر المثقفون المحافظون، لكرة القدم على أنها نوع من المس الذي يصيب الغوغاء، التي تفكر بأقدامها، وهذا من خصائصها حيث تجد نفسها في هذه المتعة التبعية، وحيث تفوز الغريزة البهيمية والجهل على الثقافة، وهكذا تحصل الدهماء على ما تريده، وبالمقابل فان مثقفي اليسار، يزدرون كرة القدم، لأنها تشل الجماهير، وتحرفهم عن عملهم الثوري التقدمي، وتمارس عليهم سحرها الخبيث، فيصابون بضمور الوعي، مما يتيح لأعدائهم الطبقيين أن يسوقوهم كالقطيع، والاشتراكيون يرون في الكرة مؤامرة

إمبريالية للإبقاء على الشعوب في طور التخلف لكن تلك المواقف لم تعدم من يخالفها، فخرج من المثقفين اليساريين فيلسوف مثل غرامشي الإيطالي وامتدح كرة القدم وقال عنها «إنها مملكة الوفاء البشري التي تمارس في الهواء الطلق» أما تشي غيفارا الثائر الأرجنتيني الشهير ففي عام 1952وقبل أن يصبح «تشي» ثائرا وبطلا كان مدرباً لفريق كرة قدم، والبير كامو الكاتب الفرنسي الشهير كان حارس مرمى فريقه في جامعة الجزائر، وقد اعتاد اللعب كحارس مرمى، لأنه المكان الذي يكون فيه استهلاك الحذاء أقل، فقد كانت جدته تضربه وهو طفلا لو وجدت حذاءه متآكلاً، ويقول «كامو» إن الكرة علمته دروساً كثيرة في الحياة، استفاد منها فيما بعد وضمّنها كتبه، أهم هذه الدروس التي تعلمها أن لا يشعر أنه بطل أسطوري إذا فاز أو أنه قمامة إذا فشل.!

وإذا تأملنا عالم الصحافة اليوم سنجد أن رؤساء أهم الصحف السعودية دخلوا الصحافة عن طريق كرة القدم، الكرة لم تتسبب في عزل أصحابها عن المبادئ والمشاعر الإنسانية الراقية ولم تحجب سحبها الوعي بقضاياهم الوطنية، تشي غيفارا حرر كوبا من الاستعمار وغرامشي ألف العديد من النظريات وكامو كتب الكتب الرائعة فيما بقي البعض يشجب الكرة دون أن يفعل شيئاً.

الكرة في ظني مجرد لعبة كرة قدم أفضِّل أن يلعبها ابني ويعرق ساعتين في الهواء الطلق على أن يقابل البلاي ستيشن ويسجل عشرين هدفًا بإصبعين وهو يأكل الفشار، كرة القدم تحرر الطاقات والعقول لكننا نحن عادة من يفسدها، كعادتنا

في إفساد معظم الأشياء، نحن من يسقط عليها كل أمراضنا السياسية والحزبية والعنصرية والاجتماعية ثم نلوم الكرة الملونة بالأبيض والأسود.

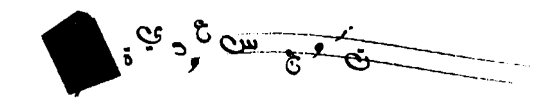


أوهام كروية

اختلطت الأوهـام في الكرة كما تختلط في الحياة لأن الذين يلعبونها هم من يعيشونها، ولعل الوهم الكبير قام بطرده مـدرب السنغال الفرنسي «برونو ميتسو» وطـرد معه جماعة المشعوذين والسحرة الذين لاحقوا الفريق السنغالي لإحاطته بطقوس سحرية تضمن فوزه وتكسر رؤوس خصمه. المدرب الفرنسي المسلم الذي أشهر إسلامه وتزوج من «رقية» السنغالية - التي لا شك هي من يحتاج لتعويذة لحمايتها من كل حاسد وعين - وقف في وجه الشعوذات وفاز. والسنغاليون لم يكونوا وحدهم فالكاميرون أيضاً أشعلت بخورها وأطلقت تعاويذها، ووقف مدرب الفريق الألماني منها موقفاً حياديّاً، قائلاً: «أنا شخص أوروبـي وهذه أمـور تخص الأفـارقـة». لأن هناك من يؤمن بأن لعبة كرة القدم، مجرد لعبة حظ، وأقدار، فإن ذهنية التواكل تبرز كمحرض للبحث عن كل ما يضمن الفوز عدا العمل الجاد، والمواظبة عليه، ولهذا تبحث هذه الذهنية عن ما يدعم نفوسهم التواقة للفوز بإطلاق البخور، والتعويذات، ويرجع لهؤلاء الفضل حين يفوز فريقهم، آمل أن لا يكون فوز السنغال على بطل فرنسا تعويذة صدقها الجميع ولم يلتفت أحد لإخفاق التعويذة بخروجهم من المونديال. وفي عامي 1986و 1990لم يسمح كارلوس المدير الفني للمنتخب الأرجنتيني للاعبيه بأن يأكلوا الدجاج لأنه يجلب لهم سوء الطالع وكان يجبرهم على أكل لحم البقر مع أنه يسبب لهم

زيادة في نسبة حمض اليوريك، وبيرلوسكوني صاحب نادي ميلان كان يمنع المشجعين من غناء أغنية ميلان الشهيرة لأنها تبعث موجات خبيثة تشل أقدام اللاعبين وألف لهم نشيداً جديداً اسمه «ميلان يا قلبي»، وفي منتخب كولومبيا لم يظهر أهم لاعب هجوم فيه أدنى حماس للعب لأنه كان خائفاً وشبه مشلول بسبب تصديقه لنبوءة قالت له إنهم سيهزمون فحرم فريقه من الفوز بسبب خوفه، وفي مونديال 1994م أكد المختصون بالعلوم الخفية في إيطاليا فوز فريقهم على البرازيل ولكن سحرهم أخفق وفازت البرازيل عليهم. وكثير من اللاعبين تسحرهم الأوهام فيربط على معصمه شريطاً، ومنهم من يقبّل قائمة المرمى وآخرون يلمسون العشب ويرفعون أيديهم للسماء، وإذا ما انحرفت رمية الجزاء فلأن أحداً بصق على الكرة وإذا ما ضيع هدفاً مضموناً فلأن ساحراً ما قد أغلق مرمى الخصم، وحارس المرمى الأرجنتيني أمضى ثماني مباريات ومرماه لا يمس بفضل قدرات قبعة كان يعتمرها في الشمس والظل ضد شياطين الأهداف. وفي مساء أحد الأيام سرق منه القبعة لاعب من الخصوم فلم يستطع صد هدفين وخسر فريقه المباراة، ومن أجل استدعاء الأرواح الخبيثة ينثر المشجعون الملح في ملعب الخصوم، والرز والقمح في ملعب فريقهم، واللاعب الأرجنتيني في مباراة محلية خرج بعد فوزهم من الملعب دون أن يمر بغرفة الملابس لأنه قطع على نفسه نذراً أن يجتاز مدينة ريو دي جانيرو من أقصاها إلى أقصاها سيراً على الأقدام. وفعل.

إن حمى الرغبة في الفوز مع هشاشة في التفكير تدفع



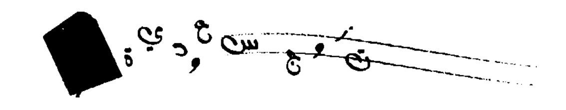
البعض للتصديق بأن تعويذة قادرة على شحذ همم اللاعبين ودفعهم للفوز، ونبوءة مشؤومة، قادرة على شل أقدامهم، واستسلامهم للهزيمة، بروح خاوية، منتفضة. قبعة تمنع الأهداف، وملح يجلبها، لكن الحسبة الرياضية عند ذهنية المتواكلين لا ينتبهون إلى أن معظم الفرق صاحبة الكؤوس لعبت وفازت دون مشعوذين، بينما هم خرجوا من المونديال رغم الأدخنة التي أعمت عيونهم وقلوبهم عن الإيمان بالله ثم بالعمل الجاد.

الممنوع المرغوب

..لأن مشاهدي الدرجة الثالثة، أمثالي، عادة حين يهتمون بالمباريات من باب المشاركة الاجتماعية، فهم يهتمون بكل ما في الكرة باستثناء أين تذهب الأهداف، فحين ظهرت كوستاريكا وهي تلعب مع إيطاليا ذهبت أفتش في الموسوعة الجغرافية عن موقع كوستاريكا واكتشفت أن هذا الفريق الذي لعب بجدارة ووصل إلى نهائيات كأس العالم، مجرد بلد جبلي صغير في أمريكا الوسطى، يقع على البحر الكاريبي شرقا ويطل على المحيط الهادئ من الجنوب الغربي، ولا يتجاوز عدد سكانه ثلاثة ملايين. وقد وجدت أن أفضل وسيلة لإيقاظ جمهور الكرة الصغير في بيتنا هو فتح التلفزيون فقط وترك المذيع يصرخ: «قووول» ليقفزوا من سررهم، وعليّ أن أتبين من يلعب، لأجيب بدلا من صباح الخير على سؤال: من الذي يلعب؟. ومع الوقت وبسبب هدير «الأقوال» شعرت يوما بعد يوم أن رأسي ينتفخ بالهواء وكدت أرى وجهي ملوناً بالمربعات السوداء والبيضاء، فرحت أقرأ عن تاريخ كرة القدم فوجدت كتابا يلخص كرة القدم في جملة مختصرة ومكثفة تقول «إن كرة القدم هي رحلة حزينة من المتعة إلى الواجب». حيث تحولت الكرة إلى صناعة للربح أو منع الطرف الآخر من الربح. وفي عرض تاريخ الكرة الشيق، يذكر أن الكرة ظهرت قديمًا، وكالعادة عند الصينيين السباقين في كل شيء، وقد كانت كرتهم مصنوعة من الجلد ومحشوة بالقنب، أما المصريون، فقد صنعوها من القش، أو

من قشور الحبوب، وكان الإغريق يستخدمون مثانة جاموس، منفوخة، ومخيطة، أما الكرة المطاطية التي تنتفخ فلم تعرف إلا في أواسط القرن العشرين فقط، بفضل عبقرية أمريكي، اسمه تشارلز غوديير، من أمريكا الشمالية، ومنذ مونديال 1938فقط صار بالإمكان ضرب الكرة بالرأس دون خوف من الأذى، الذي يسببه الرباط، المستخدم في ربط الكرة، ومن الرومان انتقلت الكرة إلى الجزر البريطانية، وكانت قبائل «الأزتيك» تضحّي بالفريق الفائز بعدما يطلون أجسادهم بالأحمر ويقدمونهم قربانا للآلهة -، ربما لهذا السبب سمح بعض الفرق بأن تخرج بهزيمة ثمانية أهداف مقابل لا شيء-، لأن العقل اللاواعي يحتفظ بالتجارب التاريخية للأجداد!. كانت كرة القدم تخلف ضحايا كثيرين. فقد كانوا يتنافسون في جماعات كبيرة وكان المرمى في الوسط، وكان اللاعبون، يسعون ألا تلمس الكرة الأرض دون أن يلمسوها بأيديهم ولم يكن هناك تحديد لعدد اللاعبين ولا لمدة اللعب ولا لشيء آخر. يعني اللاعبون يلعبون لساعات حتى يتساقط معظمهم أو (يأذن عليهم «العشا»)، وكان أبطالها يتبادلون الحديث ويدخنون حين تكون الكرة بعيدة، كانت كرة القدم صورة مجازية للحرب، فكان شعب بكامله يتبادل ركل الكرة ضد شعب آخر مما ينتج عن كميات الركل بالأقدام والأيدي ضحايا بعدد كبير، ولهذا مهر الملك إدوارد الثاني عام 1314، وثيقة تدين هذه اللعبة الرعاعية الصاخبة، التي تنتج عنها شرور كثيرة، ووصفها الملك إدوارد الثالث 1349م، بأنها «من ألعاب الحماقة التي ليس لها فائدة» وقد منع الملوك هذه اللعبة التي ليست

لها فائدة لكنهم كلما كانوا يمنعون لعبها كان اللعب يزداد.
هذا القانون الشائع عالميًّا «الممنوع مرغوب» والذي لم نتعلمه أبداً رغم أن الزمن يكرره على مسامعنا كل يوم وليلة، مساحة الكتابة انتهت اليوم لكنني لم أخبركم بعد عن صاحب الهدف رقم ألف، فإلى اللقاء



من الظل إلى الشمس!

شاعت شتيمة «اذهب ياﻻعب الكرة الحقير» دلالة على احتقار اللاعب ووضاعته في المجتمع عندما كان المجتمع الراقي ينظر للكرة كلعبة لا يلعبها الا الرعاع وقد استخدم هذه الشتيمة شكسبير في مسرحيته الملك لير عام 1592، حتى جاء زمن الملكة فكتوريا فلم تعد الكرة رذيلة جماعية يمارسها الرعاع وحدهم بل فضيلة أرستقراطية، وهي توفر التسلية للفقراء وتبعدهم عن الإضرابات والأفكار الخبيثة.

تحدت الكرة القوانين الطبقية والرسمية، وشاعت في العالم من هنود الغواراني، إلى المكسيك ومن أمريكا الوسطى إلى بريطانيا، ثم تحولت كرة القدم سلعة بريطانية للتصدير لا تقل شهرة عن أقمشة مانشيستر أو قروض مصارفها الشهيرة، نمت كرة القدم من الأحياء الهامشية، لأنها رياضة لا تتطلب نقودًا، ويمكن ممارستها دون أي شيء آخر سوى الرغبة في اللعب، في الحواري، وفي الأزقة، وعلى الشواطئ كان الفتيان المحليون، والشبان المهاجرون، يرتجلون مباريات بكرة مصنوعة من جوارب قديمة،ومملوءة، بخرق قماشية، أو بورق، فتحولت كرة القدم لهوى شعبي، تتمتع بأقصى درجات الديمقراطية، فهي متاحة للجميع، للعامل والسائق، وأشبال الطبقة الراقية، وتطورت قوانين اللعب، التي لم تكن تشبه على الإطلاق قوانين اللعب الحالية، فقد كانت أبعاد الملعب بلا حدود، والمرمى في الوسط وليس هناك حارس مرمى،

حتى عام 1871م، جاء حارس المرمى ليكون الاستثناء الوحيد في تحريم مسك الكرة باليد، وليكون المسكين المسؤول عن كل ذنب فيما هو، محروم، يراقب الكرة من بعيد، وقد كانت المباريات تستمر ساعتين أو ثلاثاً وفي ذلك الزمان لم يكن أحد يشغل مكانا معينا أي هجوم أو دفاع، فالجميع كانوا يركضون مبتهجين وراء الكرة، ولكن التسلل كان معروفاً فقد كان من غير المقبول تسجيل أهداف من وراء ظهر الخصم، وكان الفاول يستحق عقوبة ولكن يمكن للاعب المتضرر أن يقبل الاعتذار من المذنب طالما كان اعتذاره صريحًا، ومصاغا، باللغة الإنجليزية السليمة، وكان اللاعبون حتى 1872 يلعبون دون حكم وهم حكام أنفسهم، وعند دخول القرن العشرين 1904 ولدت «فيفا» أي الاتحاد الدولي للكرة التي صارت تحكم منذ ذلك الحين وأدخلت تعديلات كثيرة على الكرة وعلى قوانينها، لكن كرة القدم كما يرى إدوارد غاليلو مؤلف كتاب «الكرة في الشمس والظل» تحولت من متعة خالصة إلى عقوبة وتضحية. يدفع ثمنها اللاعبون بعمر قصير في الملاعب ينتهي بإصابات في الركبة وإنذارت وشتائم حين يهزمون.

شكرًا بن لادن

لست أول من شكر بن لادن، شكره قبلي كثيرون! عبروا فيه عن شكرهم لـ بن لادن الذي أسدى عملاً عظيمًا للمسلمين والعرب بزيف مشروع سياسي معين، وكشفه لأميركا أنها لا يمكن أن تدعم الإرهاب والمنظمات الإرهابية وتبقى بمعزل عن أذاها!

وغيرنا كثيرون، يتنفسون براحة الآن. مع أسفهم الشديد لهذا الثمن الغالي من الدماء. لأنهم وصلوا مع بن لادن إلى نقطة في نهاية سطر مجنون، افتقد المنطق والإنسانية والصدق، لكن كثيرين صدقوه وكذبوا القارئين المختلفين عنه عندما وصفوه بأنه سطر من وهم وخداع، كذبهم مجتمع اليمامة كما فعلوا مع زرقائهم قديمًا التي حذرتهم، فما صدقوها حتى باغتهم العدو.

شكرًا بن لادن لأنك أوقفت نزيف أموالنا وعقولنا، إن كان ما حدث مر بالعقول! شكرًا بن لادن لأنك كشفت للعالم كله أن لا أحد ينام مع العفاريت والشياطين والحيات والعقارب مهما قوي عزمه وكبر سلطانه وجبروته وسلم من رعبها وعضاتها ولدغاتها وسمومها!

شكرًا بن لادن لأنك شققت قلوب المدعين للإسلام وكشفت عن نواياهم وأعمالهم بعد أن ضلت شعاراتهم وخطاباتهم وبكاؤهم على الإسلام المنهزم، وحرصهم على القيم وحراسة الأخلاق!

شكرًا بن لادن لأنك أيقظتنا من غفلتنا واستسلامنا

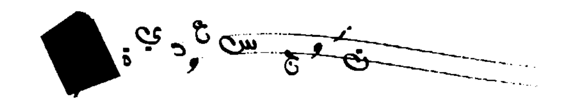
لشعارات وقيم لا نطبقها مثل: أن الدين النصيحة، وأن المسلم حرام دمه وماله، وأن من قتل معاهد لن يشم رائحة الجنة، لكننا لا نطبق إلا قيم التقاتل على السلطة والضلالة في دروب الفتن!

شكرًا بن لادن لأنك فجرت أنفاق الشعارات الكاذبة، لتفتح لنا براري وفضاءات حرة من التأمل والتفكر بأن الإسلام هو دين العقل والحق والعدل والحكمة!

شكرًا بن لادن لأنك نزعت عنا الخيام التي تستر خاطفي أبنائنا بها، وغطت عوراتهم عشرين عامًا، من دون أن نفطن أنها كانت تغذي الدود في عقولهم، ليأكل بذور التفكير والتدبير، ويحولها إلى مواسير معبأة بالبارود والقسوة واليأس من الحياة!

شكرًا بن لادن لأنك أوقفت زراعة المخدرات التي يتنشقها أبناؤنا من أحلام الجنان والحوريات فيغيبون عن الوعي بالحياة، ويسبحون في غيبوبة الموت.

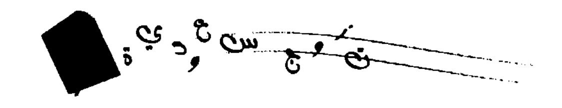
شكرًا بن لادن لأنك أنقذت حياتنا القادمة، ورميت لنا بطوق النجاة من الغرق في بحور الشيطان المتلبس بحوريات النعيم!



تبونا نصير زي الغرب..!

ينقسم الناس في هذا الشأن بين قسم شاك من فعل يشكو وقسم شاك من فعل يشك. ففي حين يطالب الشاكون ببرامج تحديث المؤسسات والنظم حتى يرتاب الشاكّون بما هو غربي «وقالوا أيه تبون تصيرون مثل الغرب» وعندما ينادي هؤلاء بفتح حوار مع الغرب حتى يرتاب الشاكّون بأن تلك دعوات حضارية مغزاها التوحد مع الغرب وإذا نادى الشاكون باستحداث مناهج علمية وملاحقة التطور التقني الحديث حتى يقلب الشاكّون عيونهم قائلين «ما كنهم يبونا نصير زي الغرب» وحين يطرح برنامج إزالة الأذى عن الطريق وحفظ النفس من التهلكة عن طريق برامج للحفاظ على البيئة أو فتح قنوات إعلامية حتى تقابل بالشك الغربي. حتى حزام الأمان جار عليه ما جار على غيره فصار عادة غريبة وليس وسيلة أمنية وحين تطرح قضية حقوق المرأة التي كفلها لها الإسلام وتقنين وسائل حمايتها من الضرب والتشريد وحفظ نفقتها ومالها يقولون: ماذا!؟ حقوق المرأة آه واحدة من مؤامرات الغرب ودسائسه حتى أن طلب المرأة لاستصدار بطاقة مدنية خاصة بها مثلها مثل الرجل تصبح دعوى غربية وليست وسيلة تنظيمية لدور المرأة الذي تغير فأصبحت موظفاً له حساب بنكي وكادر وظيفي وحقوق مالية تستحق التنظيم وعلى المرأة إن تلجأ للتوسل بالطريقة إياها أو التسول «ماذا أفعل إذا ما كنت أرملة أو مطلقة أو مشلولة أو أهلي كلهم ميتين أو وقع لنا حادث ومات كل أهلي» لتكسب مثل

هذا الحق وأغرب أشكال الارتياب أن أحد الباحثين التراثيين أدلى برأي بحثي فأنقض عليه زملاؤه فرد عليهم أن فعلهم مؤامرة غربية، حتى صار الغرب مصطلحاً لمعنى الشر فما عدنا نعرف الفرق بين ما هو شر غربي وما هو شر من أنفسنا وتصبح البرامج العالمية التي يخترعها الإنسان من أجل سلامته ورفاهيته وحمايته ومن الأمراض واختصار الوقت والجهد في التنقل والحصول على المعلومة مصادر معرفية شريرة لأن مصدرها غربي، وفيما هذا الشاك يركب سيارة أمريكية ويتصل بهاتف ألماني ويأكل في صحن فرنسي ويبتلع لقيمات رز هندية ويشخص في حذاء إيطالي ويتبرد بمكيف أمريكي ويتدفأ بمدفاة يابانية ويزين رأسه بغترة إنجليزية، إلا أن يحتفظ بحق الشتم والتشكيك لنفسه على المستوى الثقافي اللغوي فقط. ويصور لنا الشاكّون من فعل الشك أن مجتمعاتنا مصنوعة من الكارتون أي شيء قادر على هزها والتطويح بها، فأي فيلم رديء النسخة والمحتوى أو أغنية مشبوهة أو كتاب مرتزق قادر على أن يطوح بمجتمعنا بعيداً، وأخاف أننا لن نكون قادرين على استعادة مجدنا العربي والإسلامي ونحن على هذه الحال إلا على طريقة النكتة التي تقول بأن كلينتون الرئيس الأمريكي أحب الأطمئنان إلى مستقبل أمريكا فأحضر ساحراً يقرأ له طالع أمريكا فسأله: بعد مائة عام من سيحكم العالم؟.. قلب الساحر بلورته ثم قال: العرب! قال الرئيس: أعد لمحاولة لابد أن هناك خطأ ما !.. لكن الساحر يؤكد له ثلاث مرات: أنهم العرب.. فسأل السيد كلينتون لماذا أين أمريكا أين فرنسا أين الصين؟.. قال الساحر: جميعهم ذهبوا للعيش في المريخ..!

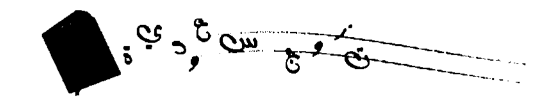


صقر أم دجاجة

سمعت في حكاية طريفة:أن بيضة لصقر تدحرجت وسقطت في عش دجاج، كما يحدث دائما في روايات الأطفال. فقست بيضة الصقر مع فراخ الدجاج الصغار، فنشأ الصقر على طباع الدجاج يدب على الأرض ويأكل من خشاشها وبياسها، ويقأقئ كما تفعل الدجاجات الصغيرات ولم يجرب مرة ان يحلق بجناحيه في السماء والعيش في المرتفعات. وذات مرة والصقر شابًا واخوانه من الدجاج ينقرن في الأرض، رفع رأسه فرأى صقرًا يحلق بزهو على ارتفاع بعيد ويطير حتى يغيب عن العين، ثم يعود يصفق بجناحيه الطويلين، فسأل الصقر: من هو هذا الطائر البديع؟ قالت الدجاجة الفهيمة: معك حق يا أخي انه طائر بديع ألا تعرف من يكون انه الصقر، ملك الطيور وسيد المرتفعات انظر ما أجمل جناحيه وريشه! فما كان من الصقر إلا ان قال: إيه مالنا وماله فما نحن إلا دجاج قأ قأ قأ...!

وعلى عكس هذه الحكاية التي تشير إلى أننا مربوطون بتصوراتنا عن أنفسنا تبعًا للمثل الذي يقول: أنت كما تظن لا كما تكون يأتي فيلم هروب الدجاج للمخرج بيتر لورد ودينك بارك ليقول شيئا مغايرًا أيضا فالفيلم يدور في مزرعة للدجاج تعيش تحت قسوة السيد والسيدة تويدي والتي وصلت في تأزمها إلى أن قرار تحويل مزرعة الدجاج إلى مصنع لفطائر الدجاج ليربحا أكثر من البيض الرخيص فتقرر الدجاجة

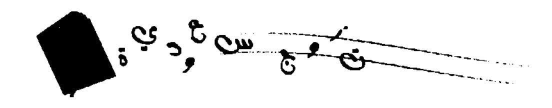
الحساسة والذكية الفرار مع عائلة الدجاجة كلها - خصوصاً بعد ان تفرجوا على آلات تقطيع وفرم ورص لحم الدجاج - إلى ما هو أبعد من سياج المزرعة. لكن المشكلة هي أن الدجاج لا يطير وكل محاولاته المتواضعة تتكلل بالفشل. حتى رزقهم الله بديك سقط عليهم من السماء فظنوا جميعا أنه يطير بأجنحته، فطلبوا منه المساعدة لكن الديك النصاب لم يكن غير طائر سيرك يطير بقوة دفع وليس بجناحيه هرب منهن في ليلة دون قمر. وبعد محاولات متواضعة بعضها كوميدي وبعضها تراجيدي رفيع الحبكة ينجح الدجاج في الفرار إلى الضفة الأخرى حيث لا فرامة لحم ولا خبز توست يحشى بلحم الدجاج. أجمل ما في الفيلم أنك تنسى أن شخصيات الفيلم من الكارتون أو دمى من الصلصال فالدجاجة جنجر تعكس بحساسيتها ضد الظلم وذكاؤها وعنادها مشاعر رقيقة تشبه مشاعر البشر ينجح المخرج في تنفيذها وتقديمها كفيلم. ولم يمنع الدجاج كونهن دجاجًا من أن يتعاطف معهن المشاهد في لحظات التوتر والتحفز التي اعتادت الأفلام على رشها كتوابل للفيلم فتتمنى من قلبك أن ينجح الدجاج في الهرب. إنه فيلم لا تعرف هل هو للصغار أم للكبار أم للدجاج. لكنه فيلم يصلح للأطفال في بساطته ويصلح للكبار في فلسفته. والحقيقة الواضحة إلى حد كبير في قصتَي الصقر والدجاجة أنك قد تمتلك كثيرًا من القدرات التي لا تستخدمها ولا تفكر حتى في اختبارها فتعيش صقرًا في ثوب دجاجة بينما الدجاجة جينجر تجرب ما هو فوق قدرتها وتنجح لأن الأمل يصنع المستحيل.



المقعد الخلفي

قالت قريبتي: لقد قررت التوقف عن تصديق الأوهام الكاذبة والركض خلف مسابقات المليون التي أصرف عليها نصف راتبي شهريًا، خصوصاً أن كل من يفوز بها لابد أن ينشروا غسيله ويظهروا أنه قبل أن يربح الجائزة عاجز عن تسديد إيجار بيته أو يحتاج لعملية خطيرة لا يملك ثمنها أو لا يستطيع شراء كمبيوتر لولده وقد أنقذته الجائزة فتحولت الجوائز إلى صدقات يجب أن يقول الفائز بعدها «جزاكم الله خيراً». لذا فقد قررت أن أعتمد على نفسي بجمع النقود التي لن تصل في يوم من الأيام لمليون لكن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة. وبعد عام ونصف أعلنت لزوجي أن برنامجي للتوفير قد أسفر عن مائة ألف ريال فهلل زوجي بها كثيراً وأخبرني أن أفضل ما أفعله هو شراء سيارة جديدة لي فقد تعب من اللف والدوران بسيارتي العتيقة على الورش وأن السيارة التي تبدأ بأكل الفلوس لا يفيد معها إلا البيع فتوكلنا على الله وبعنا السيارة وزدنا عليها المائة ألف ورشح زوجي سيارة جربها هو وبقي لي اختيار اللون. ذهبنا إلى المعرض وجلست مع زوجي في المقعد الأمامي وهو يسوق وأنا أتفرج على امتيازاتها الفاخرة ولساني لا يعرف غير جملة واحدة «ما شاء الله.. ما شاء الله» مقاعد الجلد، الفول أوتوماتيك شريط الديسك لا يحتاج إلا إلى كبسة رز لينتقل من أغنية لأغنية وشريط الكاسيت، ومكيف الهواء، عصا التعشيق الرخامي «ماشاء الله ما شاء الله».

اشتريت سيارتي في شهر آب اللهاب فقطست من الحر من المشوار الأول. وربما لهذا السبب قلت لزوجي إننا على ما يبدو أخذنا مقلباً في السيارة فالمكيف لا يبرد جيداً وهذه أولها.! أخذ زوجي السيارة وجربها وعاد قائلاً أن المكيف يعمل جيداً وأنه قادر على تحدي حر آب اللهاب لكن عليَّ أن أرفع درجة التبريد لكوني في المقعد الخلفي وفعلاً كان هذا الحل كل ما أحتاجه لكن سائقي صار يصاب بنوبات برد متكررة ولا أعلم لماذا.! ثم صار سائقي «يرتبش» كلما أعطيته أمر (افتح المكيف، ارفع صوت الراديو، غيّر المحطة، اكبس الزر الأيمن، لا ليس هذا، بل الأعلى، اضغط «سكيب» لا ليس هنا، تدري، اترك كل شيء وانتبه للطريق.!) قررت أن استغني عن كل خدمات سيارتي أو أن أقوم أنا بتشغيل كل الترتيبات التي أريدها قبل الخروج من البيت ثم أقول بعدها للسائق: «سوق»! حمدت الله أنني لم أستمع لنصيحة الوكيل واشتري الموديل الأغلى الذي يتمتع بشريط ديسك يكشف خريطة الرياض ومواقع الازدحام عن طريق الأقمار الصناعية ثم بدأت أحسب ثمن الامتيازات التي دفعت ثمنها والتي تقبع في المقعد الأمامي، ولم استفد منها، وعليَّ أن أدفع ضعفها لتتوفر في المقعد الخلفي. لذا كتبت خطاباً لجميع وكالات السيارات أن ينقلوا جميع الامتيازات والاكسسوارات الفاخرة إلى المقعد الخلفي ويضعوا على نوعها «سيارة نسائية» ورغم هذا ستبقى لدينا مشكلة، «لف يمين لف شمال» ولن تحلها غير نقل «الدركسون» في الخلف والإبقاء على دواستي البنزين والفرامل في المقعد الأمامي رغم أن هاتين قد نحتاجهما أحياناً لكن تدرين ما عليش خلوها قدام!!



قريبتي تكبر المسائل وهي صغيرة... عزيزتي المرأة فقط جربي المقعد الخلفي قبل شرائك السيارة !!

باي باي مونديال

يخطئ في الحساب من يكتب عن الكرة وهو لا يحبها فيبتعد عن الموضوعية لأنه يكتب عن موضوع لا يحتاج إليه، وفي هذه الأمور تبرز الفلسفة دون طائل، أنا شخصيًّا وكل مشاهدي الدرجة الثالثة مثلي نتعامل مع هذه الكرة بحذر فلا نفتي فيها إلا بالقليل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع لكنني كل دورة كأس عالمية تمر كل أربع سنوات أجد نفسي لا أقاوم الحديث عنها. وأتفرج على الفرق الذهبية التي ودعت المونديال بأسف شديد مثل ذلك اليوم الذي خرجت فيه فرنسا من الدورة ، فأعلنت حكومتها يوم حداد على هزيمتهم ومن ودعها بالبكاء والحسرات كالأرجنتين وقد بدت فاجعتهم بهزيمتهم كفاجعتهم بإفلاس بنكهم القومي، بينما رقصت السنغال أحلى رقصاتها وهي تحيي جماهيرها بعد تغلبها على السويد، وقد كاد خروج منتخب السعودية عام(2002 م) أن يكون عاديًّا أمام خروج الأبطال لولا كارثة الثمانية أهداف والعشم الكبير الذي جعل كثيراً من السعوديين يشتركون في قنوات الكرة المشفرة ويحضرون في عطلة الصيف مخدة كبيرة ظناً بأن متعة الصيف ستطول ليجدوا نفسهم في أول يومين يتحولون لتشجيع المنتخب التونسي كأمل عربي، ثم تحولت إلى السنغال ولاعبه الحاج ضيوف. لم يهتم أحد بالذكرى الخمسين لاعتلاء ملكة بريطانيا العرش لأن البريطانيين مشغولون عنها بفريقهم البريطاني الفائز وبأهداف ديفيد بيكهام الذهبية وبشعره

الـذي سرحه بالجيل مقابل ثلاثة أربـاع مليون دولار، وعلى مشهد تساقط نجوم الكرة واحداً إثر الآخر وأبطال الكؤوس وهم يلملمون أذيال الهزيمة، فبدا الصيف ساخنا كله بسبب كرة انقسم العالم فيه إلى نصفين، عالم يهتم بالكرة وعالم لا يهتم، والكاريكتيرات أيضا تحولت للاهتمام اهتمت بالكرة حتى «شيبان» كاركتير «الهليل» السعودي الذين لايجيدون حفظ أسماء الفرق تابعوا مع العالم كرتهم، والـزوج في كاريكتير «ربيع» ترك زوجته في ليلة عرسه وحيدة وطارت عيونه وراء الكرة في التلفزيون، وفي كاريكتير آخر تظهر فيه الزوجة وقد وجدت في سريرها الزوجي انتفاخات وتدويرات فكشفت الغطاء ظنا بأن امرأة ما تشارك زوجها السرير لكنها لم تجد سوى كرات، وكرات، أما الكاريكتير المرعب فكان عن الأطباء الذين اجتمعوا على مريض في غرفة العمليات وبطنه مفتوح ورئيس الجراحين يقول «شهلوا يا جماعة نبي نلحق على المباراة» والحقيقة أن كل الموظفين الذين تسربوا من وظائفهم في الصباح يوم لعب منتخبهم الوطني بعذر أن زوجاتهم مريضات بدا معقولا أمام عذر هؤلاء الأطباء الذين يريدون أن يلحقوا المباراة وبطن الرجال مفتوحة. واليابانيون المشهورون بالعمل الجاد أصبحوا يتسللون بعذر الذهاب لدورات المياه ويسرقون آخر الأخبار من متابعي الكرة، وجمهور الشارع يستطيع متابعة الكرة مع شرطي المرور الذي يضع تلفزيونا صغيرًا على سيارته ويتابع الكرة، كل هذا الجنون العارم حيال الكرة لم يعد غريباً على العالم ونصيحتي المجانية التي أقدمها دائمًا في مثل هذه الأوقات «إذا رأيت العالم كله يشرب من نهر الكرة المجنونة،

وينجن، فعليك أن تشرب من النهر نفسه وستجد أن طعمه أقل مرارة من بقائك وحيدًا».

يا بنت!

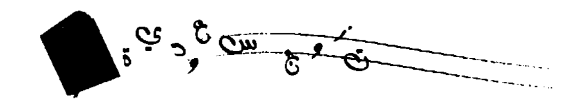
في غرفة انتظار النساء في المستشفى اكتشفت أن جميع السيدات اللواتي يشتركن معي في الغرفة اسمهن (بنت) مهما كبر سنها أو حجمها، لأن رجلها من خارج الغرفة يناديها يا (بنت) تجنبًا لإذاعة اسمها على الملأ مما قد يجلب له العار أو الشعور بالحرج، بينما الممرضة الفلبينية لا تفطن للأمر فتقرأ اسم المريضة في الممرات بصوت عال. كل السيدات اللواتي يشتركن معي في غرفة انتظار النساء المغلقة يتركن أغطية وجوههن مسدلة، واحدة منهن لاحظت أنها تضع غطاءين على وجهها، واحدًا يخفي عينيها تضعه حين تخرج من الغرفة وحين تعود ترفعه، فيظل الغطاء الآخر الذي يكشف فقط عن عينيها، تتركهما حرتين تراقبنا دون تحفظ، وتبحلق في الجميع طويلا من أعلاه حتى أخمص قدميه حتى تشبع، دون أن تشعر بالحرج، كثير من النساء يشعرن أن غطاء الوجه يوفر لهن حماية نفسية تسمح لهن بالتصرف بحرية شديدة لكنها في الحقيقة حرية تخلو من أي احترام للآخرين طالما أنهم لا يرونها ولا يعرفون من تكون، تماما مثلما تفعل بعض الشاعرات الشعبيات اللواتي يظنن أن الكتابة باسم مستعار يوفر لهن حرية لا توفرها لهن أسماؤهن الصريحة، وبالتالي يصبح المرء غير مسؤول فقط طالما أنه غير معروف، هذا هو حجم شعوره بالمسؤولية.

السيدة التي تضع اثنتي عشرة إسورة من الذهب عيار 24 قيراطاً في ساعدها وتجر نصف أطفالها معها، وتترك

نصفهم في البيت، تنهض عند سماعها لنداء يا(بنت) وكأنه اسمها دون أن تشعر بأن حقها الاجتماعي والإنساني قد مس.

في المحاضرات الدينية النسائية نشغل معظم المحاضرات في الحديث عن حق الزوج على زوجته حتى بلغ بهن أن حرمن على الزوجة أن تعترض على زواج زوجها بأخرى، لأن هذا من السنة، وعليهن لجم أساهن وحزنهن وذبح مشاعرهن من الوريد للوريد ليدخلن الجنة. بعض المحاضرات يشعن تحريم خروج المرأة من منزلها وحتى ولو لمهنة تعد من واجب المشاركة في خدمة المجتمع وتقديم المساعدة له. ولو خرجت هذه المرأة وخالفت كل ما سمعته فإنها في هذا الخروج لن تتعدى غير طريدة تحاصرها الريبة، لتصبح القضية هي: إلى أين تخرج المرأة ؟وإلى أي هدف؟ وما إن ينتهي المرتابون من أسئلتهم حتى يثور غبار المطاردين من الصبية الذين لا يتورع أحد منهم عن مطاردة سيدات يظهرن في مقام أخواتهم الكبيرات أو أمهاتهم فهن على حد سواء نساء يعرضن أنفسهن للغزل مجرد ظهورهن في الشارع وحيدات أوفي صحبة سائق،لاحظت أن لهجة الغزل التي يلاحق بها الصبية هؤلاء السيدات هي لهجة آمرة من نوع (خذي الرقم أسمعي، أتصلي) يبدو أن النساء حتى في ثقافة الغزل لا يرقين لمستوى شاعري يكفل لهن حق التودد والأدب.

إن مفردة(حقوق المرأة) التي - بدأت تظهر اليوم في شمس الخطابات الرسمية، بعد أن كانت مفردة تلاحق مستخدمها بسوء النية، والهدف، - ليست ضمن ثقافتنا السعودية الاجتماعية لاسيما الثقافة الشعبية التي تعتبر دائمًا



عبارات لا تثق بامرأة ولا تأمن سرك لديها ولا تسمع شورها، كل هذه التحذيرات تمنع المرأة من أن تكون صديقاً في الحياة يحظى بالثقة وسداد الرأي، لهذا فإن التنظيمات الرسمية مهما تقدمت هي حبر على الورق، لن تنفع، إن لم تفلح في غربلة وتصحيح المضامين الثقافة المعتمة التي لا تزال ترى أن إذاعة اسم امرأة في مستشفى- ينشغل الناس فيه بأوجاعهم - مجلبة للخجل والإحراج.

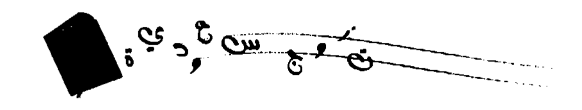
أبشر جالك ولد

اعتذر رئيس وزراء بريطانيا «توني بلير» عن استقبال الرئيس الإيطالي،وأبدى عدم رغبتة بالالتزام بأي برنامج قد يعيقه عن استقبال مولوده الرابع. عندما نشرت الصحف العالمية هذا الخبر ثارت مواجع كثير من النساء لدينا وخاصة الحوامل منهن ولا أظن أن الأمر تعدى حسرات زفرنها قائلات: ياليته بس يقعد.! (أي يكون حاضرًا في البلد أثناء الولادة).

في زمن جداتنا كان كثير من الرجال يغيبون عن نسائهم الحوامل، مسافرين في رحلة بحث شاقة عن لقمة العيش، وحين يأتي المولود يرسل أهله البشارة مع مسافرين جدد أو في برقية عاجلة تقول لهم: «أبشر جالك ولد، سمه».!

كان الرجال قديماً يغيبون عن بيوتهم بعيداً لمطاردة قوتهم وقوت عائلاتهم، موكلين أمر العناية بعائلاتهم لأقارب لهم أو جار أو جارة تسعف المرأة عند حضور الطلق، وكانت البرقية البشارة وسيلة لطمأنة قلقهم الذين لا حول لهم ولا قوة فيه، وهذا مقتضى دروب البحث عن عيشهم. في زمانهم و مجتمعهم، الأب هو العائل ومصدر الرزق الوحيد والأم هي الحاضنة للأطفال والراعية لحاجاتهم جميعاً.! اليوم كثير من الآباء لازالوا يتبعون طريقة «أبشر جالك ولد» أي انتظار البشارة على بعد ألآف الكيلو مترات دون مبرر بحجة أنها طريقة الآباء ولا حرج

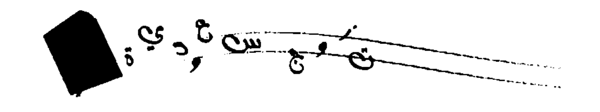
إن آباء اليوم ليسوا هم أنفسهم آباء الماضي فالواقع



الذي قد خانهم على ما يبدو، فلم يجعلهم المصدر الوحيد لدخل الأسرة، فقد أصبحت المرأة طرفاً ثانياً في إعالة العائلة، وقد تمر عائلات بظروف تجعل المرأة هي من يتمتع بدخل يفوق دخل الزوج وقد تعتمد عليه العائلة في تمويل عمار البيت وتقسيط السيارة إلا أنه ولا واحدة منهن ستجرؤ على تقليد «شيري» زوجة بلير وتجعل زوجها يلغي رفقة أصدقائه للبحرين أو مصر منتظراً منها البشارة، بل إن بعض الآباء لن يجد وقتاً أنسب للهرب من بيته إلا حين تحمل زوجته عبء جنينها في أشهره الأخيرة .

إن النوايا النسائية هنا لم تصل بعد للمطالبة بما تطالب به السيدة شيري التي تقود حملة قضائية تطالب منح إجازة أبوّة للآباء الذين لديهم أطفال دون سن الخامسة، لكن مناقشة دور الأب الغائب في كثير من الأسر هو الذي أثار أحزان نسائنا، وقد حدثتني معالجة نفسية عن أنها تلمس دائماً دوراً حاضراً للأم في سيرة عملائها من الرجال والنساء سواء سلباً أو إيجاباً في حين يظل الأب بعيداً عن ابنته أو ابنه ولا تزال كلمات أحد التائبين عن تعاطي المخدرات يصف دور أبيه الموجه فيقول إنه لا يسمعه يوما يخاطبه مباشرة إلا عن طريق أمه حين يوصيها «قولي للولد إن أبوك لا يعجبه تأخرك يوميًا عن البيت».
هذه الصورة تلخص كثيراً مما يريده الآباء في أن يظلوا رمزاً تقليديًا بالصورة القديمة،وربما خوفهم من الاقتراب من أبنائهم فينكشف عجزهم عن فهم كل هذا الضجيج في حياة جيل مختلف عنهم.! ولا أحد لدينا ينصحهم بأن يقتربوا من أبنائهم لا ليسدوا منافذ الهواء عنهم، لكن ليفهموا أي زمن

جديد يخوضون غماره وسيمتعهم كثيراً رفقتهم لو جربوا، لكن متعة رفقة العائلة على مايبدو هي المتعة التي لا تزال المهارة الصعبة على كثير منا لذا نجد أن كل فرد في العائلة له شلة وأصحاب ورفاق عدا أفراد عائلته..!



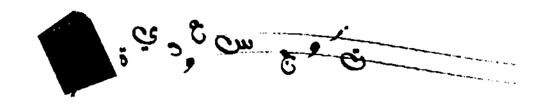
خرير الفواتير

دخلت بيت صديقتي فوجدت زوجها يصحبه فريق كامل من السباكين يدورون في لعبة تشبه لعبة المتاهة وحين سألتها: عن ماذا يبحثون؟! قالت: عن التسريب.!!

وقصت لي صديقتي قصة التسريب فقالت: إن فاتورة الماء وصلت الشهر الماضي أربعة آلاف وحين راجع زوجها الدكتور مصلحة المياه قالوا له: أكيد عندك تسريب ولأن بيت صديقتي بني حديثاً ولم يمضِ عليه أكثر من أربعة شهور فإن اللعنات صبت بكاملها على المقاولين والسباكين وجاءت اللجنة التي رأيت والتي شكلها صاحب البيت لتقبض على التسريب. إلا أن حفلة البحث عن التسريب أسفرت عن النتيجة الصفرية المعروفة «لم يتسرب شيئ» .صار الرجل بسبب لغز التسريب مثل المجنون يراه جيرانه كل صباح يقف أمام عداد الماء ويسجل أرقام العداد قائلاً لنفسه «يا أنا يا التسريب».! وكاد أن يجن حين اكتشف أنه يعمل منذ السابعة صباحًا حتى الرابعة عصرًا من أجل الفواتير، وأن راتبه بالكاد يغطي فواتير الماء والكهرباء والتلفون وكادت القضية في بيت صديقتي تبقى معلقة حتى توافيهم نتيجة قراءة العداد خلال الشهر القادم لولا أن مسلسلاً ثانيًا بدأ في بيت قريبي عبدالرحمن مما جعل النتيجة تبدو أقرب للأذهان .! قريبي عبد الرحمن يسكن في بيت مساحته ستمائة وعشرون مترًا ولديه نخلة عمرها سنتين وولد عمره شهرين ولديه خادمة واحدة ووصلته فاتورة بألفي

ريال وحين راجع مصلحة المياه محتجا قالوا له: «أصبر حتى تأتي فاتورة الشهر الثاني ونشوف ثم نحقق في الموضوع»

وكاد عبدالرحمن أن يصبر والله مع الصابرين وبدأ يراقب الخادمة التي حامت حولها الشبهات ومنع السائق استخدام الماء دون إشعار مسبق لكي يقف بنفسه على كمية الماء المصروف وكلما علا صوت التلفزيون قال:» قصروا عليه كأني أسمع صوت ماء» ثم يصيح: «من اللي فاتح الماء» حتى تعود عليه أهل بيته فلم يعودوا يردون عليه وحتى أحصى جميع استخدامات الماء إلا أنه في الشهر الذي يليه جاءت الفاتورة بألفين ونص فداخ قريبي وصرنا لا نراه كعادته يتحدث عن أحوال الجو الذي بدأ يتحسن ولا عن أحوال الرطب في الصيف، لم يعد له حديث غير أن يسألنا «كم فاتورة مويتكم هالشهر» أنتم يجيكم اللي يجينا؟!» «برافو» عليها مصلحة المياه جعلت الناس تقف على رجل واحدة.! إلا أنني بدأت أشك أن الموضوع أحيانًا ليس فيه رجلين أصلاً بعدما زار عبد الرحمن بيت والده. والد عبد الرحمن يسكن في بيت مساحته ألفان وخمسمائة متر وفيه ثلاثة عشر نخلة تشرب من الماء أكثر مما يشرب أهلها لأنه يسقيها في الليل والنهار، هذا غير الخدم وما يسرفون لكن أبا عبدالرحمن بدا سعيدًا بجهود مصلحة المياه حامدًا جهدهم شاكرًا فضلهم، لأنهم أرسلوا له وللمرة الثانية فاتورة تقف عند رقم «لا يخر منه قطرة ماء» واحدة، حين أمسك عبد الرحمن بفاتورة ماء والده راح يقلبها بحثا عن الرقم، لم تصدق عينا عبد الرحمن ما رآه، شك بخطأ الرقم الذي كتب عددا فتحول للرقم المكتوب كتابة، هل تعرفون كم



قيمة استهلاكه:- «ريال واحد فقط».!

ترى هل عرفتم السر في منهج خرير الفواتير!.

زيمينه يعقل[1]

ما إن يفطن الأهل إلى أن ابنهم قد شب عن الطوق ويبدو أن الطوق هذا هو طوق سلطتهم واعتقالهم والائتمار بأمرهم وقد ماشى «شلة» ممن يسمونهم الناس بـ «السقيط» كناية عن أنهم من الساقطين من الناس أو المنحرفين عن ما يألفه العرف أو القانون الاجتماعي أو حين ينتبه الأهل إلى أن ابنهم الشاب قد لاحت عليه إمارات من الانحراف كوقوعه في تعاطي مخدر أو مسكر أو ميسر أو أنه قد صار يسهر الليل وينام النهار وتفوح منه رائحة الضلال حتى يشاورهم عقلهم وربما يشور عليهم الناس بالمشورة الاجتماعية الشهيرة (ورا ما تزوجونه؟ زيمينه يعقل!) وزيمينه هذه تعني «لعله» ويهرع الأهل لتفصيل عباءة عرس للولد مبهرجة وغالية ويطرقون باب بنات الحلال بحثا عن عروس بل ويشترطون شروطاً لا يخر منها الماء، يريدونها صغيرة، جاهلة تسمع الكلام، وتربيها الحماة، وجميلة ومطيعة، مهذبة وقد يبدو الأمر معقولا لو أن البنت قد أخذت حيطتها فأعدت لهذا الفتى الضال كلبشات تضعها في رجله منذ التاسعة مساءً، أو بأقفال من حديد تسد عنه طريق الضلال ولم تتلقَ أي تدريبات تأهيل للتعامل مع ذوي الحالات التي تشبه حالة العريس الجديد.

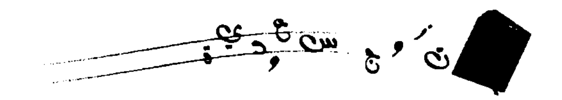
الفتاة ستقضي طوال فترة الخطبة وما قبل الزواج تغزل أحلامًا وردية تختلط فيها صور عريسها بأبطال رواياتها

---

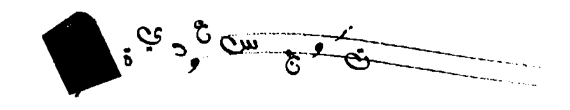
(1) كلمة نجدية تعني (قد)

الرومانسية أو معطرًا ومبهرًا كما شباب القنوات الفضائية يقول لها كلما قدمت له كوب ماء: «كلك زوق يا روحي» ولم تتعرف بعد على أنواع التعاطي، لذا فإن الفتاة بعد أن تقضي مع فتاها أشهرًا لا تدري ما مصيبة هذا الفتى الذي يضطرب بين الحين والآخر أو يسقط مغشيا عليه أو يقضي وقته في الشوارع يتسكع ويغازل، وينتهي مشروع «زيمينه يعقل!» قبل أن يحول عليه الحول بالفشل الذريع، ويعود الفتى الضال والفتاة المضللة إلى بيت أهليهما مطلقين وتزيد الكارثة إن عادت بطفل رضيع أو جنين سيدفع والدها رسوم ولادتها في المستشفى. ويخطئ الناس حين يظنون ويروجون لفكرة أن أضرار الطلاق تدفع ثمنها الأنثى فقط وهذا مما يشجعهم دائما للدخول والتسرع في مشروع «زيمينه يعقل».

هذه النظرة ليست أنانية فقط بل وتخلي الفتى دائمًا من مسؤوليته في مواجهة مشاكله أو حلها أو تحمل نتائجها وتجعله مقبولاً في كل حالاته صالحًا أو فاسدًا على أمل أن يصلح. ونتغاضى عن نتائج أطفال الطلاق ومصائر بنات الناس المغبونات، هذا بالإضافة إلى أن الدراسات العلمية التي أجريت على عينة من الألمان أفادت أن الرجال المطلقين يتألمون ويقعون تحت مشاعر الخيبة والفشل بل ويزيد عما تقع فيه الأنثى.ونحن في هذه الحالة ننكر على شبابنا الشعور بالخيبة ومواجهة مشكلته بل والإسراع بتزويجه مرة أخرى لتجنيبه التعايش مع شعوره المر جاعلين جمر احتراقه وخطأه تحت الرماد وتوريط بنت ناس جديدة بخيبة جديدة دون أن نواجه حالته. فمعظم حالتنا يعالجها إما الطب الشعبي والقراية أو



العرس والحاصل أن الفتى لا يعقل بل يضيع وتضيع معه أسر صغيرة وأحلام بنت الناس المظلومة.



أكذوبة احترم الآخر

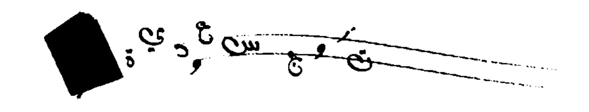
قدرت وفكرت كثيرًا فلم أجد أكذوبة أكبر من أكذوبة «احترم الآخر» التي بدأت تطغى على الخطاب العربي والتي بدأ الهاربون من حمى العنف والحروب يجدونها علاجًا سليمًا وحلاً رحيمًا يمكن أن يبشر بصناعة حياة أكثر سلامًا ورفاهية للبشر وبدلاً أن ينشغل العالم بالحرب ضد بعضه سيوجه كل طاقته لتقدم البشرية على الأقل هذا هو الدرس الذي يعلمه الشريط الوثائقي القديم للحربين العالميتين ومآسيهما ووحشيتهما وإذا زدنا عليهما حرب الخليج التي تدخل في تعداد الحروب حربا عالمية ثالثة نزيد فنقول هزليتها المرة.

لست أنا من يحارب مقولة «احترم الآخر» بل تلك الصورة الاجتماعية التي تبثها الدراما التلفزيونية لصور الحياة الاجتماعية لتضحكنا ونوافق عليها،نضحك على «أبوعليان» وهو يرفس «عليان» كل صباح ليقول له: «عليان ووجع قم جب الخبز قبل أن يأذن علينا الظهر».! يقوم «عليان» وفي طريقه «يخبط» أخاه «خويلد» الصغير ويقول: «وخر عن طريقي». وحين يعود من المخبز يقول لأخيه سعد: «لا أشوفك تمشى مع محيميد شكله ما يعجبني»!

أما منيرة التي تذهب إلى المدرسة وتتطلع بشغف نحو معلمتها الجميلة التي تضع عطرًا فرنسيًا جميلاً وألواناً من الطيف على وجهها ستجد هذه المعلمة لا تخاطبها إلا بلهجة شعبية مخضرمة فتقول:

«يا بقره كم مرة قلت لك لا تكتبين بالقلم الأحمر أنا لحالي أكتب بالأحمر». وحين تخرج «منيرة» لمقصف المدرسة ستتعلم كيف أن عليها أن تغرس كوعها في جنب زميلتها حتى تضمن لنفسها تقدما محرزًا في الوصول إلى شباك المقصف وحين تعود «منيرة» للبيت عليها أن تعنى بالآخرين أو التدرب للعناية بهم قبل نفسها وهم أخوتها الذين يقذفون بكل شيء من حولهم ومراقبتهم في حين ينشغل «عليان» الذي «طاح» هذا الأيام باستخدام مريب للتليفون وأخذ يجيب على كل صديقات «منيرة» بالقول بأن «منيرة» غير موجودة وأحيانا يقول: «منير» تصغير منيرة «ماتت خلاص هيء هيء يعني دمه خفيف!!»

كل هؤلاء سيخرجون من مدرسة لا يتعلمون فيها إلا المزاحمة بالكوع وقاموس الشتائم المعاصر والقديم ومن البيت الذي تعلموا فيه أن رؤوسهم ستتكسر إن عبثوا بقماش «الكنب» الجديد أو لطخوا جدران البيت لكنهم سيحظون بحرية أكبر في الخارج إذا ذهبوا للعبث بممتلكات الآخرين لذا فإنهم حين يسمعون الضيف العربي الذي يعقد ربطة عنقه الملونة يقول «احترم الآخر» سيظنون أنه إعلان لسلعة جديدة.. مسكين «عليان» ومنيرة وخويلد الذين سيظلون كلما فتحوا التلفزيون العربي والإذاعة العربية يسمعون هذا الإعلان الغريب لسلعة لم تلمسها حواسهم قط اسمها «احترم الآخر»!.



مد لحافك وليس عقلك

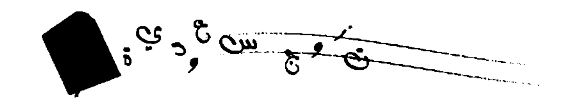
شاعت قصة كان الناس يرددونها لأحد رجال الأعمال تحدث فيها عن طريق التعليم القصير الذي مشاه، والتفكير البسيط، في زمن بسيط، القصة تقول: إن فتى كان يعمل لدى والده في دكان للبيع والشراء وكان هذا الفتى يدرس عند معلم، يقضي لديه بعضاً من الوقت، وكلما استأذن الفتى والده للذهاب إليه ضاق صدر الأب بهذا الدرس الذي يقطع الفتى عن مراقبة حلاله وماله، وذات يوم حين استأذن الفتى والده للذهاب للدرس، سأله والده: هالحين وين وصلت في تعلم الحساب عند المعلم قال الفتى: أصبحت أعد حتى الأربع مائة.

فقال الوالد: أجل اقعد يا ولدي ما عاد لنا حاجة بزيادة علمك، قروشنا مهما زادت ما تاصل الأربعمائة.! هكذا مد الأب علمه على قد رجليه أو على قد فلوسه لكنه لم يدرك أن الفتى ظل دون لحاف في المستقبل، لأن الفتى فيما بعد كبر وزادت فلوسه على الأربعمائة مليون لكن علمه بقي عند لحاف الأربعمائة ريال، لأن العم خطط لدكانه هو وليس لدكان الفتى ولزمانه هو.!

البعض لدينا لا يزالون يريدون أن يمدوا عقولهم على قد أرجلهم لهذا فإن وزارة التعليم لدينا التي تتردد وتمانع حينا عن إدخال تعليم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية، بثت خبر إدخال مادة اللغة الانجليزية على استحياء شديد، وطلبت العذر والسموحة، وأخذت عهداً على نفسها بأنها ستعمل كل الضوابط

لمنع انحراف اللسان العربي بسبب هذا القرار - وهم لا يدرون أن معظم الطلبة يشكون من ضعف ضليع في هذه المادة وهي لغة نستخدمها كل يوم وليلة ونفك رموزها وترجمتها لفتح جهاز أو طلب بيتزا. وفي ظني كان الأجدى بقيادات التعليم وخبرائه بدلاً من لغة التوسل أن يتوسلوا لغة العلم وشرح الأمر من وجهة نظر علمية ودعمها بالبحوث والدراسات التي تشجع على تعلم أكثر من لغة فيما يوسع مدارك الطلاب ويزيد من إلمامهم بلغة هي اليوم شرط هام في سوق العمل وكل طالب وظيفة. واللغة الإنجليزية منهج يدرّس منذ سنين في كل المراحل وفي المدارس الخاصة وفي رياض الأطفال، منهج قائم على قواعد اللغة ولا يشبه خليط اللسان المكسر الذي نعيشه كل يوم في «يا رفيق جيب هدا مال أنا، وسيم سيم أنا، أنت فيه روح أنت فيه يجي» التي ينشأ صغارنا وتعم بيننا من ملايين العمالة التي تجول بيننا وفي بيوتنا وفي مدارسنا وشركاتنا لأن لغة الكلام تعطلت ولم يبق لنا غير لغة الهنود المكسرة.

آباؤنا البسطاء متواضعو التعليم لم يترددوا في تشجيعنا وحثنا على العلم الواسع منذ سنين من دعوة الإسلام الرحبة الداعية للنهل من بحور العلم في كل زمان ومكان، بينما خرجت علينا اليوم أسماء من حملة الدكتوراه تجلس على مقاعد العلم الوثيرة تدعو لقص عقول الناس على قد مفاهيمها، وتندد وتخوف من تعليم الصغار لغة أخرى بجانب اللغة الأم، تماماً كما وقع لذلك الأب في قصته مع ابنه منذ خمسين عاماً ليقولوا ليس لنا حاجة بما زاد عن اليوم،



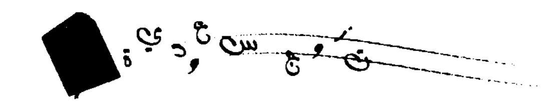
اللي سقته !!!

لو اتهمك أحد، أنك تضيع عمرك عبثًا لغضبت، فما بالك لو بشرك أنك تضيع عمرك في الشوارع!.

هذا ما تقوله نتائج مؤتمر المرور الخليجية، بعد أن اتضح أن سائقي مدينة الرياض يضيعون مليون ونصف المليون ساعة يوميًّا في قيادة السيارات منها خمسة وأربعون بالمية عند إشارات المرور وسبعون بالمية في القيادة وعشرون بالمية على الطريق الخارجية، ولا تظن أن المرأة التي لاتقود سيارة في الرياض أنها سالمة من ضياع الأعمار طالما أنها تركب في الخلف، فعداد ضياع العمر يحسب على جميع الراكبين سواء في الدرجة الأولى أو في المقعد السياحي. ولهذا يستعجل صغارنا من الشباب في القيادة حتى يختصر زمنه الضايع، فنتائج دراسة خليجية تقول بأن لدينا في المملكة أعلى نسبة صغار سن يقودون السيارة، حيث تبين أن خمسة وأربعين من طلاب مدارس المتوسطة، وسبعة وثمانين من مدارس الثانوي، يقودون سيارة، وإذا حسبت أن غياب النقل العام سيضطر كل هندي وبنغلاديشي، وكل عامل عربي مقيم لا يتجاوز راتبه ألف ريال إلى أن يشترك مع رفيقه، ويشتري سيارة عمرها الافتراضي منتهٍ، وكل معلمة انتحارية ستستأجر سيارة مع رفيقاتها على الخط السريع للوصول إلى القرى البعيدة، وكل مغامر صغير يجب أن يتسلى بلعبة اسمها السيارة في شوارع الرياض، فإن عمرنا نحن الافتراضي هو الذي سينتهي في

قيادة سيارتنا في الطريق، حيث سننظر لمزاحمة هؤلاء إن سلمنا من هجماتهم الانتحارية، بل وسنطالب بعمر إضافي تعويضا من شركات التأمين، ونحن نغني كمدًا وحزنًا (اللي سقته، عمر ضايع يحسبوه إزاي علي)

لا أحد يتبرع بقضاء عمره في البيت حبسًا ليخلي الطريق للناس، وليس أنانية البشر، هي التي صنعت كل هذا الزحام، بل غياب نظام النقل العام، ومرونة التخطيط الحضري، وتجاوبه مع مستجدات التنمية، وما يزيد الطين بلة هو ازدياد معدلات النمو السكاني في الرياض التي لا تمتلك أي خطة لضبط هذه الزيادة، سواء الزيادة الطبيعية لرغبة التكاثر غير المسؤول أو غير الطبيعية من هجرة باحثة عن فرص أفضل توفرها المدينة ولا تتوافر في القرى فقد استحقت الرياض بجدارة درع المركز الأول، في أعلى نسبة نمو عالمية حيث بلغت نسبة النمو السكاني فيها اثنين وثلاثين بالمائه، وهي أعلى نسبة نمو في مدن العالم، وستصبح الرياض التي تبلغ اليوم أربعة ملايين ونصفاً في عام 2010م ثمانية ملايين يعني الضعف تقريباً (خلوا بالكم ما عندنا ماء! وخلوا بالكم ما عندنا صرف صحي وخلوا بالكم نسبة القبول في الجامعات أصبحت 90% ونسبة العاطلين عن العمل 17% إن هذه الزيادة السكانية تحتاج استثمارًا في قطاع الإسكان خلال العقدين القادمين يبلغ خمسة عشر مليار دولار (خلوا بالكم ما عندهم قروش أيضًا)!!!

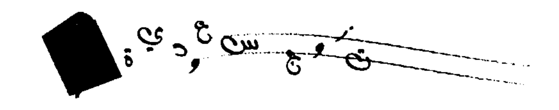


ليس الجنون عيباً إنما

احتج المصريون - العرب أصبحوا مؤخراً ظاهرة احتجاجية- على نتائج منظمة الصحة العالمية التي أظهرت أن عدد المرضى النفسيين في مصر فقط بلغ عشرة ملايين مريض نفسي، وأن عشرات المليارات تذهب في التطبيب عن طريق الشعوذة وطرد الجان، ولم أجد في حقيقة الأمر أي مبرر للاحتجاج على نتيجة الدوري النهائي المرضي في مصر إلا في كونها طبعا صارت هدفا أول في وجه نتائج مدفع الجنون، وإعلان أن سُدس المصريين الذين يبلغ تعدادهم خمسة وستين مليوناً تقريبا من المجانين وأظن أن النسبة تزيد دون شك في أقطار عربية أخرى لم يفتضح أمر مجانينها بعد (رغم أن أعراضها أشد وضوحاً من الشمس) وأنا استخدم هنا كلمه جنون لأن هذا هو الوصف الشعبي الشائع لكل من يشكو من عله نفسية، و هذا الوصف هو ذاته ما يمنعنا من تدارك مشاكلنا النفسية ومواجهتها بمساعدة معالج نفسي قبل استفحالها واستحالتها لمرض عقلي، فالشاب تتدارك العائلة توهانه النفسي بتزويجه، ليبلي ضحية أخرى بما بلاه الله به، والفتاة المترنحة في ذهان آخر لا يحتاج تفسير مرضها إلا وصفة من مداوية شعبية تطمئن أهلها بأن ابنتهم لا يعتريها غير نفس أي (عين حاسدة)، أنا شخصيًّا ممتنة لهذه النتيجة، لأن منظمة الصحة العالمية جزاها الله عنا كل خير قد أعطتنا أخيرًا مخدة من ريش نعام نستطيع أخيرًا أن نريح

عليها رؤوسنا المتعبة من كثرة التفكير ونكف عن ترداد سؤالنا الأبله، و لأنها أعطتنا تفسيرًا لسؤالنا الدؤوب: لماذا توقف نمونا العربي في دورة نمو العلوم والحضارة منذ ثمانمائة سنة تقريبًا ؟ولماذا صرنا بدلاً من أن تخرج حضارتنا العربية ابن رشد والخوارزمي وابن الهيثم .واختراع العلوم مثل علم الجبر واكتشاف الدورة الدموية صرنا نصدر ابن لادن والظواهري؟، لقد أعطتنا منظمة الصحة العالمية جوابا لسؤال: لماذا كانت أندلس العرب قبلة الرومان والفرنجة يجدون فيها علاجا لأمراضهم وثياباً فاخرة لسلاطينهم وتجارهم، ومعماراً هندسيًّا أنيقاً منذ ثمانمائة عام تقريبا وكيف أصبحنا اليوم ؟. لقد أراحتنا منظمة الصحة العالمية أراحها الله من كل داء بأن طمأنتنا بأننا لا نشكو إلا من عيب الجنون، فليس عيبًا أن نكون مجانين وهذه حالنا، بل العيب أن نكون أصحاء ونظل كما نحن كما تصفنا نتائج لجان التنمية البشرية بأعراضنا المرضية.

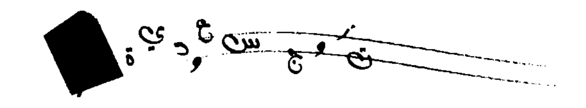
ليس عيبًا أن نكون مجانين بل العيب كل العيب أن نكون أصحاء، ويظل مجتمعنا العربي نصفه تقريبا شباب (مائة مليون شاب) بمستويات تعليم بدائية باتت متخلفة وخارج العصر دون تخصص وتدريب وأكثرية عالية متسربة من التعليم تنتظرهم نسبة بطالة تبلغ 20% وشبه أمية، نصف مجتمع يمثل قوة غير مدربة،و دون سكن لائق، قوة هائمة قلقة وبائسة كل ما يطربها هو الإسطوانات المفخخة بالعنف، تجاة الذات وتجاه الآخر، لهذا السبب علينا أن نحمد الله على هذا التشخيص وأننا عرفنا أخيرًا سر متاهتنا الغامضة التي أبعدتنا عن طريق العلم والإنجاز. لقد سهلت علينا منظمة



الصحة العالمية قصة تلك المتاهة بعد أن داهمتنا أمراض الانفصام، وخوفنا من التقدم للأمام وحنيننا المرضي إلى الماضي، وبارانويا اعتقادنا بأننا شمس الحضارات، وحصارنا بأن المؤامرات هي سبب تخلفنا وعجزنا. تقول بعض الردود المحلية إن خطأ تقدير منظمة الصحة العالمية مبالغ فيه لأنها استخدمت المعايير الأوروبية في قياس المرض وأن عدد المرضى النفسيين لا يتجاوز في مصر أربعة ملايين، أما أين ذهبت الستة ملايين الزائدة فطبعًا كلهم في الحقيقة مرضى عين حسود وجاثوم ونفس شريرة وعمل سحري شائك، وتلك طبعًا أمراض لا تدخل ضمن دائرة المعرفة الأوروبية، التي تصدر لنا الدواء بمواصفات أوروبية أيضًا لكنه يشفي.

من الخصوصية إلى الحسوسية!

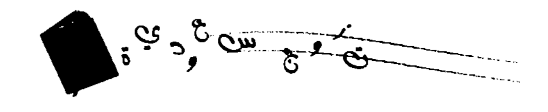
حين وجد المجتمع السعودي نفسه يخوض معترك انفتاح ثقافي وتغيرات ثقافية جديدة هيأت لها طفرة النفط بسرعة هائلة، وقع الكثيرون في ارتباك شديد اللهجة، خصوصاً حيث طفت قيم الاستهلاك المفرغة من معانيها المعرفية والثقافية على حياتنا، وأصبحت النقود المتوفرة والدخول المرتفعة مصدرًا لرفاهية بدون معنى تحولت فيه بعض النعم إلى نقم بسبب سوء التوظيف، فأصاب الناس فزع شديد، لأن تقديراتهم مبنية على أحاديث وآراء إعلامية مسبقة الحكم والنية وصار كل شيء نستهلكه خطراً، الخادمات، والإعلام المفتوح، والسفر للخارج، والجامعات الأهلية، وخروج المرأة للعمل، وأمام متغيرات كثيرة كزحف القرى نحو المدن والتكاثر السكاني والتزاحم حول فرص العمل وحاجات المجتمع لطاقات جديدة، وتغير القيم القروية لقيم مدنية، خسر الناس مسلّماتهم القديمة، الشاب لم يعد يتزوج ابنة عمه والفتاة لا تتزوج في السادسة عشرة، والضيف يسكن في فندق، وأصبحت الدنيا «ما فيها خير».! الذين حاولوا التكيف مع الحاضر شعروا بالذنب لمفارقتهم حظيرة الجماعة أما الذين لم يرغبوا بمفارقة الدفء الجماعي فقد رفعوا لواء ضد عمليات التغيير اسمه لواء «نحن مجتمع له خصوصيته»، وهكذا صرنا نستسهل عدم الخوض في معترك تغير جديد بحجة هذه الخصوصية وصارت خصوصية المجتمع السعودي مخدة من ريش نعام «مستورد طبعاً» ننام عليها مقابل عدم قيامنا بأي فعل وبهذا نضمن أن لا شيء يتغير، حتى



بحوثنا الاجتماعية صارت تبني فرضياتها وتساؤلاتها وتحليلاتها على فرضية مجتمع له خصوصيته، والإعلاميون السعوديون يتباهون بهذه اللفظة الرخيمة كلما سئلوا عن مطبات التأخر في بلادنا، وصارت هذه الكلمة جزءاً من تراث الفكر الاجتماعي السعودي، ولم يفكر أحد بأن يفتح الصندوق الأسود لهذه الكلمة ويفكك أسرارها حتى جاءت المواجهات الفضائية الساخرة طالبة منا تفكيك هذه العبارة: «ماذا يعني خصوصية؟» هل المجتمع السعودي مجتمع مسلم خاص من بين مليار مسلم هل هو عربي من بين ثلاثمائة مليون عربي هل هو خليجي من بين سبعة مجتمعات خليجية هل هو قبلي من بين كل هذه القبائل المنتشرة على خارطة البلدان العربية والإسلامية ؟. إحدى السيدات سمعتها تسأل عن مدى نجاح برامج تهيئة المعاق رغم خصوصية المجتمع السعودي، سألتها ماذا تعني بالخصوصية، وبعد تفكيك المعنى الذي تقصده اكتشفنا أنها تقصد بخصوصية المجتمع «جهله» في التعامل مع الإعاقة، سيدة أكاديمية سئلت لماذا تتدنى نسبة مشاركة المرأة في السعودية عنها في الخليج قالت لأن المجتمع السعودي له خصوصيته فسألها المذيع ما هي هذه الخصوصية فارتبكت وبدأت تقول كلاما كثيرًا لا يخص المجتمع السعودي عن الخليجي، مثل الإسلام والتقاليد فحذرها المذيع من أنها ستغضب الخليجيين لأنها بهذا القول كأنها تريد أن تقول إن المجتمعات الخليجية ليست مسلمة ولا تحترم تقاليدها!.

صارت لوحة «الخصوصية» عنوانًا للجهل ولعزل المجتمع عن أي مشروع تنموي وانغلاق المجتمع على ذاته دون أشقائه الخليجيين العرب والمسلمين، صارت الخصوصية تعني الفردية

المطلقة، والرفض لخوض أي تطور خوفا من أن تخدش هذه الخصوصية..! اليوم ظهرت بعد الخصوصية عبارة جديدة اسمها الحساسية في عهد تنتشر فيه العولمة وابتكاراتها التكنولوجية الهائلة مبادىء الشفافية والصراحة واحترام حقوق الإنسان - فصارت فيه أمور «ذات حساسية» ومؤسسات «حساسة» وأناس «حساسون»، وقضايا «حساسة» ووضع «حساس» وأسماء «حساسة» وانتقلنا بهذا إلى عهد جديد اسمه عهد الحسوسية بعد عهد الخصوصية!!!.

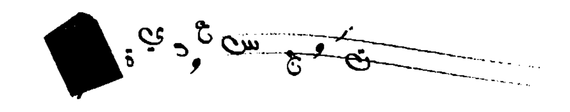


هل بطنك كبيرة؟؟!

كنت أتابع أخبار السيدة الكاتبة البريطانية رولينج منذ سنوات شهرتها الأولى، لإعجابي بعزمها، إصرارها في سيرة شخصية، تميزت بمرارة بالغة حيث وصفت حالها وهي تكتب روايتها الشهيرة للأطفال (هاري بوتر) أنها لم تكن تمتلك طاولة للكتابة وكانت مضطرة وهي تعول طفلتها الصغيرة دون زوج وبعد ساعات عمل طويلة، أن تخرج بطفلتها تمشي طويلا لتنيمها في عربتها، ثم تبحث عن مقهى يسمح لها بالجلوس على طاولته لتكتب مقابل أرخص مشروب، الصدفة وحدها هي التي نقلتها من عالم الفقر والظل، إلى عالم الغنى والشهرة، فيروي ناشرها، أن اجتماعًا تم إلغاؤه هو السبب في منحه وقتا فائضًا، راح يتسلى فيه بأن مد يده لواحدة من آلاف الكتب المقدمة لدار النشر فوجد نفسه يقرأ (هاري بوتر) دون انقطاع، ويوصي بنشر الكتاب وهو لايدري أن هذا الكتاب، سيجعل داره أشهر دار نشر ومن كاتبته أشهر وأغنى من ملكة بريطانيا نفسها، وصار المقهى- الذي يتكرم على سيدة بطاولة لتكتب- مزاراً لكاميرات التلفزيون والصحافة وصارت السيدة (رولينج) تركب مقاعد الدرجة الأولى وتسافر بالطائرة هذا إذا لم تشترِ واحدة، فوجئنا نحن كتّاب العالم الثالث أن تصبح كاتبة أغني من ملكه، فنحن نعرف أن الكُتّاب عادة لايملكون عقاراً يتضاعف سعره فجأة، ويرتفع بصاحبه، فيصبح من بعد فقره من الأغنياء، لهذا طارت أعيننا ونحن نرى أن كاتبة فقيرة، جمهورها من الأطفال صارت من

هؤلاء الأغنياء، لكن رولينج لم تثر فقط لأنها كتبت كتابًا ناجحًا بمقاييس الأطفال بل لأنها ولدت في مجتمع يقرأ، مجتمع ينهض أطفاله من الفجر يجرون أمهاتهم معهم قبل شروق الشمس ويصفون في طوابير، ليحصلوا على نسختهم، وتتسابق دور الإنتاج السينمائية لشراء قصته، وتحوله لفيلم، وتطلب دار النشر إعادة طبعه وطلب أجزاء مضافة منه، الذي ينجح بالكاتب هنا هو الجمهور وليس الكاتب وحده، بيكاسو الرسام الإسباني البخيل لم يكن يدفع للمطعم الذي يتعشى فيه نقداً بل يرسم له، فيقبل صاحب المطعم رسومات بيكاسو وهو يشكر الله على هذه النعمة الفريدة، فوجئت أيضا حين عرفت أن ماركيز الكاتب الكولومبي الشهير يملك شققا خاصة في باريس وإسبانيا ويصادقه رؤساء أمريكا اللاتينية، وهو الكاتب الذي كان يكتب مقالاته، مقابل بيزوات لاتغني من جوع، إلا أن ترجمات كتبه التي تباع بالملايين جعلته ينام ملء العين طالما رأسه ممتلئة بالأفكار.

الأفكار في المجتمعات العربية ليست سلعة رابحة في سوق الجمهور الذي أخبرنا تقرير التنمية البشرية في العام الماضي، أن الأمية فيه بلغت 56% من المجتمع، وبهذا خسر الكاتب العربي نصف جمهوره، وظل ربعا مشغولا بلقمته وربعا مشغولاً بملاحقة الديمقراطية وتداعياتها، أما نحن في مدينة الرياض فقد لفت نظري أن الكتاب الأكثر رواجا هو، (هل كرشك كبيرة؟)، ثم مائة كتاب أخرى ناجحة عن التخلص من السعرات الحرارية الزائدة وفي مقابلها تأتي كتب الشواء والصلصات، ومن يقاوم والحال حالنا كتاباً عنوانه: هل كرشك كبيرة؟؟؟ نعم كبيرة، كبيرة!!!!



احزر من لدينا على العشاء ؟!

«الولد العبقري» مسلسل للأطفال تعرضه قناة «ديزني»، بطله ولد صغير في العاشرة، لكن ذكاءه يفوق ذكاء شاب في العشرين، لهذا سمح له نظامه التعليمي بالانتقال إلى صفوف الكبار. هذا الطفل الذكي جدا، استدرجه رجل أثناء تعامله مع الإنترنت، وأوهمه أنه يبيع إسطوانات ألعاب رخيصة الثمن. الطفل ذكي جدا، لكن خبرته في الحياة محدودة. ذهب هذا الطفل وصديقته الصغيرة من دون أن يخبرا والديهما، لكنهما شعرا بأن الرجل يريدهما لأمر مريب فهربا. فهم الطفلان أنهما أخطآ بإخفاء الأمر عن والديهما، فصارحا والديهما بما حدث الذين تفهموا الموقف وعالجوه بالنصح من دون مصادرة الإنترنت أو إلقاء اللوم على الأجهزة وليس البشر.

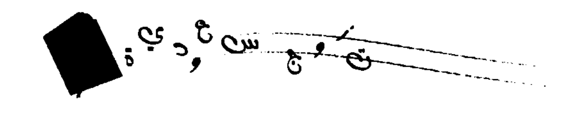
لم يكن مفاجأ أن يناقش مسلسل أطفال أميركي في الألفية الثانية هذا الموضوع، بل ما فاجأني هو فيلم قديم عرضته قناة فضائية اسمه «احزر من لدينا على العشاء اليوم؟». هذا الفيلم عمره أربعون عامًا تقريبًا. يدور الفيلم حول شابة بيضاء ابنة ناشر أكبر صحيفة أميركية، تلتقي بشاب أسود طبيب، ابن ساعي بريد، في إحدى سفراتها وتقرر أن تتزوجه خلال أسبوعين. الفتاة تستطيع أن تزوج نفسها حسب القانون الأميركي، لكنها تريد مباركة والديها. الصدمة حدثت للجميع بالقدر نفسه.. الخادمة السوداء نفسها ولولت عندما عرفت بالأمر وصاحت في وجه الناشر «إلحق، عالم القيم سينهار».

الأبوان اللذان حوصرا بطلب الرد خلال عشاء يجمع العائلتين دار بينهما حوار منفرد اكتشف فيه الناشر من دون مبالغة وابتذال في لحظة تصاعد حوار حقيقي أن موقفه، كناشر نادى طوال عمره بالعدل والمساواة ونبذ العنصرية، يشبه موقف ساعي البريد، «لا لن نوافق»!

الحجة ليست حماية القيم فقط بل لأن أبناءنا سيتعرضون لمشاكل لا حدّ لها بهذا الزواج من نبذ المجتمع ومحاربته. الوالدتان كانتا أكثر ليونة، فقد ساهم عامل الحب في ترقيق موقفهما. هما تعرفان أن المشاكل التي قد تحدث لعاشقين يعارض زواجهما من أكبر المشاكل التي قد يواجهها زوجان سيكونان عوناً لبعضهما ضد مشكلات الحياة القاسية. الرجل الوحيد الذي لم يمانع وأخذ الأمر بتسامح هو الكاهن صديق الناشر.

بغض النظر عن النتيجة، منذ أربعين عاما قررت هوليوود أن تناقش مشكلاتها وقضاياها الاجتماعية بصدق ووضوح وبالمواجهة، لأن هذا هو دور الإعلام الحقيقي، بدون آيديولوجيا وبدون زرع الواقع بأشباح لا وجود لها، وحتى اليوم وهي تفعل.

المشكلات لا تحل بتكميمها، بل بإطلاقها.. بالمواجهة الصادقة مع الذات! بالحوار الصادق. والمواجهة العلنية قد لا تحل المشكلات، لكنها تقود لطرق واسعة مليئة بأمل حلها. الزمن وحده لا يحل المشكلة بل بمصاحبة حوار شجاع! فإن كنت مؤمناً بأن قيمك نبيلة وذاتك فاضلة فاختبرها على الأرض.. قيمنا ليست مومياء محنطّة بالذهب، قيمنا هي ضمائر وعقول جاءت في الأصل لتنقذنا من أزماتنا، لا لتضيف لنا أزمة جديدة.



لا تؤجر عقلك.!

يعتمد كثير من الناس على ما يقوله الآخـرون، ماذا يقولون عن ما يحدث في الأسواق؟ أو ما يحدث في الشارع؟ أو في المدارس؟ ماذا يقولون عن الكتب؟ عن الصحف؟ عن الناس المشاهير ؟عن كل الأحداث بشكل عام؟ بل ويتبارون لتأكيدها والدفاع عنها بأن هذه حقائق شهدوها بأنفسهم ويبنون تصوراتهم على ما يقول الناس عن حقائق منقولة. لذا فليس بمستغرب أن تجد الإشاعة ترحيبًا كبيرًا في مجالسنا وفي حياتنا حتى أن من صنع الإشاعة نفسه سيفاجأ عندما تعود إليه وسيجدها قد نمت وكبرت واختلفت حتى لا يكاد يعرفها وربما سيضطر لتصديقها وسيصبح لها عليه حكم بعد أن كان له حكمًا عليها. ولعلكم تذكرون تلك القصة الشهيرة للمدرس الذي وشوش أول طالب في الفصل بخبر معين وطلب من كل طالب أن ينقله للطالب الذي يليه وسأل المدرس آخر طالب عما سمعه فوجده خبرًا أختلف كليًّا وزاد ووضع عليه بهارات كثيرة انتقلت من عقل إلى آخر!

اسأل أي شخص تقابله عندما يروي لك خبرًا أو رأيًا: ما هو مرجعك في رواية هذا الخبر أو هذا الرأي أو هذه الحادثة وآمل أن يصدق لأنه سيقول لك: يقولون!

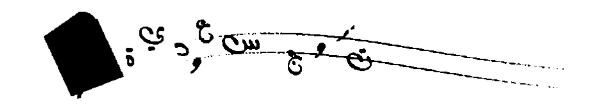
هـؤلاء أصحاب يقولون، لا يضيعون على أنفسهم متعة اختبار الأشياء بأنفسهم وصنع تصوراتهم الخاصة بهم فقط بل أنهم يؤجرون عقولهم للآخرين ليعبثوا بها ويضعوا فيها

أراءهـم هم وأحكامهم وكوابيسهم ومخاوفهم وتحذيراتهم وحتى مذاقاتهم للأشياء، فيقررون عنك ويتخذون أحكامهم بشأن الأشياء ثم يعيدون إليك عقلك ويقولون لك اذهب وعش حياتنا نحن ونظرتنا للحياة والأشياء.

ويبدو أن الحياة تحتاج قدرًا كبيرًا من الشجاعة لا تليق بغير إنسان مميز ليصنع حياته هو وأن يدافع لكي لا تصبح حياته نمطاً متكررًا لحياة الآخرين إلا أن أصحاب «برنامج يقولون» يجبنون ربما أنهم لم ينتبهوا طوال حياتهم أن لديهم قدرة خاصة للحكم على الأشياء فيرضوا بأحكام الآخرين. وقد وجدت أن أخطر ما في يقولون أنها تبنى في كثيرًا من الأحيان على المصالح الشخصية فتخيل أنـك طـوال عمرك تتبنى مصالح غيرك وتدافع عنها من جيبك الخاص؟!

لذا فلا عجب أن نجد أننا تحولنا إلى صورة من أصل غير موجود أصلاً وأننا صرنا طابورًا يسير خلف تصورات واحدة بينما نحن نعرف أن التصورات عن الحقائق ليست هي الحقائق ذاتها وإلا ما أصبح اسمها حقيقة.

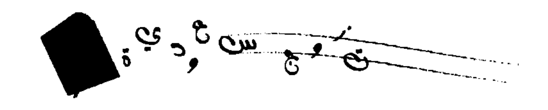
جرب أن تحمل عقلك معك مثل كاميرا وتلتقط صورك الخاصة بك ستجد أنك تصنع زوايا ولقطات رائعة، أو على الأقل خاصة بك بدلا من أن تنتهي حياتك وأنت تحمل ألبومًا كبيرًا صوره الآخرون، ولن تجد لنفسك فيه صورة واحدة. ولا تنس عنوان الفيلم الذي يقول ابتسم تطلع الصورة حلوة كما لا تنسَ أن لا تؤجر عقلك للآخرين ليعبثوا به!.



ببساطة أنت وسط العالم

تصور لو أن شاباً استيقظ في الصباح على رنين ساعته السويسرية ثم اغتسل وصلى ثم جلس إلى فطوره وأكل الكورن فليكس مع الحليب وشرب قهوته النسكافيه الأمريكية أو الأسبريسو الإيطالية أو شرب شاهيه السيلاني ثم خرج وركب سيارته الفولفو أو المرسيدس الألمانية أو الكابريس الأمريكية وذهب لعمله إما ليفتح شبكة البورصة العالمية ويتداول أسهمها أو ليتصل بالمؤسسات أو عملائه عبر البريد الإلكتروني أو ليجري اتصالاته وقضاء مصالح مؤسسته عبر الفاكس والبريد الإلكتروني أو التلفون الألماني أو الياباني وحين يعود من عمله يجلس لتناول وجبته المفضلة مع الرز البنجابي أو البسمتي الهندي وقد يحدث أن يخرج للغداء أو العشاء في أحد المطاعم الصينية أو اليابانية أو لأحد مطاعم الوجبات السريعة كالهمبورجر أو البيتزا وحين يتمدد في المساء أمام شاشة التلفزيون فقد يضطر للصبر ساعات حتى ينهي أطفاله برامج الكارتون في قناة ديزني ومراقبة ميكي أو دونالد أو أونكل سروج ليبدأ هو وزوجته في مشاهدة المسلسلات المكسيكية التي قد يهرب منها إلى الأفلام الأكشن مثل مين إن بلاك أو ورلد ويست أو قد يحول القناة ليلحق بالمسلسل الكوميدي الأمريكي سينفيلد وخلال هذا قد يرن هاتفه لحادث قريب من باريس أو من أمريكا أو من بريطانيا وفي خضم هذا البرنامج اليومي الذي يتشابه مع برامج الكثيرين يشعر

أنه بخير ولا شيء يعكر عليه يومه إلا أنه ما أن يسمع بالأقاويل الدائرة في معركة العولمة ونتائج المؤتمرات الثقافية العربية التي يخرج منها المثقفون العرب بأن العولمة مشروع صهيوني غربي حتى يشعر بالفزع من هذا الطارئ المستقبلي القادم مثل الوحش والذي سيلتهم الأخضر واليابس لا محالة. ماذا لو أصبح اسم العولمة هذا عصر الاتصالات أو تغير ليصلح «العالم قرية كونية صغيرة» ماذا لو علم بأن العولمة كانت تحت قدميه منذ أن رنت الساعة السويسرية وركب الفولفو هل كان سيفزع مثلما فزعت جارة أم سليمان التي كتبت عنها من قبل والتي صاحت عندما سمعت باسم «البوسنة والهرسك» هل هذا تطعيم يستدعي أن نتحصن منه. ماذا لو سمع كل صباح عبارة ببساطة أنت وسط العالم حتى لو لم ترد ذلك حتى إشعار آخر.!



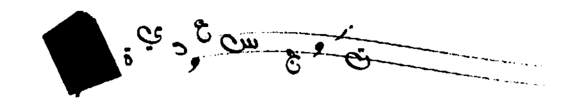
الناس التعبانة!

تدهشني ظاهرة كلما اتجهت شرقاً وجدت لوحاتها المكتوبة بفرشاة بويه فوق لوح خشب انتفخ من ماء المطر: «استراحة للإيجار» وإن ذهبت غرباً وجدت «استراحة أبو فلان لا تفوتك الفرصة عرض خاص في أيام الأسبوع بمائة وعشرين ريالاً فقط» وإذا ذهبت شمالاً وجدت «استراحة خاصة» ليست للإيجار. وفي البر راحوا يسورون الأرض ويبنون فوقها غرفة وحماماً وخيمة ويمدونها بسلك كهرباء في عطلة نهاية الأسبوع بسعر وفي أيام الأسبوع بسعر أرخص.!

لو أن زائراً من الفضاء جاء وحاول تفكيك كلمة استراحة ليفهم ماذا تعني هذه الدور لانتهى إلى سؤال واحد: هل الناس تعبانة إلى هذا الحد؟ وما الذي يضطر الآباء لقطع مسافة مائة وزيادة من الكيلوات في الليل البهيم هل هذا من أجل أن يأكلوا عشاء ويعودوا وما الذي يضطر الشباب المتزوج منهم والعازب لأن يتقاطروا ويوقعوا عقد إيجار سنويًا لاستراحة لا تعني غير أرض مسورة وماطور كهرباء وخزان ماء وقسط كل فرد منهم لا يزيد على ألف ريال لكنه يوفر له أن يستريح كل يوم في الاستراحة هل كل هذا لكي يلعب بلوت وما الذي يضطر النساء والأمهات أن يذهبن ليتعشين في استراحة في البر أو حول البر تضطر الشغالة آخر الليل أن تحمل عزوز النائم على كتفها والأم تحمل إبراهيم فيما يتهادى منصور الذي أسند وهو نائم وقد انشق ثوبه أو رأسه ثم نام بعد لعب وصياح هذا

لأن الأب الذي تأخر في غمرة لعب البلوت في استراحة أخرى نسي عياله أو أنه خاف أن يقول عن أذنكم يجب أصحب العيال فيلمزونه ويغمزونه بالخوف من أم العيال.

ولا أدري هل تعرف هذه الظاهرة في الخليج أم لا؟ لكن بالتأكيد أننا نحن أول من اخترعناها. فبعد أن بهتت ظاهرة ملحق الشباب أصبح رخص الاستراحات يؤهل للهروب نحوها لا سيما والشباب قد أصبحوا أقرب للباب لنكتشف أننا مغرمون بلعبة الهروب من البيت والأسرة وأن أول ما يتعلمه المراهق حين يكبر أن يتسلل نحو الملحق ويقيم فيه مع أصدقائه وحين يكبر يستطيع استبدال الملحق بالاستراحة بعيداً عن عيون الناس والمرأة تريد أن تعزم خمسين امرأة لن تجد لهن متسعاً غير في استراحات الشرق أو الغرب. وزاد الأمر سوءاً حين لم تقتصر إقامة الاستراحات في البر بل بدأت تزاحم بيوت الناس داخل المدينة الذين بدأوا يتذمرون منها ومن بعض التجار الذين وجدوا أن تسوير أرض وخزان ماء يكسبه إيجاراً سنويًّا يمكنه من بناء عمارة بعد سنوات. ولعل أكثر ما سيجعل زائر الفضاء يعجب أن يجد أننا أكثر بلد يعيش معظم مواطنيه في فلل ويستأجرون استراحة لكي يتعشوا فيها. ألم أقل لكم أنهم ناس تعبانة!.

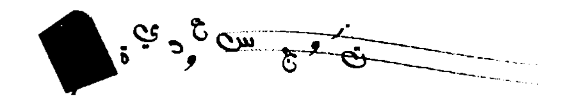


ماني فاضي

إذا تحدث رفيق مع رفيقه بادره «وش أسوي والله ماني فاضي» وإذا عاتب الوالد ولده على موعد هام معه قال «ماني فاضي» وإذا طلبت الزوجة من زوجها إنقاذ موعد عائلي معه قال لها «والله ماني فاضي» وإذا سألت كاتباً انقطع عن كتابة زاويته أو روايته أو قصصه أو مشروعه البحثي قال «والله ماني فاضي» وإذا عاتب القريب قريبه على القطاعة قال الواحد منهما للآخر والله «ماني فاضي» وإذا وقف رجل في طابور أسرع بتعدي الآخرين قائلاً: «المعذرة ماني فاضي أنتظر» وترى زبوناً يدخل محلاً يتعدى فيه على حق طفل أو امرأة أو سائق آسيوي أو مقيم عربي وربما مواطن يظهر من الوداعة والمسالمة ما يغري المستعجل بأن يسبقه في المرور صائحاً بالبائع الذي يخاف من صوت المواطن المرتفع «يا الله ولد خلصني ماني فاضي» ويركض السيد ماني فاضي من محل لمحل في السوق بعجله وغترته تهف أو عباءة السيدة ماني فاضية ترف في وجوه الناس الفاضية ولو تأملنا برنامج السيد «ماني فاضي» والذي يمثل نسبة الستين إلى سبعين في المئة من مواطنينا ومواطناتنا لوجدنا أنه لا يحوي على برنامج واضح أو قائمة واضحة من المشاغل. والبرنامج الوحيد الواضح فيه هو الدوام اليومي الوحيد وأغلبه حكومي يبدأ من الثامنة حتى الثانية بعد الظهر إذا تغاضينا عمن يخرج قبل ذلك إما تفادياً للزحمة أو ليلحق بزوجته التي تنتظر عند باب مستشفى أو مدرسة أو ليصحب

عياله من المدرسة أو يذهب ليراجع معاملة تقتضي التواجد في ساعات الدوام أو خرج يصلي الظهر ولم يعد ثم يذهب السيد ماني فاضي لبيته يأكل الكبسة والتمر ويشرب لبناً ثم الجح في الصيف ثم ينام ومن الخامسة تبدأ عجلته الأرضية تدب للدخول في برنامج «ماني فاضي» المتوتر وعلى ما يبدو أننا في مقابل مشاغلنا الحقيقية ووقتنا المتوفر لا تبدو المسألة في أكثرها غير أنا ندحش وقتنا بلا تنظيم بمشاغل غير منظمة على قلتها أو كثرتها سيان فالسيد ماني فاضي يقرر الذهاب للسلام على والدته ويواعد صديقاً بعد الخروج من عندها وفي الطريق يعتزم المرور على محل ليصلح الرسيفير أو ساعته أو كمبيوتره ثم يصل فيجد محل التصليح مغلقاً ويذهب لوالدته فيجدها عند الجيران، والأهم من كل هذا أن برنامجنا على عدم ثبات مشاغله لا يتخلله أي نوع من الهوايات التي نعتمد عليها في تنمية مهارة نجيدها أو متعة تجعل قتامة الأيام تحتمل والسبب كله يصب في مشكلة «ماني فاضي».

بينما في بلدان عربية أو أجنبية مثل لبنان أو لندن يمر المرء في الصباح وهو يتريض ثم يمر لشراء علبة اللبن والبصلتين وحبتي الطماطم لغداء اليوم وتراهم حين يمرون لشراء ساعة أو جريدة أو مراجعة للبنك يقبلون عرض شرب القهوة من البائع ثم يذهبون. بينما نحن نتسوق لأسبوع كامل ونستخدم ما يحفظ الأشياء لشهر أو فصل زمني لكن نظل دائماً مدحوشين في شبكة من العلاقات ليس لها أول من آخر وواجبات لا ندري ما المهم فيها من غير المهم بل إننا في نهاية الأمر نجد أن الأجهزة الخربانة في البيت كثيرة وأننا ننقطع



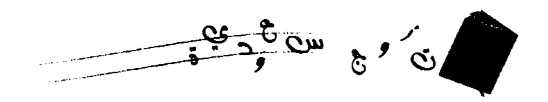
عن أقاربنا أو اصدقائنا لسنوات ويمضي العمر كله دون هواية
إنه حقاً مجتمع مشغول بمعنى «ما هو فاضي».

جعل يومي قبل يومك.!

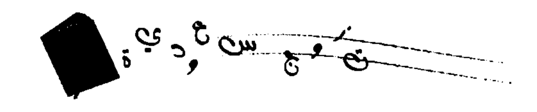
تشتغل صناعة الإعلام بالدرجة الأولى على صناعة الخبر وتتباين هذه الصناعة كما في قصة قديمة تحكي أن ملكا قد رأى في منامه رؤيا كدرت خاطره فأرسل في المدينة عن من يفسر له تلك الرؤيا وجاءه الحكماء من كل حدب وصوب ولم يملك هؤلاء سوى قول الحقيقة التي تنجلي عنها رؤياه التي تقول بأن جميع أهل بيته سيموتون كلهم ثم يلحقه الموت من بعدهم وقد كان يتشاءم من هذا التفسير ويأمر بقتل صاحبه حتى جاءه يوما أحد الحكماء وقال «يا مولاي سيطول بك العمر حتى أنك ستشهد موت أهل بيتك جميعهم قبل أن تلحق بهم.» فسر الملك بهذا التفسير وكافأه عليه وقربه منه وبطبيعة الحال لم يكن التفسير يختلف في مضمونه عما فسره الآخرون، غير أن زاوية نقلت الخبر من الأسود إلى الأبيض ومن الشؤم إلى بشارة الخير وعلى هذا النهج راحت الصحف تنقل تقرير منظمة الصحة العالمية حول متوسط الأعمار في مائة وواحد وتسعين دولة ومثلما فاجأ التقرير الخبراء أنفسهم فأنه قد أثار شهقات الاستغراب لدى كثيرين في مواطن عديدة منه وقد بلغ من حكمة الشرق الأوسط أن جعلت عنوان الخبر «الخليجيون أطول العرب عمرا» حتى لو كانت مراتبهم تبدأ من المرتبة الخمسين وبفارق ضئيل جدا مع بقية العرب فيما اكتفت بعض الصحف المحلية بنقل واقع حظوة اليابانيين بالعمر الأطول والشماتة في الأمريكان الذين احتلوا المرتبة بفارق ضئيل

عن اليابانيين بلغ عامين لكن للأرقام سطوة تعمي العيون ولا تجعلنا نرى أن الإسرائيليين الذين يعيشون معنا في نفس البيئة الجغرافية والحروب والهم وإشاعات انتشار الإشعاعات النووية المتسربة حولنا لم تقتصر أعمارهم على ما يبدو فقد تقدموا على الأمريكان بمرتبة حيث احتلوا المرتبة الثالثة والعشرين ولا يذهب تقرير منظمة الصحة العالمية إلى تقرير نبوءة متوسط الأعمار لأن الجميع يعرف أنها بيد الله سبحانه وتعالى بقدر ما يربط بين معيار البقاء بصحة جيدة أطول مدة ممكنة لأن عاملا مثل انتشار الإيدز يجعل قارة أفريقيا في أدنى السلم حيث يبلغ متوسط عمر الإنسان في بعضها عشرين عاما وأقل وكلما ارتفعت برامج العناية الصحية ورفاهية الفرد أرتفع معدل متوسط الأعمار ولذا نجد أن أبطال المسلسلات المصرية يصرخون على الدوام احتجاجا على المشكلات والخناقات «دي عيشة تقصر العمر» كما نجد كثيراً من أمثلتنا الشعبية تشير إلى علاقة تفكير الإنسان بالهموم والنكد وما فات والتعجيل بالموت.

شهقتي الكبرى بلغت حدها حين رأيت أن تقرير منظمة الصحة العالمية حوى معدلا ثابتا لطول أعمار النساء مقابل الرجال في كل الدول حتى أنه يبلغ عشر سنوات في روسيا وسبع سنوات في أمريكا ويتدنى في الخليج حتى سنه واحدة بحيث يرتفع متوسط عمر المرأة عن الرجل بفارق سنة أو سنتين باستثناء السعودية الذي يكون متوسط عمر الرجل أطول من المرأة.! ترى ما هو السر؟ وهل من أجل هذا يعمل نظام التقاعد لدينا على تطيير تقاعد المرأة بعد موتها ويحرم أولادها من



الاستفادة منه أم أن السبب هو أن نساءنا على الدوام يتحلين عند أزواجهن بدعاء «جعل يومي قبل يومك» !!



حكاية هندية

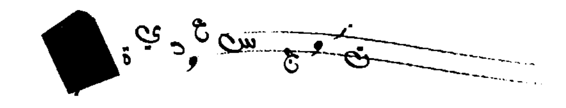
يبدو أن الحياة تحتاج دائما لحس الطرافة حتى في أحلك اللحظات هذا ما يعلمنا إياه درس اختطاف الطائرة الهندية. ففيما كانت الهند وباكستان تتراشقان التهم المدمرة حول مسؤولية باكستان وعلاقتها بالمختطفين، كان العالم كله بصحافته يتابع أخبار اختطاف الطائرة بشفقة وخوف.أجبر قائد الطائرة مرتين أن يهبط في مطار قندهار عنوة، والوقود كاد ينفذ، والأضواء أظلمت لإعاقة عملية هبوطه، فكل الدول التي توسل الهبوط فيها، ترفض استقباله والهند تتخلى عن مواطنيها نكاية في الخاطفين لتعلمهم درس «ألا يعودونها مرة ثانية».! في خضم كل هذه التراجيديا كان فصلاً من الكوميديا يدور في الطائرة كجزء من جوانب الحياة فقد روى المختطفون كم من حس الطرافة تلبس أيام الاختطاف اللطيفة تلك، ففيما كان المتابعون لأحداث الطائرة المختطفة خائفين عليهم، كان الخاطفون يقرأون لهم شعرًا بالأوردية ويروون لهم النكات. روى الخاطف بيرقر للركاب عن أن رجلاً - طبعا لم يقل لهم كان فيه واحد هندي لأن الأمر كان واضحا - طار بطائرة هيلوكبتر وفي الجو شعر بالبرد فأطفأ المحرك وعندما سمع قائد الطائرة بعض الضحكات شعر بأمل يسرّي عن الخاطفين كيف لا وهو القائد فأخبرهم بنكتة أخرى وتوالت النكات بعدها من كل حدب وصوب وقد روى المخطوفون أن الخاطفين قد سروا عنهم بأن أجروا لعبة آخر حرف توقفت عندها الأغنية

الأخرى ولأنه ليس هناك أكثر من الأغاني الهندية خاصة في الأفلام الهندية فإن ثمانية أيام لا تكفي لإنهائها ويبدو أن دلع النساء لا تحجبه ساعات الرعب فقد ذكرت أحدى الراكبات للسيد «بيرقر الخاطف» بأن عيد ميلادها يصادف يوم اختطاف الطائرة فقرر بيرقر أن يحتفلوا به في الطائرة فما كان من بيرقر اللطيف إلا أن أسرع للسوق المجاور في المقعد المجاور حيث يجلس رجل من نيبال يتاجر بالشالات وأخذ منه شالا دون أن يدفع له الثمن طبعا لأنه الخاطف،وأهداه للمرأة بعد أن قال لها بالهندي «هابي بيرث داي» وردت عليه بالهندي «كم أنت لطيف».!

أما أطرف الأمور فهو حس الفضول الذي لم تقاومه احدى السيدات خاصة وأن الميانه قد حلت محل الخوف فسألت بيرقر هل لاسمك علاقة بأنك تحب ساندويتش الهامبيرقر فرد: «ما هذا الشيء» الذي لا يعرفه. وهذا دليل على أن بيرقر يعيش خارج نظام العولمة.

ولأن الحياة بحاجة لبعض الكذب لتمشي الأيام خفيفة فلم يجد بيرقر غضاضة في الكذب على عروس الراكب الذي قتل فزعم أنه نزل في مطار دبي للعلاج ثم قال لها: أعتبريني مثل أخوك!!

وعندما غضب الخاطفون لأن المتفاوضين رفضوا طلباتهم طلبوا من الركاب أن يصلوا لأنهم سيموتون بعد نصف ساعة حينها فقط عرف المخطوفون أنهم لا يمكن الوثوق ببيرقر وجماعته أما عندما انتهت المفاوضات وودع بيرقر المخطوفين قال لهم:- إلى اللقاء مرة أخرى. فسأله



أحد المخطوفين: لو رأيناك مره أحرى في المطار وأنت في مهمة مشابهة هل ستبلغنا حتى لا نركب الطائرة؟ -خاصة أنه صار بينهم عيش وملح- فتعهد لهم بيرقر بذلك .كان بودي أن أقول أن كل هذا من تأليفي لكن في الحقيقة هذه أحداث روتها عن الخاطفين سيليا داغر عن جريدة الشرق الأوسط أثناء اختطاف طائرة هندية !

سكنهم مساكنهم

يحظى الأطباء بين الناس بحضور مميز ظننت في بداية الأمر أنه يشكل إزعاجاً لهم حيث يتحول الحديث معهم عن أعراض جسمانية وحوادث وآلام ووصفات علاجية، لكنني فطنت وأنا أجالس طبيبة تتقلد مناصب علمية ومهنية كبيرة على دعوة طعام أن هذا الحديث بالنسبة للأطباء يشبه حديث الأديب عن الأدب والشاعر عن الشعر والمراهق عن أنواع السيارات. بل إن هذا النوع من الحديث يتيح للطبيب فرض سلطته على المجلس واستعراض قدراته السحرية على جمهوره الضعيف المتعطش لحلول سريعة ومجانية ورأيت كل واحدة منهن تخرج قلماً وورقة وتسجل ما تنصح به الطبيبة والأسئلة تنهال: يا دكتورة صحيح ما قيل عن فائدة البصل والثوم؟ نعم هو مفيد للدورة الدموية والعين والرأس والدماغ لكن زيوته الطيارة تؤذي القولون. طيب ماذا نفعل يا دكتورة؟.. تجيبوا الدواء اللي اسمه سير كسلين من الصيدلية دا حبوب بصل منزوعة منها الزيوت المؤذية ثم رأيت كل واحدة تنظر للمائدة لتسأل عن فائدة ومضار ما على الطاولة والطبيبة تصف دواء منزوع الضرر مكبوس الفائدة، وبعد أن سجلت كل سيدة وصفتها المجانية التي ستصفها لعائلتها ولكل من تقابله من أقاربها على ذمة الدكتورة طبعاً حتى سألت الطبيبة: وهل تتناولين كل ما وصفتيه أو بعض ما وصفتيه للسيدات هنا؟.. ضحكت الدكتورة وقالت: لا أصلي ما بحبش الدواء.

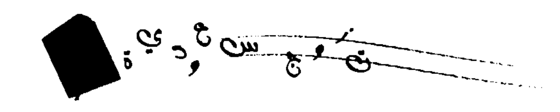


وفهمت من جوابها أن هناك جمهوراً يحب الدواء وخاصة الدواء المجاني السريع.

خدمة الدواء المجاني والسريع خدمة شائعة في القنوات الإعلامية صحفاً وإذاعة وما عليك لينجح برنامجك غير تقديم هذا النوع من الخدمة: «اسأل ونحن نجيب» وقد ظننت أن هذه الخدمة هي خدمة توعوية تنويرية تقدم الفائدة العلمية للجمهور السائل إلا أنني فوجئت أنها ليست بالضرورة كذلك وهي لا تختص فقط بالغذاء والدواء الذي قد يفيد معه غسيل المعدة بل إنها أحياناً تتجاوز إلى حالاتك الاجتماعية والذهنية والفكرية والفلكية فتخبرك عن مستقبلك وماذا تفعل مع زوجتك إذا ناكدتك وقد استمعت شخصيًّا إلى حلقة تم فيها تطليق المتصل من زوجته من قبل دكتور قدّم نفسه بأنه حاصل على شهادة دكتوراه في علم الاجتماع حيث اتصل رجل اسمه «ثامر» وطرح مشكلته وملخصها أنه أحب فتاة عشر سنوات ثم تزوجها وبعد زواجه بعشرة أشهر قال إنها دلوعة وكسولة، فما كان من الدكتور إلا أن قال: طلقها يا ثامر! وعندما حاول زميله الدكتور الآخر في البرنامج أن يراجعه في قراره بالقول: لا يا ثامر اعرض مشكلتك على مستشار للمشاكل الزوجية، قاطعه الدكتور الأول غاضباً: أقول طلقها يا ثامر!.. وقد كاد من شدة الحماس أن يطلقها هو نيابة عن الأخ المتصل كما فعل رجل في قصة من التراث العربي، عندما طلق زوجة جاره حين لامته على تطليقه زوجته فقال لها: اذهبي أنت طالق إن رضى زوجك.

أما أغرب النصائح الهوائية فهو ما شاهدته في برنامج تم عرضه يوم السبت الفائت في إحدى القنوات حيث سألت

سائلة: «هل يجوز أن تذهب للتداوي عند رجل يداوي الناس بالاستعانة بالجن المسلمين؟.. فرد المجيب أنه لا يجد بأساً في التداوي عند رجل يستعين بالجن المسلمين؟.. ولا أدري هل سيضع الأطباء الشعبيين يافطتهم بعد اليوم «تحت مسؤولية الجن المسلمين». وكيف يمكن معالجة مسؤولية وأخطاء العلاج وكيف يمكن للجمهور المسكين أن يتحقق من هوية وديانة المعالجين من الجن المسلمين الذين ما اعتدنا عند ذكرهم إلا بالدعاء «اللهم سكنهم مساكنهم»!.



عصر الكبك الحجري

علي بن مد الله المردارسي من أهالي الحب في بريدة، يبلغ من العمر 65 عاما، وهي سن ليست كبيرة في عمر الشعوب، لكن لو وضعت نفسك محل العم علي فستظن نفسك قد ركبت بساطاً سحريًا وطرت من زمنه إلى زمان آخر اختلفت فيه التقنيات والبنى التحتية لكن الذهنية ظلت هي ذاتها، لم تتغير لكن لا أحد يفهم الدرس المتكرر، مع أن التكرار يعلم (الشطار)!!.

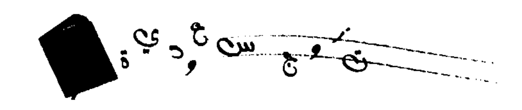
عم علي هو أول راكب للدراجة الهوائية التي نسميها (سيكل) لكنه لم ينل هذه الريادة بسهولة، فهو يقول إن السيكل منذ 46 عامًا كان يسمى (حصان إبليس) وكان محرمًا على الناس ركوبه، ومن يضبط وهو يمارس هذا الفعل الفاضح، فإنه يجلد بخمس (عصي) جلدات ويصادر منه السيكل. اليوم العم علي لا شك أنه مصاب بحالة من الذهول الحضاري، وقد كتب الله له حياة ركب فيها السيكل، ثم السيارة وربما القطار أو الطائرة.

لكن من يظن أن عصر «حصان إبليس» قد انتهى، فهو ليس مراقبًا جيدًا لما يحدث، فتاريخ التوتر الفكري والاجتماعي من كل جديد لا يزال معمولا به حتى يومنا هذا، ويمكن أن نضع قائمة طويلة لكل ما يثيره، فمنذ ظهور اختراع اسمه (الكبك) وهي قطعة من الحديد تستخدم لشبك طرفي ثوب الرجل مثل المشبك أو الأزرار، رغم أنه قطعة حديد خرساء مثلها مثل

الدراجة الهوائية، إلا أنها حوصرت وطوقت بنصوص تحريمية كانت ربما في ذلك اليوم مقنعة، فهي تندرج ضمن قائمة كل ما هو جديد وحديث، وغريب على مجتمعنا المسلم، وهذا المبرر بحد ذاته كاف لمنعه، لكن أربع سنوات تكفي لجعل هذا الشيء متداولا وشائعا، بل أننا نجد من حرمه قد مارسه، واتخذه وسيلة فاعلة للتعبير عن الفكرة ذاتها (فكرة التحريم). لم تدخل تقنية لمجتمعنا من دون أن تعبر من بوابة التحريم، (الهاتف، السيارة، التلفزيون، الدش، الهاتف الجوال المزود بكاميرا، الفضائيات) وتستطيع أن تضيف إلى قائمة التقنيات المتطورة أيضا كل برنامج يتعلق بتطوير المرأة، مثل تعليم البنات، قيادتها للسيارة، دخولها للإنترنت بدون محرم، . هذه ليست نكتة إنها فتوى في أحد المواقع.

معظم الذين يعملون في قطاع تحريم الفضائيات، يتحدثون عبر القمر الصناعي، ويتهمون المثقفين بالعمالة الأميركية والعلمنة، و يصفون الانتخابات، بأنها فعل ديمقراطي يشيع الفاحشة، لكن ما يحدث أن من يحرم بالأمس يعود ليستخدم الآلية ذاتها ولكنه لا يكتفي بتناقضاته، بل يعمل على اختراق الفعل الديمقراطي بفعل غير ديمقراطي.

من عهد (الكبك الحجري) إلى حصان إبليس إلى انتخابات مجالس البلديات، سترى بعض المواقف، وكأنها (دولاب) يلف، لكن عليك أن توسع اللقطة (زووم أوت) لتكتشف أنه دولاب يدور في النقطة ذاتها، محلك سرا.



قانون الجوع

كانت أمي تصلي ذات مساء وأنا أجلس بجانبها في شرفة منزلنا الأرضية وحينما انتهت، التفتت فوجدت بقربها صحن فاكهة صغيراً خالياً إلا من تفاحة واحدة حمراء وسكين تناولت أمي التفاحة قطعتها أرباعاً أزالت قشورها ثم ناولتني ربعاً فأكلته وأكلت هي الربع الثاني ثم أعطتني الربع الثالث فأكلته وأكلت هي الربع الرابع والأخير. منذ ذلك الحين وحتى اليوم لم أذق في حياتي ما هو أطيب مذاقاً من تلك التفاحة ولم أفهم لماذا؟. ظننت أنه طعم الحنان في تفاحة أمي لكنني اليوم أستعيد تعليق أمي يومها على طعم التفاحة اللذيذ حين قالت: «لهذا كان لكل شيء طعمه في زماننا».!

حين كبرت عرفت معنى ما قالته أمي. كان الشعور بأن تلك التفاحة هي الأخيرة في الصحن وربما في البيت والحصول على نصفها فقط دون الشعور بالشبع هو السبب الذي جعل لمذاقها طعماً طيباً إنه قانون الندرة كما هو قانون الجوع في حكاية قريبي الذي قال: «نزلنا ضيوفاً عند وجيه كبير من أصدقائنا في طريق عودتنا من رحلة قنص طويلة وكنا طوال اليوم على قهوة وتمر الصباح وما أن وصلنا وبانتظار إعداد وليمتنا قدم المضيف لنا تمراً ولبناً نتصبر به فأخذنا نأكله بنهم وتلذذ ولم تبقَ قصيدة مدح لم نقلها بحق التمر وبحق البلد التي جاء منه وشددنا على مضيفنا بألا يتركنا دون هذا التمر النادر المذاق وأن يبعث لنا إلى الرياض من هذا

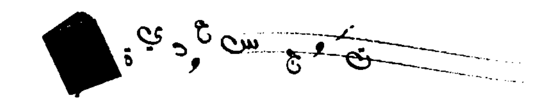
التمر الطيب عدة تنكات. وبعد شهرين وفي رمضان بعث لنا الرجل من التمر الذي طلبناه فإذا به تمر رديء على قوله «لا يصلح الا للبهائم» ورفعت هاتفاً لصديقنا أعاتبه لكنه ضحك وأقسم إنه التمر نفسه الذي أكلت منه لكنه الجوع جعل منه أطيب التمر عندك. وها أنت عدت تأكلين من التمور الطيبة حتى صار عندك تمرك القديم سيء المذاق. ولم يكذب الرجل فيما قال».

على ما يبدو أن هذا هو سر الحنين الذي نلمسه في حديث آبائنا وأمهاتنا ونلمسه نحن في مذاق طفولتنا حين كانت أسوأ حلوى معجونة من السكر والماء أطيب ما ذقناه. واليوم حين أتذوق حلوى كنت آكلها وأنا طفلة أقول لنفسي «كيف كنا نأكل هذه الحلوى المخيسة» طبعاً لقد أفسدت حلوى سويسرا وبلجيكا مذاق حلوى الأمس بل إن شراب التوت المخلوط بنصف وزنه سكر والمثلج كان أطيب أنواع الآيسكريم في طفولتي، واليوم لا تسمع غير نبرة التذمر والتبرم من الأطفال الذين يقومون من طاولة الأكل لا يعجبهم الأكل ويصرون على طلب الطعام الجاهز من الخارج. أرجو أن لا تفهموا أن هذه أعراض شيخوخة بدأت تدركني لكنك اليوم وأنت تتأمل طاولة طعامك عليك أن تعد الأماكن التي جاءت منها الصين إيران إيطاليا الولايات المتحدة حتى القشطة التي كانت تصنعها بقرة الجيران وجدتها مرة مكتوب عليها قيمر ومصنوعة ومجلوبة من الكويت ثم بعد كل هذا لا تعرف تفسيراً لتأفف الناس عند سماع ذلك التعليق المكرر «بأن كل شيء فسد» وهو في الحقيقة لم يفسد لكن غياب قانون الندرة وقانون الجوع هو

الذي أفسد ذائقتهم للأشياء.. حتى المعرفة اكتسحها قانون الندرة والجوع كانت قصة أو كتاب منذ عشرين عامًا له طعمه، اليوم تستطيع أن تقرأ ما تشاء وأن تطلب المعلومة التي تريد من شبكة المعلومات الإلكترونية وتصلك في الساعة نفسها. كان لمذاق الكتب الصعب الوصول إليها مذاقاً مختلفاً، كان لطعم فيلم رديء لحسين فهمي وسعاد حسني مذاقاً مختلفاً. حسناً يبدو أنها « أعراض الشيخوخة » بحق!

الزعاق العربي

لست وحدي من راح يتحسس من ظاهرة الصراخ في برامج الحوار العربية على القنوات الفضائية،وراح يشجبها ويتخذ منها موقفاً مثاليًا ليدعو للهدوء في الحوار واحترام الطرف الآخر وعدم مصادرة وجهة النظر الأخرى المخالفة،واعتباره هذا «الزعاق الحواري «تهديدًا و تأسيسًا للحوار الصارخ أو الزعاق الفكري في أذهان الجيل القادم وخاصة أن الذين كانوا يزعقون ليسوا إداريي أندية رياضية أو مشجعي كرة قدم بل مفكرون كبار وأكاديميون. لكنني في الحقيقة بدأت أتراجع عن موقفي الذي أعتبره مثاليًا كما قلت بعد أن بدأت أعتاد على الصراخ وأستمع لما يطرح خلف هذا الصراخ، واكتشفت أن الصراخ أو الزعاق ظاهرة حوار عربية لا يمكن أن نقفز فوق تاريخها الاجتماعي الطويل المتأصل فينا من يوم وليلة لمجرد أنه أتيح لنا منبرًا إعلاميًا عربيًا وأصبحنا نمتلك هامشاً من التعبير الحر لنحاور بهدوء واكتشفت أيضا أنك ما أن تعتاد على هذا الصراخ حتى تنطفىء حساسيتك تجاهه – ولله الحمد – خاصة عندما تجد أن بداخله طرحا جديدًا حقيقيًا بل أن فائدتها لنا كعرب تتجاوز فائدة طرح تنظيري لطرف واحد يمتلك منبرًا كاملاً يتحدث فيه مطمئنًا بأن لا أحد سيقاطعه يهدده – إلا مذيع يستعرض أفكاره – لأن تلك المباريات التي تحدث بين طرفين تخلق نوعا من الصدمة الفكرية لعقلك ولعقل المحاور نفسه حتى أنك قد لا



تعود الشخص ذاته، تقودك من أقصى اليمين للشمال وتقودك لمغامرة فكرية كنت قبلها متآلفا مع ما ترضى ومع ما لا ترضى مع ما هو منطقي ومع ما هو غير منطقي وتتضح قوة الأفكار في مقارعتها ومدى صلابتها في هذا التطارح بل أن العنف في الحوار يكشف عن أن عنف الحوار لو اعتدنا عليه سيمهد لمرحلة انتقالية من العنف البدني إلى عنف الكلام، وسيتعلم الإنسان من خلالها المحاور والمستمع أنه يستطيع أن يصرخ كيفما يشاء وسيتخلص من العنف الذي بداخله ليكتشف أنه ليس مضطرًا لعنف اليد.

في أحدى الحلقات ظهر أحد المفكرين وهو يزعق حتى ظننت أنه قد يصاب بنوبة قلبية في من شدة الانفعال، لكنه في الظهور الثاني له بدأ أكثر هدوءًا. يبدو أن الصراخ في الحلقة الأولى قد نجح في مداواته. ولقد وجدت أن الصراخ لا يؤذي ويمكن التعايش لا كما يفعل العنف البدني وخاصة عندما اصطدمت بظاهرة الصراخ عند الإيطاليين في مطاعمهم وهم أهل حضارة وطبيعة كفيلة بتحويل أبنائها الأوروبيين إلى ألواح ثلج يصبح وقع حذائك الصاخب في مطاعمهم اجتراحًا سافرًا لهدوئهم إلا أن صراخ الإيطاليين وهرجهم في أماكنهم العامة لم يضر حضارتهم ولم يمنعهم من بنائها لذا لا بأس دعونا نعتاد الصراخ في سبيل أن نقضي على العنف ويبدو أن الطريق لحوار هادىء ورشيد لابد أن يمر بكل هذا الزعيق.!

حياة شعبية

عندما تذهب المرأة منا إلى السوق لتنتقي ثوباً لها فإنها تحرص على الابتعاد عن الأسواق الشعبية التي تملؤها المصانع الكبيرة بكميات هائلة من السلع المتشابهة وبأسعار رخيصة لتصبح في متناول الجميع بسبب تدني أسعارها وقدرتها على التشابه وتقليد الموضة. وتحرص بعضهن على أن يحمل ثوبها شعاراً أو توقيعاً لمصمم أو ماركة عالمية شهيرة معروفة بغلاء أسعارها وجودة صنعها وغرابته وكم يحرج المرأة أن تتشابه هي وامرأة أخرى في ثوب إذا ما اجتمعا في مناسبة. وحين يريد الرجل أن يبني منزله فإنه يتريث ويفكر، يتفحص البيوت الجديدة ويبحث عن الجودة، ويحرص على تفادي تكرار الأخطاء والاستماع لنصح الناصحين ويا «كثرهم» في هذا المجال، يخسر بعضاً من المال وهو يتراجع من تصميم إلى تصميم، لكن الغريب العجيب أن المرء حين يبدأ في صنع حياة له لا يفكر حتى في كيف يكون مميزاً ولا يبذل جهداً في تصميمها كما يفعل مع ثوبه أو مسكن من حجر.

بل إن العكس صحيح حيث يحرص الكثير منا على التشابه والتسابق في المماثلة مع التصميم الشعبي ومع الصورة التقليدية الشائعة دون فرز جيد للألوان والمقاييس والجودة والمعايير. كلنا نسير في نهر من التشابه نحو مصب واحد كلما تشابهت عناصره تبدت عيوبه واضحة ومميزة مع أن حياة المرأة أغلى من ثوب تلبسه، وحياة الرجل أغلى من بيت

يسكنه إلا أن هذا الهوس بالتشابه والحق يقال ليس خياراً واعياً بل هو مقرراً علينا، يسير الناس فيه دون وعي منهم ودون خيار لأن الرضا والتقدير هو مكافأة لمن يزداد تشابهاً منا، والنفور يحيط بمن يتفرد. ولهذا تجد الصور الكربونية تكثر بشدة في المجتمعات كلما زاد انغلاقها على ثقافة واحدة وانعزالها عن تيارات التنوع والابتكار حيث لا تسمح لفرد منها أن يخرج عن رسومها وتصميمها فيما تجد في المجتمعات الكبيرة المنفتحة والمتقدمة أن المبتكر في صنع حياة مميزة وخلاقة ومبدعة هو من ينال التقدير والتميز وتسليط الضوء عليه.

ولا أجد في المجمعات العائلية السكنية التي بدأت تنتشر في مدينتنا تضم أربعة عشر بيتاً صمم لأبنائها الذكور بالطريقة نفسها واللون والمساحة أيضاً غير رسم كاريكتوري لفكرة «قيد التشابه» هذا، ودلالة على التزام أدبي آخر للدخول في نظام كربوني واحد يتورط به المرء في عمر مبكر من حياته مقابل ضمان اقتصادي أو اجتماعي مريح. وما هو معروف أن قدرات الابتكار والتفرد والتميز تزيد عند الشباب وتنخفض كلما تقدم الإنسان بالعمر حيث يصبح أكثر استجابة للتشابه مع القطيع لذا على من تجاوز الأربعين ولم يلمس تفرداً في شخصيته عليه أن يكمل باقي عمره فيها إلا إذا أراد أن يصبح ممن تفردوا وصنعوا حياة مميزة بعد الأربعين وهم قلة وسامحوني.!

بكرة النكد!

لا تكف التعليقات الصحفية عن التندر على النساء ووصفهن بحب المناكفة والنكد؛ وآخر تعليق في هذا الشأن كان صورة عن الفرق بين عقل الرجل وعقل المرأة، يبين صورة لعقل الرجل لا يوجد فيها سوى زر واحد عليه كلمة off، وصورة لعقل المرأة فيها كثير من أزرار التشغيل والتعقيد.

موضوع المرأة موضوع شَغَلَ كل أدبيات القرون والفلاسفة، لكن أبشعها تلك المجادلات التي عقدتها الكنيسة الأوروبية في القرن السابع عشر لمناقشة هل المرأة كائن ذو روح أم بلا روح؟! أي هل ترقى إلى مستوى إنسان أم لا؟

معظم الثقافات البدائية والقديمة منذ انتقال المجتمعات إلى مرحلة المجتمعات الأبوية وسيطرة الذكر على الأرض ورغبته في توريثها لأبنائه الخلص، بنيت على التمييز بين الرجل ككائن من الدرجة الأولى، بينما تراوحت درجة المرأة فيها، فوصلت في ثقافة من الثقافات إلى سلعة يرثها الابن إذا مات والده من مجمل الموروثات.

الإسلام رفع من شأن المرأة عند العرب لكن في بعض مراحل الانحطاط الفكري انتكست مكانتها بسبب بعض القراءات التي أعادت المرأة للصفوف الخلفية من الحياة والمجتمع، بحجج موضوعة.

وحتى الفيلسوف الكبير أرسطو حمل على المرأة، فزوجته التي كانت تلاحقه وهو يتمشى في الأسواق يحاجج العقول بدون

ثمن مدفوع، بمطالب الغذاء والعيال، فما وجد أمامه غير امرأة تفكر بغريزتها وهو يفكر بأعلى مستويات عقله، فأطلق حكمه الشهير الذي لا يبعد عن وصف النساء بأنهن بنصف عقل تقريبا تلحسه الموضة والأزياء وأشغال المطبخ.

اليوم تعيش المرأة تحت قصف هائل من النتائج التي تحاول إعادة الحق لأهله، فتقول إن مستوى الذكاء عند المرأة في السنوات السبع الأولى من حياتها يفوق مستوى الرجال، لكنه بعد ذلك يتدهور من دون أن تقول لنا لماذا؟ ثم تعود لتقول: إن قدرات المرأة اللغوية في التعبير أفضل من قدرات الرجل، لكن لا تستخدمها إلا لـ«النق» والشكوى من الرجل. ومهما طوحت الاختبارات بنتائج تُصلِح من شأن الصورة السلبية عن المرأة إلا أن البعض (أذن من طين وأخرى من عجين)، فلن يصلح العطار ما أفسدته الثقافة!

آخر دراسة تسببت في سكب دموعي مدرارًا، من شدة أسفي على ما راح منا، تقول إن النساء لديهن مهارة الميل للطرافة أكثر من الرجال. من يسمع اليوم هذه النتيجة وسط أوصاف النكد التي أطلقها الرجال علينا وحبنا للبكاء والنكد لن يتذكر غير تلك النكتة الشهيرة التي تقول إن رجلا اتفق أن يجعل لزوجته (يوم الأحد) لتمارس هوايتها وبدون مقاطعة في التنكيد عليه وتريحه باقي الأسبوع فصارت الزوجة كل يوم سبت تغني «بكرة النكد بكرة!».

في المغرب لا تستغرب

في المطعم اليهودي بالرباط حيث يجلس المغاربة، مسلمين ويهودا، يأكلون من صحن واحد على عادة لم نألفها في كثير من بلادنا العربية، أصر صاحب المطعم أن يهدي تحية لنا غناء أندلسيا قال فيه:

«أهل الشمال عندما يهب الهوى قويا يعرفونه وحين ينظرون في أفق عيون حبيباتهم لا يرون إلا الجبال بعض النساء حين تبرق الشمس في عيونهن تجاوبهن السماء بالمطر».

حدثنا الشاعر المغربي أن المغاربة يحبون الغناء الخليجي عموما، يحبون محمد عبده، وأبو عبد الله (طلال مداح)، كما يحب هو ذكريات عزيزة في نفسه عاشها في مدن الرياض والدمام وعسير السعودية، ثم قال واصفا مغربه «المغرب يمتلئ بخرافة كبيرة تمنحك زهدا»

في الطريق إلى الرباط، وبجانب الطريق المسفلت، كان الرعاة يعيشون حريتهم مع الخراف تحت شمس الخريف الدافئة في شهر «ديجبمر» كما يكتبه المغاربة. وعلى ضفاف المراعي والحقول الخضراء تجلس النساء يغزلن حكايات آفلة، بينما يلعب أطفال فقراء الكرة تحت شمس مغربية دافئة.

ماء المحيط الفضي يخرج لاستقبالنا أيضا على شاطئ الأطلسي، في مشهد حميم يمنح فيه صخور الشاطئ قبلاته المنعشة، ويخلع على أعناق صخورها عقودا من الفضة في مده وجزره. تسدل السماء على لقائهما الحميم ستار فضة أكثر

صفاء، فيتحول المشهد إلى صورة من ماء يضيء العين بالنور، وبدهشة لا تحتمل غير صيحة الممسوس بالجمال «يا الله!».

كلما حللنا مكانا يدعونا أهله بالضيوف، لا بالغرباء، ويمنحوننا كرماً معتّقاً بالود والاحتفاء.

عند وداع المغرب، وعند خروجنا الأخير من بوابة الفندق، ركض إلينا طفل صغير لا يتجاوز طوله ربع متر، وألح علينا أن نشتري «علكة» يبيعها، فأزحناه عن طريقنا قائلين:

اذهب.. لا نحمل نقودًا صغيرة. ألح علينا، ففهمنا إلحاحه تسولاً. تعاونا أنا وإلهام المغربية على جمع ثلاثة دراهم معدنية من محافظ نقودنا ومنحها له، لكنه رفضها قائلا:

ما نبغاش صدقة!

قلنا له: ماذا تريد إذن؟

قال: اشتروا مني!

تعاونا مرة أخرى وجمعنا له سبعة دراهم فأعطانا علكة. وضعنا الدراهم السبعة في يده فأخذ خمسة ورمى اثنين على الأرض، وأضاف:-قلت لكم ما نبغاش صدقة.!

ـ ماذا تريد إذن؟!

ـ اشتروا مني علكة أخرى بالنقود!

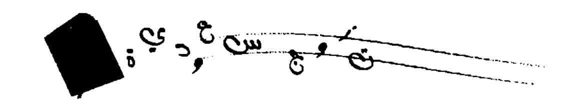
قلنا له: هيا ارحل من هنا.. لم يعد لدينا نقود.

وفيما هو يلح تذكرت شيئا، مددت يدي داخل حقيبتي وأخرجت له «شيكولاته». قلت لت :ما رأيك أن تأخذ الشيكولاته هذه وتذهب؟!

برقت عيناه بفرح الأطفال السعيد، لمعت ابتسامته بحبور وبراءة، مد يده ناسيا كل تعليمات أمه بألا يقبل الصدقات،

وتعليمات أبيه بأن يكون تاجرا حصيفا، مد يده ناسيا تجارته اللحوحة، وقبض على الشيكولاته. مدت صديقتي يدها لتساعده على فتحها فسحب يده خائفا أن تأخذها منه. قلت له: «أمام الحلوى لا تقول لا هاه»!.

نظر إلي غير واع بما قلت وكأنه غادر عالمنا إلى عالم من الحلوى وبراءة الأطفال التي تنسى كل شيء، وابتسم وقال: شكرًا.



ولد تكسبه خير من درهم تخسره!

سألت المذيعة عالم النفس الخليجي عن تأثير كثرة الهدايا في نفسية الطفل، فأكد لها أن هذه ظاهرة خليجية بحتة! وقص عليها قصته عندما ذهب للدراسة في بريطانيا بعد الثانوية، فسكن مع عائلة بريطانية لديها طفلان، وكل طفل لديه لعبة واحدة فقط يلعب بها ويعيدها لمكانها حين ينتهي منها.

بعد عودته عاد لزيارة هذه العائلة بعد أحد عشر عامًا، فوجد أن الولدين اللذين كبرا يعرضان ألعابهما للبيع في سوق خيري تقيمه الحارة، وقد كانت الألعاب في حالة جيدة لأنهما كانا يحافظان عليها. هل تريد بعد هذه القصة أن تتأكد من أن ظاهرة إفساد أطفالنا وشبابنا وشاباتنا بالحب الذي لا طعم له، وعدم الثقة فيهم، وتعويدهم على الرخاوة، ليست ظاهرة خليجية؟!

يقول البعض إن مرد ذلك هو السيولة النقدية وارتفاع مستوى دخل المواطن الخليجي في عهد النفط، إلا أن المال ليس هو المشكلة، بل النسق الاجتماعي الكامل في تعامله مع المال هو المشكلة، والنظام التعليمي الذي لم يجبر عثرات النظام التربوي، الذي بقيت معظم عائلاته بعد النفط شبه جاهلة، وتجاربها المعرفية تجارب استهلاكية سطحية.

في معظم الأفلام التي نشاهدها وبعض القصص التي نسمعها في المجتمعات المتقدمة، نجد أن الشاب المراهق

يستطيع أن يزور صديقا له في بلد آخر، ومن حقه أن يحصل على دروس للتزلج على الجليد، لكن من نقوده هو، أما كيف يحصل على النقود، فالفرص أكثر من الهم على القلب، يستطيع الشاب أن يعمل بائعا أو (كاشير) لأي سوبر ماركت قريب من المنزل لساعات، حتى يجمع المال المطلوب، أو يقص عشب بيوت الجيران، والشابة تعمل جليسة أطفال او جليسة حيوانات لتجمع النقود. أما ماذا يتعلم هذا الطفل المضطهد فتذكرني بقصة الأب الذي طلب من ابنه ان يخرج للعمل ويكسب درهما بدل الجلوس في البيت، ولأن الدرهم قيمة ضئيلة عند الولد وأمه كانت أمه تشفق عليه من العمل في الشمس فتعطيه الدرهم وهو جالس، وعندما يعود الأب يأخذ الدرهم منه ويرميه من النافذة، فلا يحرك الابن ساكنا، فيطلب منه الأب ان يحضر في الغد درهمًا آخر. في المرة الثالثة قرر الابن أن يخرج ويحضر الدرهم من عمل له ليخلص. عندما عاد الأب أخذ الدرهم منه وفتح النافذة وهم برمي الدرهم، فقفز الابن وأمسك بدرهمه.

هذا هو الفرق بين درهم تكسبه ودرهم يمشي عند قدميك، لكن الخسارة ليست في المال، بل في أبنائنا الذين لا نعلمهم المسؤولية وقيمة العمل والمال.

جرب أن تكون الآخر!

ببشرته البيضاء، وعينيه الزرقاوين، وشعره الأشقر، وثقافته الفرانكفونية، أعرف تماما أنني أنا الآخر هنا، الآخر المختلف، لا عيناي زرقاوان ولا بيضاوان ولا ثقافتي فرانكفونية، تحدث معي بدونية وقلة اهتمام، رغم أنه موظف لتقديم الخدمات وأنا المشتري، إلا أن هذا لم يمنعه من النظر بدونية إلى طلبي، وربما إلي أيضا، أصر أن يحدثني بمصطلحات فرنسية، وإبقاء الحواجز كما هي. هذه المرة كان هو المركز وأنا في نظره (الهامش)، هذه المرة هو الذي وراء الطاولة، وأنا في الطابور، انتظر رحمته، لماذا نظر إلي بدونية رغم أنه لا يعرف من أنا ولا يعرف مواقفي الفكرية والإنسانية من ثقافته، ما الذي جعله يرمي بي في جحيم الآخر النقدي، ما الذي يحمله في ثقافته ضدي، هل قتل جدي جده، هل انتزع جدي أرضه، هل كتبوا عنه تراثاً نقديًا مشيناً، هل دنسوا مقدساته واحتقروها، لماذا يحاكمني اليوم على شيء لا أعرفه ولم أقترفه؟!

يقول المثل «ضع قدمك في حذاء الآخرين فإن ضايقك فهو يضايقهم أيضًا» وعليه فإن حذاء الآخر كان ضيقا وخانقا ومهينا أيضا، لأنني في نظر نفسي لا أستحقه، وأستحق ما هو أفضل!

هذا ما يظنه كل إنسان بنفسه بلا شك، لكننا لا نعبأ بهذه التوقعات طالما جلسنا نحن يوما وراء الطاولة وكنا المركز،

وسهل علينا وضع الآخر في الهامش، فالآخر بالنسبة لنا مجرد آخر، أي الهامش، لهذا نسميه آخر مثل كل الأشياء التي لا نريد أن نسميها لنقطع الصلة بيننا وبينها، ونبعدها عنا على طريقة نفيسة (كش برا وبعيد) فالمرض الخطير نسميه المرض الشين، والحمار البعيد، والغريب الأجنبي، أي المختلف عنا، والأميركان الأجانب، كل هذه المسميات لا تعني أبدًا غير وضع المختلف في جزيرة منفصلة، أقل لا تثير الفضول، وغير جديرة بالمعرفة، ونحن من دونها مكتفون ومستقلون، رغم أن هذا ليس هو الواقع ولن يكون أيضا مستقبلا، اليهود لديهم لفظة الأغيار، وهو كل من ليس يهوديًا، وفي معظم الثقافات هناك تيار عدواني ضد الآخر يحمل طاقة من العداء غير المبررة، لكنهم يفلحون بالتفتيش عن إشارات خاطئة جاءت في مناسبات حربية يجرونها من أرجلها لتصبح قاعدة السلوك في حالات السلم والتمسك بها، التيار المعادي ليس للآخر فقط بل للحضارات وللبشرية وللسلام، حتى تلتهم طاقة عداء أقرب الأقربين كما يحدث عندنا، يريدون التمسك بمقولة أن الكافر هو مصطلح جاء في القرآن من دون النظر لأي مناسبة جاءت، وتجاهل آيات السلم والسلام والمحبة، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولا ينهاكم الله ان تبروا الذين لم يقاتلوكم!

لكن استمع لهذا المعادي لو جرب مرة أن يكون هو الآخر، سيمد رجليه ويطلب الكثير الذي لا يقر به، للآخر لو جاء عنده، عجيب أمر هذا الانسان يحب الكيل بمكيالين ويدين من يفعل!

الخادمة أولاً!!

في المظاهرات اللبنانية لخروج القوات السورية ظهرت نكتة تقول إن سيدات برجوازيات أبين إلا أن يشاركن في المظاهرة، فصحبن معهن خادماتهن السريلينكيات يحملن عنهن لافتات تقول (ماي مدام وونت سيريا اوت)، لكن السيدة السعودية التي لم تتظاهر خرجت للتريض في ممشى شارع (الحوامل)، فصحبت معها الخادمة التي تتريض عادة بغسيل الصحون وشطف البلاط، لتحمل لها حقيبتها وتقطع الممشى جيئة وذهابا، السيدة لتخسر السعرات الحرارية، والخادمة لتحمل الحقيبة.

ليست هذه هي أسوأ صورة كاريكاتيرية لحضور الخدم في حياتنا، بل ما حدثتني به سيدة أحضرت مربية لأطفالها الثلاثة الذين أنجبتهم على التوالي سنة بعد سنة، لتكتشف أن المربية (شاذة جنسية)، أنا شخصيًّا قطعت تذكرة لسائقي الذي شكا منه طفلي الصغير يوما بسبب أن يده تصطدم به على الفاضي والمليان.

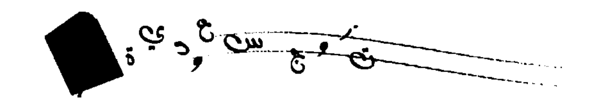
أعرف أن الكثيرين سيغضبون مني، لأنني أمس مقدرات ومكتسبات تسربت في حياتنا في عصر الطفرة النفطية الذهبية، حتى صارت مثل أعمدة المنزل، لكنني لا أحاول تقويض وجود الخدم، بقدر ما أحاول تحديد هذا الوجود، والوعي به والاعتراف بخطورته، فصديقتي تقول ضاحكة، إن منزلها يتحول إلى كارتون تتساقط جدرانه على رؤوسهم حالما

يسافر السائق، فخزان المياه لا يجد من يعبئه والمسبح يغص بمائه فلا يجد من يصرفه. والسيدة الأخرى تقول نتحول إلى أيتام حين تسافر خادمتنا ولا نجد أكلا في البيت نأكله، وأخرى دخلت عليها لأجدها تدون مطلع قصيدة مديح في سائقها يقول مطلعها (يا حلاه يالسواق كل ما قلت له قوه وداني)، وتفكر أن ترسلها للمطربة احلام لتغنيها لها في الأفراح السعودية.

والسبب أن معايير حياتنا قد شكلت على مقاسات وجود خدم، وليس حسب مقاييس طاقتنا نحن، لهذا نشعر بالضياع حالما يسافر الخدم ونصبح أيتامًا بعد أن صار السائقون والخادمات امهاتنا وآباءنا الجدد!

إحدى السيدات شعارها (انجبي الأطفال، طالما أنعم الله علينا بالخدم) لهذا ما أن تسافر هذه السيدة في الصيف من دون خادمة حتى تتعارك العائلة وتتخاصم، فكل منهم يصيح في وجه الآخر هل أنا خادم عندك؟! الاعتماد على النفس ومساعدة العائلة أصبح من مهام الخادم المهان.

أتمنى لو يعطي السعوديون خدمهم إجازة ويجلسون لوحدهم لتجربة مقاييسهم الذاتية من دون خدم، أرى أن كثيرات منهن ستصرخ: الخادمة أولا!



آخر اللصوص المحترمين!

ظننت أن اللص الذي دخل منزلا ولم يجد ما يسرقه، فرفع سماعة الهاتف وطلب رقما دوليًا ثم ترك السماعة مرفوعة، مجرد نكتة! لكن الواقع يقول إن النكات هي في الأصل حدوتة واقعية معدلة بإتقان، إلا أن إتقان الواقع أحيانا يفوق النكتة في شدة إضحاكها.

فقريبتي (قدر الله عليها) سُرقت سيارتها مرتين؛ المرة الأولى عادت السيارة بعد يوم واحد فقط بعد أن استخدمها اللصوص الصغار في جولة (تفحيط) ناجحة لم تكلف السيارة غير خدوش بسيطة. ولأن فطنة قريبتي، وربما رصيدها البنكي المتواضع، جعلاها لا تُقرَص من جحر مرتين، وضعت قفلا على (الدركسون)، ما جعل اللص العائد بعد يومين فقط يكتئب، وحين لم يجد ما يسرقه مما خف وزنه وغلا ثمنه، أضاء لمبة السيارة الداخلية وتركها مضاءة عقابا لهؤلاء الناس الأشرار الذين ينكدون على لصوص السيارات بمفاجآت لم يحسبوا لها حسابا.

من المعروف أن من يحنق ويحقد هو صاحب الحق المعتدى عليه، ولكن ما يحصل أن سلوك اللص هو ما يعكس سيكولوجية إنسان حاقد لديه رغبة في تخريب كل ما يقع في يده حتى ولو لم ينتفع به، انتقاما واستهتارا بالقانون واحتقارا له.

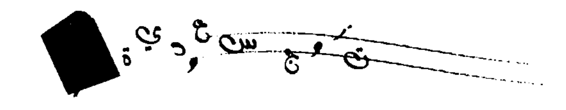
يشبه اللصوص الذين نسمع بهم هذه الأيام الطيور لكثرتهم وشدة قرب مسافتهم من المسروقين، فلم يعد اللصوص يشبهون لصوص أيام زمان الذين كانوا عاقلين ومهذبين يخجلون من

مواجهة المسروق إلا مضطرين، لهذا كانت تقتصر سرقاتهم للمنازل وللسيارات في الليل. أما لصوص اليوم فقد أصبحوا جسورين وقليلي التهذيب، يسرقونك في وضح النهار، وهم ينظرون إلى عينيك ويتحدونك من دون قناع ساتر لملامحهم.

أكثر من مرة قابلت شكوى من رجال خطفت هواتفهم الجوالة من أيديهم، وهم يتحدثون بها، أما لصوص السيارات فهم لا يبيعون السيارة المسروقة، ويرتزقون من ثمنها، بل يلعبون بها ساعتين ويفحطون بها، ثم يرمونها على جانب الطريق!

من أين خرجت هذه السيكولوجية المستهترة بالعقاب وبالفعل؟! هل جاءت من الغرب، عادة دخيلة علينا كعادتنا في تحليل أمورنا؟ هل تظن أن يد الأمن بعيدة عنها ومشغولة في ملاحقة الإرهاب مثلا.. أم أنها تشك في سطوة العقاب، وأن هناك طرقا متعددة يحول بينها وبينه؟!

إن تنامي الجريمة مرتبط بزيادة السكان التي حملت معها زيادة في نسبة اللصوص، لكن هل هذه الزيادة السكانية زيادة مسؤولة تعرف ما هي مقبلة عليه وما هي حقوق وواجبات هذا التكاثر؟ أم أنها زيادة عشوائية فوضوية تشبه قصة طفل في التاسعة ضبطته الشرطة يدخن الحشيش في أحد الأحياء الفقيرة، وعندما ذهبت الدوريات لتحضر والده وجدته رجلا في التسعين لا يدري في أي شارع يقف أبناؤه، ولا يدري بأي قرنة يموت غدا؟!



أحرار أخيرا!

في حين تغطي وتبرر وتغفر التقاليد الاجتماعية الجنوح المتأخر في المراهقة الثانية للرجل، فتمنحه فرصة لتجديد الشباب والبحث عن زوجة صغيرة (أو ما شابهها) يجدد الرجل فيها شبابه، فإن المرأة لا تجد مسلكا للتخلص من آلام التقدم في العمر إلا بالبحث عن بدائل العطارين و(جراحي البلاستيك) لإعادة ما أفسده الزمن، وكلا هذين المخرجين الهاربين من استثمار الزمن لصالح المعرفة حدثا بسبب أن مجتمعاتنا لا تحب أن تناقش أزماتها النفسية وتكشف عن مواطن ضعفها وألمها إلا بالهروب من حقائق الوعي المؤلمة.

تقول أيدا لوشان: إننا في تلك الفترة نواجه بالحقيقة الحادة الأليمة حقيقة أننا غير خالدين، وهي الحقيقة التي لا نصدقها ولا نحتملها، فمن هم دون سن الخامسة والثلاثين أو الأربعين يعتقدون بأن الحياة أمامهم إلى الأبد.

وتظن المؤلفة أيدا لوشان أنك ستصرخ (أحرار أخيرًا شكرا للعلي القدير)، إذا ما واجهت مراهقتك الثانية بتحرك شجاع خلاق، ففي منتصف عمرك حين تمر بما يسميه علماء النفس «أزمة منتصف العمر»، التي يعرفها البعض بالمراهقة الثانية، تكون قد حظيت بفرصة لاستكمال مسيرة أزمة الهوية التي بدأت في المراهقة لتدرك المعنى الحقيقي لمن تريد أن تكون!.

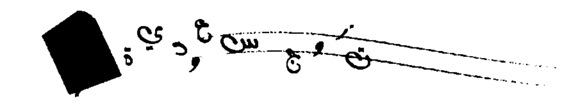
ولأنـي متأكدة أن جميع قرائي هم دون سن الخامسة

والثلاثين (من باب المجاملة طبعا) فإنني أؤكد لهم أن كتاب (أيدا لوشان) «أزمة منتصف العمر الرائعة» ليس خاصا فقط بمن هم فوق 35 عاما أو من يواجه أزمة منتصف العمر، بل إن على الراغب في العلم أن يقرأه عشر مرات، في كل مرة يدخل فيها عقداً جديداً من الزمن، بعد أن يكتشف أن حقائقه تغيرت، وأن قيمه تحولت، ويلمس في قلبه وخزا مما علمته الدنيا، وأنها ما زادته إلا سوء ظن بالناس والخسارة.

أيدا لوشان تقول إن هذا الألم هو رفيق رحلة النضج والنمو، وأن منتصف العمر هو الفترة التي يمكن للمرء أن يكون ذاته بكل العمق والصدق، ففي هذه المرحلة من الحياة أصبحنا في غير حاجة ورغبة في الاعتماد على الآخرين وأكثر استقلالية عن أي وقت مضى فلم نعد بحاجة للتنازل عن الحب والقبول بل ونملك القوة والنضج والحكمة التي جمعناها خلال الكثير الذي عشناه، وفي منتصف العمر سنتخلص من الأحمال الثقيلة التي حملناها من المفاهيم ونحن أطفال مثل (إننا يجب أن نكون طيبين حتى يكون الآخرون طيبين معنا، ويجب أن نذاكر جيدا حتى ننجح، ويجب أن نقول الحق دائما حتى نكافأ بالحب والقبول، وجميع أفراد الأسرة يجب أن يتحابوا).

وبذلك كونًّا مزاعم عن الحياة وأصبحنا نؤمن بوجود صفات لا وجود لها، فالطيبون من الناس كثيرا ما يقهرون، وبعض ممن يتمتعون بالمال والنفوذ قد ذاكروا أقل ما يمكن، وأحيانا لا يحب أفراد العائلة بعضهم بعضا، وفي بعض الأحيان يتسبب قول الحق في مشاكل لا نستطيع معالجتها!.

إن تَكَسُّر قشرة المزاعم الرائجة في كتب المطالعة



والروايات القديمة أمام أعيننا، لهو ثمن لا يدفعه فقط المارون بأزمة منتصف العمر، بل ربما أمثالكم ممن شارفوا على مقاربة العشرين، لذا فأنني أنصحكم أن تقرأوا أيدا لوشان لتصبحوا (أحرار أخيرا شكرا للعلي القدير).

حِنّا[2] غير!!!

ذهبت في عطلة نهاية الأسبوع إلى دبي بصحبة عائلتي، وفي الطريق من المطار ونحن نقيس الاختلافات التي تشهدها دبي كل شهر، استيقظت في الدقيقة الأولى على شهقة انطلقت من ابني الراكب بجانبي:

باسم الله عليك، وشفيك؟

أشار بإصبعه إلى السيارة التي بجانبنا: امـرأة تسوق سيارة!.

لمست جبينه بيدي وقلت:

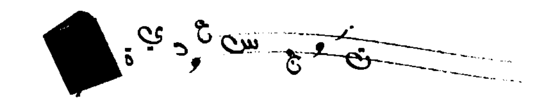
خير إن شاء الله، وهل هي المرة الأولى التي تشاهد فيها امرأة تسوق؟!

قال لي: لا، ولكن أول مرة أشوف امـرأة تسوق بعباءتها وحجابها، أنا اعتدت على رؤية النساء يقدن في البلاد العربية والأجنبية بمظهر وملبس غربي، لكنني عندما رأيت الإماراتية تسوق بعباءتها فوجئت، شعرت للحظة أنني في الرياض!.

هـذا بالضبط الخطر الـذي أظـن أن دولـة الإمـارات استطاعت أن تتجاوزه، فهي مدينة استطاعت أن تتوازن مع عصريتها الجديدة من دون أن تمس مظهريتها التقليدية الجميلة. الشباب الإماراتي، أكثر الشباب المراهق الذي تراه في المجمعات التجارية وهـو يلبس ثوبه ويطوي غترته على رأسـه، ويعتز بعصاه وخيله، رغـم أنـه يجيد اللغات ويذهب

---

(2) كلمة عامية تعني (نحن)



لمدارس تستخدم التقنية الحديثة وأنظمة التعليم الحديثة، ورغم كل الأزياء والمظاهر الأميركية المحيطة به من مقاهي «ستار بوكس» وأبطال السينما الأميركية في صالات العروض التي توجد في كل مجمع تجاري.

المرأة الإماراتية أظنها أكثر امرأة خليجية متصالحة مع تقاليدها الاجتماعية التقليدية، فهي لا تزال تنقش الحناء على كفها، وتسمع الغناء البدوي الأصيل، وتلبس عباءتها وملفعها وهي خلف مقود سيارة المرسيدس. أرجو ألا يفهم البعض أنني أتحدث عن مجتمع كامل بلا مشاكل، لكنني أتحدث عن نقطة كيف يمكن للإنسان أن ينظر لتقاليده باحترام واعتزاز، لأنها تقاليد عربية جميلة، لم تمنعه يوما من التفاعل مع معطيات عصره، ودخوله في زمنها الحالي من دون وضع حواجز «ماضوية» فقدت مضمونها الاجتماعي، لهذا ظلت التقاليد محل اعتزاز وتقدير.الإماراتي العربي يسلم علينا مع زوجته وطفلته في مدينة ألعاب الأطفال، من دون حواجز وأخشاب وقواطع، لكنه يلتزم حيالنا كضيوف غرباء بل يلتزم علينا بالتفضل لبيته للغداء مثل كل عربي كريم، من دون أن يشعر أن وجودي أو وجود زوجته كسيدات نقف بجانب أزواجنا مصدر خجل وارتباك، فهو يتعامل مع الأمر من منطلق عربي أصيل ونظيف، فلماذا يلبسه ظنونا لا محل لها في القلب.

إن حماية التقاليد الجميلة هي في احترامها كمضمون قيمي وليس في تحويلها إلى قيود وأقفاص تسلب الناس حريتهم، والصحارى الواسعة للتنزه عندما تتحول إلى ناطحات سحاب وشوارع إسفلت، ما زالت تسمح بخروجهم واختلاطهم

بعائلاتهم في كل مكان بحثا عن تسلية الخاطر البريء.

إن الحفاظ على التقاليد يأتي من الثقة بها، وليس الخوف عليها، ضمن أي تيار متغير، لان التقاليد الجميلة تعرف كيف تحافظ على نفسها، لأنها أصيلة وهادفة للحق والخير والجمال وليس العكس.

ما يدعيه البعض بعد أن رأى التناقضات التي نعيشها، نحن السعوديين، رغم تشابهنا مع مجتمع الإمارات من حيث المرجعية الدينية والأصالة البدوية والتقاليد العربية، بأننا مجتمع «غير» لا تصلح عندنا هذه الأمثلة، مجرد تبريرات ناقصة، فمن أين جاءت هذه التبريرات، ولماذا نتخيل دائما أننا شعب غير؟ من طينة غير؟!. حتى صارت جملة «غير» عنوان سياحتنا، فـ «جدة غير» و«أبها غير» و«حصة غير» و«سعيدان غير»!.

سري جدا!!

أتذكر فيلم «توب سكريت» في كل مرة أكون على متن إحدى طائرات بعض الخطوط الجوية، فأعرف أن بعض مفارقات هذا الفيلم ليست خيالية بقدر ما هي كاريكاتورية فقط، ففي الفيلم يبحث البطل عن أرخص خطوط جوية تناسب قدراته المالية، فيجد شركة طيران رخيصة جدا، من شدة توفيرها لأموالك لا تمنح ركابها تذكرة سفر، بل تكتفي بختم يد الراكب بختم مسافر، وحين يركب البطل الطائرة، يجد مقاعد طويلة دون أحزمه، تشبه مقاعد الحدائق العامة الخشبية، يجلس عليها، وتأتي المضيفة حاملة قدر كبير من البطاطس المهروسة تطلب منه أن يسحب صحنه من تحت المقعد، لتضع له ملعقة كبيرة من البطاطس، أما التدفئة فإنها خيار شخصي تمامًا، كما فعل بعض المسافرين من الهنود الحمر الذين لجأوا إلى إشعال حزمة من الحطب ليتدفئوا، النتيجة المنطقية الوحيدة في الفيلم هو أن الطائرة وقعت فوق صحراء القطب الشمالي المتجمد.

أما طائرة الخطوط السعودية العائدة من القاهرة، حفظها الله من كل شر، فإنها قد أتبعت حسب قانون شركات الخطوط الجوية الجديد مبدأ الشفافية، حيث يقتضي إعلام الراكب كل ما يستجد فوق السحاب. فطائرة قريبي التي كان من المتوقع أن تقلع في السابعة مساء، أقلعت في الواحدة، وقد وزعت عليهم الشركة عصير علب برتقال وساندويتش، حسب

العمل بنظام التعويضات عن التأخير لمدة سبع ساعات، المهم أن الكابتن الشفاف قرر أن يخبر الركاب الذين كان النوم يهبط كالسواطير على عيونهم من شدة التعب وطول انتظار، كل الحقائق وهو على ارتفاع ثمانية وثلاثين ألف قدم، فحياهم وأعتذر لهم عن التأخير، وسرد قائمة المشاكل التي واجهوها، مثل عطل في باب الطائرة وتعذر إقفاله، عطل في المحرك رقم أربعة، نسيت أن أخبركم أن هذا الخبر كان يصاحبه بعض المطبات الجوية، ثم ختم الكابتن الشفاف والطائرة في مطب جوي الخبر المشؤوم بالقول أن درجة الارتفاع الحالية غير مناسبة، وعليه أن يهبط أقل، لكنه لا يستطيع بسبب وجود طائرة مصرية تحته. طار النوم من عيون الركاب الدائخين من التعب، بعضهم قرأ المعوذات ليرقي نفسه، والآخر تمنى لو يعيدون تعليمات النجاة التي لم ينتبه لها طوال عمره، كل هذا بسبب مبدأ الشفافية العظيم.

الكابتن في نسخة الخبر الإنجليزية كان موفقا في صياغة الخبر، ويبدو أن السبب يعود إلى أن الشفافية اختراع غربي صرف، لكن النسخة العربية كانت نذير شؤوم لا أكثر!!، لأنهم في الغرب يضعون قواعد للشفافية تقول، ليس المهم ماذا تقول في الخبر، بل كيف تقول.

لكن الحق يقال أن كابتن رحلة القاهرة هو أفضل حظا من الكابتن الذي خرج من كابينة القيادة إلى الحمام، وعندما أراد العودة إلى الكابينة وجد باب الكابينة قد أقفل دونه، وتبعا لنظام الحماية فإن القفل كان من الداخل فقط، فما كان منه إلا أن طلب من المضيفة أن تزوده بمطرقة ليكسر الباب ويدخل

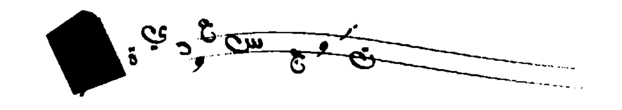
والركاب يتفرجون على المشهد، هذا الحادث من فضل الله، حصل قبل قانون اتباع مبدأ الشفافية، الذي يبدو أنه سيقتصر في العالم الثالث على حق حصولك على رواية المصائب التي تقول بعدها بالمصري أنا كنت على طائرة قادمة من القاهرة: يالهووي!

عالم الحيوانات

سمعت مرة ابني يقول لأخيه: اسمع أنت حمار! فتدخلت لوقف تلك البذاءة التي ترتكب على مرأى ومسمع مني. لكن ابني صحح لي موقفه بالقول: «لا يا ماما أنا أقصد الحمار الحلو.»!!! لأكتشف أنهم يلعبون لعبة يتقاسمون فيها أدوار الحيوانات كالأسد والحمار والأرنب، وهم يفهمون حتى تلك اللحظة أن وصف «حمار» ما هو إلا كائن لطيف، مسالم، مثل الشخصية الكارتونية للحمار في مسلسل: «ويني ذا بو» في عالم ديزني!

تعلمت من أطفالي أنه يمكن النظر للحيوانات - كما كان أجدادنا يفعلون - على أنهم شركاء لنا، في المملكة الحيوانية يتقاسمون معنا أدوارًا ومهمات، لكن طبائعنا البشرية، المحبة للسلطة والتملك هي التي خلقت ممالك من الرتب والطبقات والفئات، وظل الناس يعاملون الحيوانات حسب هذه المفاهيم الثقافية فيرفعون شأن حيوان، ويخفضون آخر.

ظلت تلك المقامات تتغير حسب المواقف والظروف التاريخية، فالكلب كان يومًا وصفا بديعا للوفاء استعمله شاعر «الرصافة وعيون المها» حين قال: أنت كالكلب في وفائه، وكالتيس في قراع الخطوب، لكنك اليوم لن تخرج سالمًا بعد وصفك لأحدهم بالكلب أو التيس، كما أن وصفا للذيب في البادية كان وصفا للشجاعة والإقدام والفوز، حتى أن قريبا لي سمي ذيب، دلالة على الإقدام والذكاء.



لكن اليوم صار الذئب لا يطلق إلى على الغادر من البشر ولا سيما في مجال خطف النساء والتغرير بهن، فالمنشورات الوعظية الموجهة للمراهقات دائما ما تحذر الفتاة من الذئب، لنكتشف أن الشباب ما هم إلا ذئاب في ثياب بشر يحومون حول الفتيات في الأسواق وعبر الهواتف.

هذه المقدمة الطويلة أكتبها لأخلي مسؤوليتي عن وصف الحيوانات السلبي عند إنسان الحاضرة، الذي لم يعد يرى مكاناً مناسبًا للحيوان، إلا في الشتائم أو مقيدًا في حديقة الحيوانات أو مركوبًا أو ملبوسًا على جسده، وهذا هو ما جعلني أمتعض حين سمعت أحد الشيوخ يرد على مستمع في الإذاعة، يسأله عن حكم خروج المرأة من المنزل بدون محرم؟ فلم يجد الشيخ تشبيها مبسطا لعقل السائل، غير قوله «إن الغنم التي تخرج من دون كلب حراسة هي معرضة للذئاب»! وقد أوضح لي شيخ آخر رد على فتاة تشكو إليه من ظلم أخيها، بأنه نصحها بأن تتفادى الظلم بالتودد إليه وطاعته، وأن من حسن التودد إليه، كسب ود زوجته، وزوجته هنا لم تكتسب حق التودد من مبدأ أنها شريكة للسلطة مع الأخ الذي يوقع الظلم بأخته، بل من موقع آخر شرحه لنا الشيخ لتبسيط المفهوم بقوله «لو جاءنا ضيف ومعه حمار، ألا نكرم الحمار من أجل خاطر الضيف»، ترى ما هو سر العلاقة بين الحيوانات والمرأة يا جماعة؟!

الله لا يغير علينا!

لم يكن النقد الذاتي واحدة من صفات العقل السعودي على ما أظن، فقد كبرنا على عبارة «الله لا يغير علينا». كان معظمنا يسبح في ذهنية نصوص التعبير والإنشاء المزخرفة. كان مطلوبا منا دائما أن نكتب عن رحلة بر سعيدة وإجازة صيف هانئة، نذهب فيها للطائف نتريض في بساتينه، أو لجدة نسبح في بحرها ونعود تملؤنا السعادة والحبور، رغم أن بعضنا لم ير في حياته لا الطائف ولا جدة! من دون أن نأتي على ذكر «الكفر» الذي «بنشر» في منتصف الطريق والوالد الذي «يعصب»، لأن هذا خروج عن النص، الذي يجب أن يكون جميلا وكاملا! هذا عدا نعمتي الأمن والأمان والتي كنا نظن أننا وحدنا الذين ننعم بهما حتى نكبر، ونسافر لدول أخرى فنكتشف أن نعمتي الأمن والأمان هما قوامتا أي مجتمع حضري سياسي.

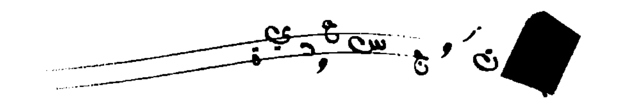
دهش المجتمع السعودي، عند ظهور كتاب يكتبون عن واقع ناقص، وفوجئوا بطاش ما طاش، وهو يعالج بالضحك، قرارات نقل المعلمات البائسات في التعليم للقرى النائية من دون توفير الضمانات المطلوبة، والشرطة تدوخ لتصل للحرامي، والمواطن الذي يرتجف لأن باحثا اجتماعيًّا جاء يجمع معلومات عن قضية اجتماعية فظن أنه موظف مباحث وليس باحثا. انتبه المواطن السعودي إلى أن خاصية النقد الذاتي لا تقتل، وأن النقص سمة بشرية لا تعني السوء، وأن النقد هو مدرسة لإصلاح المجتمع وليس لهدمه، فبدأ الناس

يشاركون في عميلة النقد الذاتي، لكن بأسلوب جديد على المجتمع السعودي، وفرتها وسيلة الرسائل عبر الجوالات، فانتشرت كالحريق نكات حرف بعضها عن نكات عالمية أو عربية، وظهرت الصور الكاريكاتيرية لنقد الزوج السعودي لز جته، فهي لا تهتم إلا بشراء القدور والملاعق، بينما تنشغل اللبنانية والمصرية بطرق أغراء الزوج وتدليله، فترد الزوجات عليها بنكته الزوج السعودي الذي يأخذ زوجته للمطعم ويلتهم الطعام سريعا وهو صامت، ثم يطلب الفاتورة سريعًا.

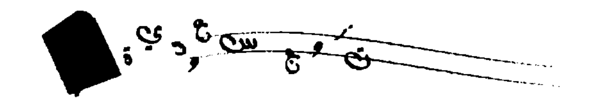
أما نكتة الأمهات التي تنتقد الأم السعودية التي تنتقد طريقة تنويمها لابنها فقد وصلتني من ابني، حيث تقول إن الأم المصرية تنوم ابنها: بأغنية «نام يا حبيبي نام»، واللبنانية «نام تقبرني»، بينما الأم السعودية تنوم ابنها بعبارة: «نم جاك الحرامي عوووا!».

أما نكتة العائلة التي تذهب للبر فهي نكتة تبين أن السعوديين لا يعرفون كيف يستمتعون، فهم يقضون جل وقتهم في البحث عن بر لا يكشفهم فيه أحد، ويتخاصمون طوال الوقت حتى تفاجئهم عبارة «ياالله نروح البيت». أما السعوديون الذين يتذمرون من زوجاتهم مثل كل الأزواج في العالم فإن أحدهم يسأل صديقه: ماذا سنفعل بزوجاتنا لو دخلنا الجنة وحصلنا على الحوريات؟ فيجيبه الصديق المخلص: سوف نعطيهم للكفار في جهنم!

الزوجة تنتقد الزوج بأنه متذمر، قليل الكلام، والابتسام، لكنه عند الكرة يغني!. أما الزوج فإنه ينتقد الزوجة السعودية التي لا تستقبل زوجها وهو عائد من سهرته الصباحية كما تفعل



اللبنانية، التي «تتغندر» على طريقة هيفاء وهبي، وتسأله: إن شاء الله انبسطت؟. لكن السعودية تستقبله بتكشيرة، وتسأله: لماذا لم تنم مع صحبتك الفاسدة التي جئت منها؟!

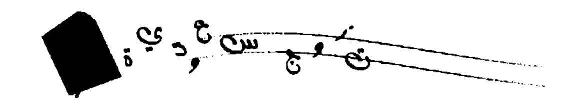


سيدة البقر

في طرافة شديدة التواضع والوعي بدورها في الحياة أجابت أم قزع على سؤال المذيعة هل أنت سيدة أعمال فقالت: أنا؟!!!! أنا سيدة بقر!!!!

أم قزع سيدة سورية وهي شابة صغيرة ولديها أربعة أبناء وهذا حال تعيشه نساء كثيرات في واقع الحياة وسننها، لكن المخالف لها هو أن أم قزع قررت أن لا تجوع أو تشحذ أو تطلب ظل رجل ولا ظل (حيطة) واختارت ظل عقلها وعملها وعرق جبينها وابتدأت بشراء خروف واحد وانتهت اليوم بعد ثلاثين عاماً في الشمال السوري بمزرعة خراف وبقر وعجول وقصر كبير وأرسلت أبناءها إلى المدارس بعد أن علمتهم درساً أهم في الحياة، درس كفاحها الأبيض ضد أيامها السوداء، أم قزع وقفت أمام كاميرا الفضائية العربية وقالت المرأة تستطيع أن تفعل أشياء قد لا يفلح الرجل، (الزلمة) القيام بها أنها تستطيع أن تصنع الأفكار من هنا، وأشارت إلى رأسها. قالت هذا الكلام دون أن تنتمي لواحدة من منظمات حقوق المرأة أو الدفاع عن حقها في العمل والمشاركة الاجتماعية، دون أن تطمح لتأسيس نظرية تثبت تفوق المرأة على الرجل وتعمل على قهر الطرف الآخر بمضمونها، منذ أشهر خرجت علينا صحيفة محلية تعلن سعادتها كما يسعد أصحاب الحفريات بعثورهم على كنز أثري، العثور على وثيقة تثبت أن المرأة دخلت سوق العمل منذ سبعين عاماً، في بلدية أبها برتبة ساعي أو خادمة

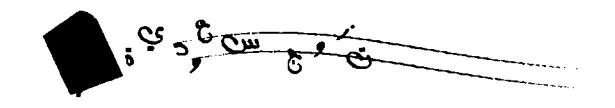
تنظيف موحية بديمقراطية مشاركة المرأة في سوق العمل - رغم أن المرأة لم تتخل أبداً عن تلك المشاركة في حقلها وصناعتها المحلية وحراستها للعائلة عند غياب الرجل - لكنها لم تفسر لنا كيف بقيت مشاركة المرأة في سوق العمل بعد سبعين عاماً لا تتجاوز 6 % ويقال 10 % وكيف تستغل نجاح أسماء نساء سعوديات في تجميل ديكور المجتمع عند الحديث عنها في المحافل الدولية والإعلامية، فتظهر من الأرشيف أسماء لا تمثل واقع المرأة السعودية بقدر ما تمثل نجاح جهود فردية سبحت عكس التيار، مثل ثريا عبيد المدير التنفيذي لصندوق السكان الدولي، وسلوى الهزاع طبيبة عيون وعضو منظمات علمية دولية، ومؤخراً هنادي هندي كابتن طيار، بينما تفترش قاعدة الثقافة المحلية أخبار تنشرها الصحف عن زوجة خرجت بعد خمسين عاماً من الزواج لأن زوجها تجرأ وارتكب كبيرة لا تغتفر ومد يده ليكشف عن وجهها وهي نائمة، لأنها ترتدي البرقع حتى في بيتها، وأب طرد ابنه من البيت لأنه عاد ووجده يشارك أمه وأخواته الغداء بحجة أنه لم يجد في البيت غيرهن، وهذا عار لا يغتفر، هذه الأخبار المتفرقة التي تأتي على سبيل الطرف، هي ذيول ثقافة لاتزال تضع المرأة في منزلة أقل باعتبارات ناقصة الأهلية والعقل والمسؤولية، أخبار تخرج من مجتمع يعزق في أرض النماء والتطوير وليست عن قبائل بدائية تعيش خارج التاريخ والدورة الحضارية!



سيرة جهل النساء

عندما يدوي حدث سياسي أو اجتماعي كبير في المجتمع فراقب كيف تتحدث عنه النساء، ربما تختصره الصورة خفيفة الظل التي راجت عن سيدة كبيرة في السن قدمت مشورة لاعتقال الرئيس العراقي صدام حسين الذي تسبب بحروب العالم فقالت إن على الأمريكان أن يقطنوا له ويقبضوا عليه حال خروجه لصلاة الفجر في المسجد القريب لبيته على طريقة حروب أوائل القرن العشرين الماضية، بين النساء تروج أكثر الأفكار تقليدية، من المعتقدات بالشعوذة والسحر والحسد، والأوهام والمخاوف المبالغ فيها والمؤامرات والخوف من الغد وفساد الأخلاق، واقتراب نهاية الدنيا الماحقة، تروج بينهن الشائعات والانشغال بها، مما يعكس قلة الخبرة وقلة الحيلة وقلة المعرفة، ومهما تزايدت أعداد المتعلمات اليوم بيننا إلا أن الكتب وحدها لا تصنع بيئة نقية وواعية، طالما أن النساء المتعلمات لا يزلن يختبرن الحياة وفق نظام الجدات الأميات، وليس وفق تجاربهن ومعارفهن وعلومهن الحديثة، سيدة تعمل بروفسوراً في الجامعة تعالج ابنها عند كل عارض صحي (بالمرّة) لا وفق نظام الطب البديل الشائع حاليا بل وفق نظام الطب القديم ووفقا لنصائح والدتها وعمتها، وأخرى حتى اليوم تقص لزميلاتها المدرسات حكايات الجاثوم الذي يربض على أنفاسها أثناء توتراتها الليلية، هن يتصالحن مع الجهل لا عن رضى منهن ووعي به بل لأنه واقع مشترك تعيشه

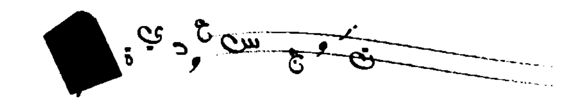
معظمهن، يطمئنهن دائما تداول أعراضهن الجسم نفسانية في المجالس، ومكاتب العمل وعيادات انتظار النساء فيشعرن بأن ما يحدث لهن شائع وطبيعي ولا مبرر للبحث عن علاج له، وأختصر سيرة الجهل النسائية في بلادنا في صورة سيدة أعرفها تزوجت منذ أربعين عاما كانت أمية مثل كل نساء زمنها في ذلك الوقت وزوجها شاب تخرج من المعهد الليلي مثل شباب ذلك الوقت بعد زواجه بها أنهى الجامعة وحصل على بعثة علمية لدولة أوربية لعشر سنوات هذا الشاب صار اليوم بروفسورا في الجامعة وعضوا في عشر هيئات علمية ودولية بينما لم تفارق هذه السيدة أميتها عدا أنها تحفظ بعض الكلمات الإنجليزية أشهرها you are liar! (أي أنت كاذبة) لأن امرأة إنجليزية شتمتها بهذه الجملة عندما وجدتها تجيب كل سؤال تسأله إياها بالقول I do not know (أنا لا أعرف شيئا!) دون أن تفطن أن السعودية لم تفهم عليها !!!، هذه السيدة مثل معظم مجتمع النساء كله ليست وحدها المسؤولة عن جهلها، الزوج الذي رأى أن الحياة مشروع تعلم مقتصر عليه وحده كان سببا، ونظامها الاجتماعي والتعليمي سبب آخر، انظروا لتعدد التخصصات العلمية والمعارف الثقافية وتنوعها وسهولة الحصول عليها المتاحة للذكور، بالإضافة لكم الإعلانات عن دورات تطوير الذات والتعلم والترفية كلها (للرجال فقط)، متاحة بسعر رخيص ومنتشرة في كل حي أما النساء فإنهن يفتشن بمشقة وشبه انعدام عن فرصة لتحقيق الذات، عدا مشكلة المواصلات التي تختصرها المرأة في جملة العجز الشهيرة: – من يوديني من يجيبني!!!!



يا ناس يا سكر!!

يستطيع الناس اليوم في السعودية أن يحتفلوا بحصولهم على لقب أنهم (ناس من سكر)! بعد نتائج الدراسات التي كشفت عن تفشي مرض السكر بين السعوديين حتى بلغ نصف السكان الذين يزيدون عن 45عاما، هذا عدا تفشي هذا المرض بين الأطفال، و الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالاستعداد الوراثي، تليه العادات الغذائية السيئة وما طرأ علينا من تغيرات في العادات الغذائية وزيادة استهلاك الأغذية التي تحتوى على الدهون والسكريات واختلال الميزان الغذائي السليم، وما يرافقها من قلة النشاط البدني وقلة الرياضة. السعودية واحدة من عدة دول يهددها السكر، وقد بلغت الهند أعلى نسبة عالمية حيث يصاب كل واحد من ستة هنود بمرض السكر، وفي الخليج تحتل الكويت النسبة الأعلى خليجيًا، في السعودية لم يعد المرء يعرف قريبا له إلا ويراه محملا بأدوية السكر أو الضغط أو الاثنين معا، مستسلما إلى أن هذه أمراض العصر التي يجب الصبر عليها. المصيبة أن الجهل وحده ليس هو المسؤول عن تفشي نسبة الإصابات العالية بهذه الأمراض، فقد نافس المتعلمون وطلبة مدارس التعليم الأميين في التسابق إليها، تراهم وقد أصبحت السمنة والأجساد المتهدلة واحدة من سمات طلبة ومعلمي التربية والتعليم، فيما انشغلت المدارس بالحفاظ على نصاب مرتفع من الحصص النظرية المحشوة بالحفظ والبصم على حساب الرياضة التي تتقلص وربما تنعدم كلما زادت حاجة

الطالب لها وهو يكبر باتجاه البلوغ وقلة الحركة، الإحصائيات تقول أن 38 % من الطلاب السعوديين يقطعون إشارات المرور، وأكثر من20 % يدخنون و28 % بدناء، ورغم هذا لا يتعلم الطلبة شيئاً عن مضار التدخين ولا عن ضرورة احترام قواعد المرور ولا عن العادات الغذائية الجيدة عدا تلك الدروس الصامتة في حصة العلوم، أنا شخصيًّا أبنائي لم يشربوا المشروبات الغازية قبل سن الدراسة إلا في المناسبات وحين التحقوا بمدارس التعليم صار كل واحد منهم لا يعود إلى البيت إلا وهو يعلق علبة بيبسي وكيس(فصفص) في يده، فيما المعلمون مشغولون بحشو عقول أبنائنا بأفكار مقاطعة المنتجات الأمريكية ولا أحد يدعوهم لمقاطعة أكياس البطاطس المقلي المشبع بالمواد الحافظة، ولا الحلوى المدججة بالسكريات والسموم التي يبيعها مقصف المدرسة، ويجتهد بعض المعلمين بعرض أشرطة الفيديو عن ضحايا الحرب الأفغانية ولا أحد يكلف نفسه بعرض شريط فيديو عن حوادث المرور والتفحيط في شوارع الرياض التي بلغت قتيلا كل تسع ساعات، معلمة تعترف في مجلس كبير أنهم يبيعون البطاطس والحلوى ويرتكبون بهذا مخالفة صريحة لقرارات إدارة التعليم،فسألتها عن السبب قالت:(وش نسوي ما عندنا ميزانية للمدرسة)!. بصراحة نحن (ناس سكر والله العظيم) !!!!!

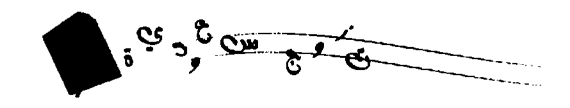


لله يا محسنين الحقيقة!!

لا أدري ما هو مصير طلاب الحقيقة في العالم العربي، الذين تجاوزوا اللبنانيين، وهم يرفعون شعار نريد الحقيقة، في مقتل رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري. فتقرير التنمية البشرية للعالم العربي، كاد أن يكون ضمن حقائق سعى البعض للاعتراض عليها، لأنها لا تسر الأنظمة العربية، لكن الحقيقة أن التقرير العربي لم يكشف سوى عن الحقائق القديمة المتجددة بلوعة تشق الصدور والقبور، تقول إن العالم العربي ليس وطناً واحدًا كما ظن بياع الوهم العربي، إنهم قادرون على تسويقه ضمن خطابات شعرية بدون خطط موحدة لا باقتصاد مشترك، ولا بوحدة عملة مصرفية، ولا بمناهج في التعليم، بل بوحدة مسكنها القلوب، فالأعمال بالنيات، لكن من سوء حظهم أن التقرير أظهر العالم العربي مثل قطعة قماش مليئة بالرقع لا تكاد واحدة تشبه الأخرى إلا في مصائبها، والتي تقف على رأسها مشكلة الفقر، التي بلغت اثنين وأربعين مليون عربي دخلهم اليومي أقل من دولارين.

بينما كشف التقرير عن ثلاثة مطالب هي المعرفة، والحرية، وتمكين المرأة، غائبة عن التنمية البشرية العربية، وهذه المطالب هي العمود الفقري لأي تنمية، أما المعرفة الضائعة فتشير إليها نسبة الأمية الهائلة في مجتمع عربي كل يوم يروج بائعو الكلام فيه أننا اليوم خير أمة أخرجت للناس، فنساؤنا نصفهم أميات بالختم الرسمي، ورجالنا ثلثهم

أميون، والمميزون من المهندسين والأطباء والعلماء من ذوي الكفاءات العالية الذين يتجاوز عددهم 450 ألفاً، فقد طاروا بعيدًا إلى بيئات توفر لهم مناخ البحث العلمي وتشجع عليه، هذا ليس كلامي بل كلام مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية في الإمارات، والذي قدر خسارتنا بسبب هجرة العقول العربية بمئتَي بليون دولار سنويًّا، والذي قال إن الكثير من الطلبة العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون لأوطانهم، وإن 34 % من الأطباء الأكفاء في بريطانيا هم من العرب، كما وصف الحال المعرفي بتدني مستوى الإنفاق على البحث العلمي، أما قضية الحرية المطلوبة فهي برامج إصلاحية لا تزال الدول العربية تقدم رجلاً وتؤخر رجلاً في الأخذ بها، أما تمكين المرأة فهو العنوان الدبلوماسي الناعم الذي ظن كتبة التقرير أنه لا يزعج أحدًا، فعلى الرغم من معرفة الباحثين فيه، أن المرأة تعيش أوضاعًا بائسة، بدءًا من غياب التنظيمات التي تحفظ حقها وتمنع ظلمها، وانتهاء بحصتها الضئيلة من برامج التنمية التي لا تضعها في مرتبة متساوية مع الرجل في بعض البلدان العربية، إلا أنهم لم يجدوا بدًّا من تلطيف هذه الحقيقة حتى يمكن تمريرها في التقارير، وفي الخلاصة إن كانت النتيجة تمكينا أو تعديلا أو تصليحا، فإننا نمد يدنا قائلين: «لله يا محسنين، الحق أو الحقيقة!».



سن الرشد الانتخابي

أحد المرشحين في جدة يروي قصة حدثت أمامه، عن شاب وقف أمام صندوق الاقتراع، ثم التفت، يتساءل عن أسماء القائمة المزكاة؟ (وهي قائمة انتشرت في المجتمع الانتخابي، تزكي أسماء بعينها وتحث الناس على اختيارها). سأله المرشح: كيف ترشح أناسًا لا تعرف حتى أسماءهم؟ فرد عليه الشاب، الذي يمارس حقا انتخابيًا ديمقراطيًا حسب معايير لجنة الانتخابات التي حددت سن الترشيح لكل ذكر بلغ الحادية والعشرين، بالقول: المهم أن تبرأ ذمتي، وتكون على ذمة من زكاهم؟

يمكن القول باختصار شديد، إذا أردت أن تعرف ما هو نتاج أسلوب الوصاية، فانظر إلى هذا النموذج (الشاب) الذي تبناه بالغرس والزرع، نظام تعليمي عام، إثنا عشر عامًا يحفظه ويلقنه، وشارع يحدد له أي زي يلبس، وتاليًا برنامج انتخابي يأتي من يحدد له فيه، أي مرشح يختار!

عندما وقف هذا الشاب في أول اختبار فعلي لاستقلاليته وحكمه الشخصي، واستنتاجه، وتحرير إرادته، والتعبير عن رغبته كفرد حر مستقل، يمثل صوته قيمة حقيقية، في ترشيح من يراه مناسبًا، يأتي رده هكذا!

التخلي الكامل، عن حق الاختيار والمسؤولية، والإثم والعقوبة، والكسب والخسارة، للأوصياء عليه، وهم ما صدقوا خبرًا، فما أن سمعوا طلب الشاب حتى جاءه الرد سريعًا: أيوه

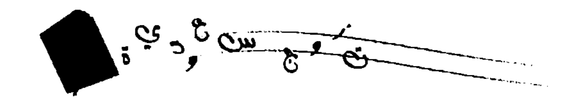
جايي، القائمة جاهزة، (لا تغامر فتدخل في النار، استمتع براحة الضمير، نم ودع القرار لنا). أليس مبهجًا ومريحًا أن تجد من يحمل عنك مسؤولياتك، حتى مسؤولية الدخول إلى النار، وتمنح صكا أدبيًا يضمن لك البراءة من كل أثم حتى ولو تخليت عن واجبك الوطني، لمن ينوب عنك؟!

هذا الشاب بلا شك لم يجد في كل المراكز الانتخابية، وفي محافل المرشحين، رجال قانون وتربية سياسية واجتماع، يرشدونه إلى أن البرنامج الديمقراطي ليس مفتوحًا لهؤلاء غير المسؤولين الذين يفتشون عمن ينوب عنهم في تحمل المسؤولية، وأن المواطن الذي لا يشعر بأنه بلغ سن الرشد الانتخابي عليه أن يجلس في بيته حتى يبلغها، وفات على اللجان الانتخابية التي اجتهدت في تحديد السن القانونية، أن تعرف سن الرشد الانتخابي.

لكن من المهم الإشارة إلى أن الرشد الانتخابي لا يمكن توفره في نظام تربوي وتعليمي يقوم في كل نهار، على تلقينك ماذا تفعل عند النوم وعند الأكل، نظام يعاقبك لو حاولت أن تسأل، فالسؤال مفتاح الشيطان، سن الرشد الانتخابي هي السن التي يبلغها الفرد حينما يكون في منظومة معرفية تؤكد كل أدبياتها على احترام عقلك، ومسؤوليتك في إفادة من معك ووطنك.

التأكيد على أنك عقل مستقل تمثل قيمة، لا يمكن أن ينوب عنها أحد، وأن انخراطك في تبعية فريق يتحمل مسؤوليتك تعني خسارتك كقيمة، وكسبك كرقم.

أخاف في غمرة اندفاعي، في تعداد سمات سن الرشد



الانتخابي، أن يمد لي أحد القراء لسانه على طريقتنا السعودية في التعبير يائسًا، ويقول: في الأحلام، يا روحي!

الجمال لا تقرأ الكتب!

دفع الناشر الأميركي، لبيل كلينتون عشرة ملايين دولار، مقابل نشر كتاب عن حياته. وقد يظن البعض أن الناس قد أقبلت على شراء «كتاب حياتي» لكلينتون بسبب فضيحته مع مونيكا لوينسكي، إلا أن مثل هذه الظنون لم تصدق، لأن كلينتون لم يقدم لقرائه غير سطور أخلاقية تدين الخيانة وتأسف لها، وتشيد بمؤسسة الزواج، وتؤكد أن الزوج الخائن حتى ولو كان رئيسًا لأميركا سيعاقب بالنوم على الأريكة شهرين كاملين.

هيلاري كلينتون في «تاريخ عشته» أيضًا تلقت ثمانية ملايين دولار ثمنا لكتابها، أما «شيفرة دافنشي»، الذي ليس رئيسًا لأميركا ولا زوجة مخدوعة، فقد طبعت منه 20 مليون نسخة، وترجم إلى أكثر من عشرين لغة، منها العربية في سنة واحدة 2004 م.

ما سبق ليس حسدًا، ولا شكوى من قلة الدخل، لكنني أردت القول إن الناشرين الأميركيين ليسوا متطوعين في المجتمع الأميركي لصالح تثقيفه، الأكيد أنهم لم يغامروا بإخراج بنس من دون أن يتأكدوا أنه سيعود إلى جيوبهم عشرات الدولارات لأنه يراهن على جمهور يقبل على التهام الكتب مثل السندويتشات في قطارات الأنفاق وصالات المطار. شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي، صرح أيضا بأنه يقرأ شعر محمود درويش، وأنه معجب بتصويره لعلاقته بالأرض، دلالة على أن الرجل قرأ جيدا، ولم يقل هذا الكلام للاستهلاك الإعلامي،

ولو أن عنوانا مماثلاً ظهر فيه رئيس عربي، يصرح بإعجابه بكتاب يهودي لأقمنا الدنيا فوق رأسه، ليوضح علاقتنا بالكتب.

ومع ذلك تأكد أن أول تحليل لنقص مستوى القراءة في بلادنا، ستسمعه من محللي التنظير الجاهزين للوم الآخرين، هو سيطرة الإنترنت والفضائيات على وقت الشباب، بينما الأرقام تقول عكس ذلك، ففي الخليج مثلا أعلى نسبة بلغت لمستخدمي الإنترنت في الإمارات لم تتجاوز 36 %، وفي السعودية بلغت أقل، ودول الخليج 12 %. كما أن هذا التحليل الجاهز، لا يفسر لك لماذا لم تتضرر مجتمعات مخترعي هذه التقنية، التي تستخدمها بأعلى نسبة في المعدلات العالمية. ولماذا ينجح سوق كتاب تتجاوز صفحاته الألف ويطبع بالملايين؟.

الكاتبة البريطانية رولينغ، مؤلفة رواية «هاري بوتر» للأطفال، كتابها فاق 500 صفحة، وطبعت منه خمسة أجزاء، لكن مشهد الأطفال في بريطانيا الذين وقفوا في طوابير ليحجزوا لهم مكانا قبل شروق الشمس سيفسر لك كيف تحولت كاتبة فقيرة مثل رولينغ لم تكن تملك طاولة تكتب عليها في البيت إلى مواطنة تكاد تكون أغنى من ملكة بريطانية في سنوات قصيرة. لهذا أظن أن تدني مستوى القراءة لدينا ليس إلا مرضًا عربيًا خالصًا مثل معظم الأمراض المستعصية. وإن أردت أن تعرف السر، ففتش عن نظامك التعليمي، واسأل لماذا ينهض أطفالنا وهم يحملون مزودة كتبهم المدرسية، كما تنهض الجمال المحملة بالأثقال، فالجمال لا تقرأ الكتب.

مقلمة النساء

نشرت جريدة سعودية خبرا تحت عنوان آسر يقول «امرأة تؤدب رجلا بمقلمة»، فأحببت القلم الذي يلعب دورًا حتى في الخصومات في «حكاية المقلمة» هذه، فالقلم هو إشارة للحكمة والعلم والمعرفة، لكن الخبر يقول إن كل مقلمة ولها ظروفها الخاصة بها، فالمقلمة هنا استخدمت لأغراض غير أغراضها.

فالمرأة التي جاء دورها لتدخل على الطبيب فوجئت برجل أرعن يصطحب طفلاً ويمر من أمامها ويدخل، لفت الطفل النبيه الذي كان معه إلى أن الدور للمرأة التي تهم بالدخول، فلم يكف الرجل فعله القبيح بل راح يشرح للابن مبادئ فلسفة الرعونة الحديثة قائلا إنه لن ينتظر نساء، ولن يسمح لهن بالدخول قبله، عيب على النساء أن تدخل قبل الرجال، ثم دخل!

وتبعًا لسياسة ضبط النفس المطلوبة، أخبرت المرأة الطبيب بما فعل الفيلسوف الأرعن، فتدخل الطبيب بطلب أن يخرج الرجل، وينتظر دوره، ولأن الضرب للرجال فقد مد الفيلسوف الأرعن يده إلى الطبيب، ليثبت لابنه المتفرج الخجول أن فلسفته تصلح لكل مكان وزمان، فضرب الطبيب!.

هنا اضطرت المرأة، الى أن تتدخل، بعد أن فاض صبرها وملت، ولأن آخر الدواء الكي، أخذت «المقلمة» من فوق طاولة مكتب الطبيب و«خبطت» بها جبهة الفيلسوف الأرعن،

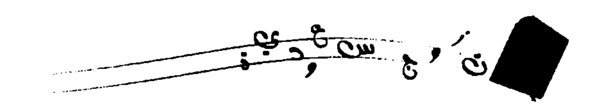
الذي مضى زمان تعليمه جادة الحكمة، لكن قد يستفيد الابن المسكين من الدرس العملي، بعد أن كتب عليه أن يكون بصحبة والد من طبقة «فلاسفة» من هذا النوع.

ان استنكار وجود المرأة في الحياة العامة ليس مظهرًا فرديًا أو شاذاً، فقد شاع عند بعض الناس استنكار غريب، لم يكن موجودًا من قبل وظهر.

تخبرني سيدة عن رجل فتح غرفة الصراف الآلي التي تتقدم البنك فوجدها تصرف نقودًا، طلبت منه أن يغلق الباب لتكمل عملية الصرف، فهاج الرجل وماج: «طالت وشمخت، أقول خلصي يالله، ما عاد إلا حريم يوقفونا بالطابور.!».

أربع سيدات يقفن أمام مصعد مستشفى كبير، بسعة سبعة اشخاص، فتح المصعد، فوجدن رجلين بداخله، هممن بدخول المصعد، فنهرهن الرجل قائلا: ما فيه حريم هنا! وأغلق الباب من دونهن.

وتحقيقا لرغبات الفلاسفة الذين يرفضون رؤية النساء في المستشفيات والمصاعد، وأمام صرافات البنوك، وهي أماكن - والحق يقال - لا يمكن أن ينوب عنهن فيها السائق أو الخادمة، فإنه يعمل على التخفيف من حضورهن بناء على طلب جمهور الفلاسفة، من الحافلات العامة والمدن والشوارع، حتى تكاد أن يكون رؤية سيدة تمشي في الشارع منظرًا مريبًا يدعو للشك بها أو التطفل عليها، مما يستدعي النساء على ما بدا لنا أن يحملن معهن «مقلمة» لأغراض إن تبدُ لكم تسوؤكم!.



عيال شوارع

دعتني إحدى الصديقات السعوديات في مدينة عربية سياحية لتناول العشاء في مطعم عربي، وكانت بصحبتنا مراهقتان، من قريباتها. وأثناء تناولنا العشاء، سمعت الفتاتين تتندران على شاب سعودي جلس بالقرب من طاولتنا، على طريقة قصه لشعره، وعلى أنفه وثيابه.

اعتبرت أن ما أسمعه مجرد هزل مراهق لا بد أن يمر، لكنني لم أستطع ضبط نفسي عندما سمعت الفتاة تطلب من رفيقتها أن تصور الشاب. رفعت رأسي وسألتها: هل تقبلين أن يتطفل عليك أحد ويصورك؟ ردت عليّ الفتاة: أمزح! ولا أدري إن كانت حقا تمزح أم لا، لكنني أعرف كثيرا من الشباب لا يمزح، تراهم في الأسواق والأماكن العامة، يرفعون كاميرا الهاتف في أيديهم، بكل راحة ضمير يصورون من حولهم من دون سبب، وقبل أن يأتي جيل الهواتف الجوالة المزودة بكاميرا، يصورونهم لو توفرت، في أيديهم كاميرا، في السفر أو على الشاطئ.

وعندما أصبح الهاتف الجوال يوفر هذه الخدمة، صار الفتى والفتاة بل والرجال والنساء يرفعون كاميراتهم في كل مكان ويصورون من دون أن يعتبروا أن تصرفهم تعدّ على حرية الناس وخصوصياتهم الشخصية.

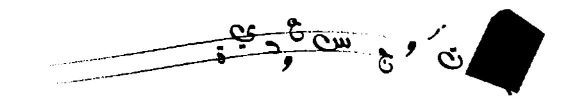
إن بعض تصرفات الشباب اليوم في الشارع، تبدو سلوكيات منفلتة من تقاليد الشارع واحترام حق الآخر وحق

المكان العام، حتى الرجال منهم والنساء، يشعرون بعدم مسؤوليتهم عن سلوك منضبط طالما أنهم في مكان لا يعرفهم فيه أحد، فيحق لهم البحلقة والتطفل على الآخرين، ولا يشعرون بأن من واجبهم ضبط سلوك أطفالهم لو بدأوا بتخريب المكان.

أنا أكتب عن ظواهر شاهدتها في طبقات تدرس في مدارس خمسة نجوم، وتلبس ثيابا من إيطاليا، وفرنسا، وتسافر بالدرجة الأولى دون أن تساهم هذه العوامل في دفعهم لدرجات من الوعي والتحضر. إحدى السيدات ردت على موظفة في قاعة الانتظار في الدرجة الأولى وهي تشاهد أطفالها يحطمون نماذج الطائرات الصغيرة في الاستراحة، بالقول إنها تريد أن تمنح رأسها راحة هنا، فيكفيها ما عانته من مشاغباتهم في غرف الفنادق، بالمناسبة كانت فنادق خمس نجوم أيضًا.

الأطفال في مدينة الألعاب يعتبرون أن تعدي الطابور والقفز على الناس شطارة. الطفل في البقالة يدخل ويصيح في العامل الهندي: «ياهيه أنت يا رفيق»، الشاب ينتهز مرور سيدة في عمر والدته ليطلق عليها كلمة مثل: «هلا والله يا شهرزاد»، فيضحك رفاقه! تستطيع أن تميز طفلاً سعوديًا من آخر إماراتي أو كويتي أو أردني، لأن الطفل السعودي يبحلق في كل من حوله ويكاد يصطدم بعامود النور أمامه، ولو مازحته لقال لك: «هالحين أعطيك بوكس»، بعض أطفالنا لم يتعودوا على مخاطبة الغرباء بلفظ «يا خاله أو يا عم» طالما أن لا سلطة عليهم.

والسبب هو غياب الشارع في حياتنا، وهو سبب عدم فهمنا لقوانين مجتمع عام ومشترك. تحافظ على حقوق الشارع



وحقوق الآخرين، ولهذا نطلق على كل صاحب سلوك منفلت ولد شوارع!

سبع دروس خفيفة

*** درس الحقد (1)**

لدى البشر سمات غريبة لا يمكن لك أن تفهمها طالما أنك لا تمتلكها من بينها أنهم لا يفهمون معنى أن تمنح العالم حبّاً سهلاً أو تقيم معه سلاماً مبدئيّاً لذا فإنهم لابد وأن يبدأوا معك معارك حرب صغيرة مجانية وما عليك إلا أن تبادرهم بعدوانية أولى وترمي في قلوبهم الهلع حتى يعرفوا بعد ذلك كيف يلتمسون حبك ثم تمنحهم إياه متفضلاً فتغدو بينهم ملكا.

*** درس الكذب**

من يجيد الكذب إلى هذا الحد هو روائي عظيم ضيع نفسه في غواية الكذب وإلا كيف يصنّفونه إلى هذا الحد محبوباً عفويّاً.. يغزلون عقده الصوفية ببراعة ويصنعون من نسيجه ثوباً ما أن تلمسه يداك.. وتضع إصبعك على عقدة الصوف الأولى حتى تهر جميع عقده بين يديك وتذوب..

*** درس النفاق**

ماذا تساوي الكلمات هذه طالما أنها تمنحهم كل هذه السعادة إنها حبر خفيف.. فراش هش يطير كن لطيفاً واقضم طرف لسانك النابي وامنح كلمات كحلوى «غزل البنات» حلوة وخفيفة لكنها تذوب حالما تلمس لسانك.

*** درس الحميمية تقتل**

كلما سرنا عميقاً لنتقارب كلما افترقنا. إذن فنلبق على خطوط التماس دعنا في العام وليبق الخاص خاصاً.

قلت لصديقتي التي ستسافر:

لم نشبع منك؟

فردت على: ليس جيداً أن يشعر الآخرون أنهم شبعوا منك!

* **درس الأمومة**

لو كانت الأمهات يحكمن العالم لربما ساد العالم سلام مهيب ولانشغلت الحكومات بتغذية أبنائها والعناية بهم وكفت العالم شر الحروب.

* **درس الصداقة**

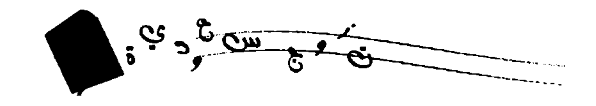
الرجل يطلبها لينسى والمرأة تطلبها لتتذكر أنها الصداقة ليس إلا.

* **درس الحسرة**

في كل يوم يأكل دود الحسرة من قلبي ولأن قلبي كبير فلا هو يفنى ولا الدود يتوقف.

* **هامش:**

(1) النجاسة هنا تأتي بالمعنى الشعبي وتعني الحقد والكراهية وربما سميت نجاسة إشارة لوساخة القلب.



حرب النساء والرجال
في جزيرة الإنترنت

على الرغم من أن الكوارث اليوميّة التي يضج بها العالم منذ آلاف السنين وحتى اليوم صناعة ذكورية أبطالها حكام العالم ومهندسوه ومخترعوه ومستشاروه، إلا أنني لم أقرأ يومًا قولاً أو مثلاً يجعل من الرجال رأس المصائب أو مصدر الشرور. وعلى العكس من هذا أجد أن المرأة هي موضوع مستمر للتأمل والتصنيف على طريقة «قالوا في المرأة» و «فتش عن المرأة» و«ماذا تعرف عن المرأة» أكثر مما يمكن أن نتأمل ونسخر منه ضد حرب نووية مدمرة أو صناعة سلاح ذري يستخدمه قائد ذكر ضد شعبه وأطفاله ليصبح زعيمًا يهتف باسمه الشعب ويطلقون اسمه على مواليدهم الجدد، ويدعون لتغيير تقويمهم السنوي لتبدأ سنته بيوم ميلاده. ويبدو أن في هذا درسًا يعلمنا أن القوة هي سيدة الأحكام وهي سيدة الفكر أيضًا والتفكير وعلى الرغم من محدودية دور المرأة في مجتمعات الشرق على مستوى المشاركة والتجربة وطبيعة دورها كتابع في الحياة وفي صناعة القرار إلا أنها هي المسؤولة عن تعاسة الحياة والأبناء وتحطيم البيت وإفلاس الزوج. ولعلني لا أبالغ لو قلت لولا دور المرأة كأم في الحياة لما كنا نستطيع أن نتخيل أي حال ستؤول إليه المرأة. ورغم أن هذا لا ينفي وجود نساء شريرات إلا أن الشر ليس له جنس واحد فالشر جنس مؤنث ومذكر كما

في طبيعة ثنائية هذه الحياة. وقد حمدت الله عكس ما يفعل البعض. الذي يرى في اندثار الآداب الشعبية مصيبة. إن كثيرًا من الروايات الشعبية من الأمثال والحكايات. قد اندثرت فقد وجدت أمثالا شعبية تحمّل المرأة جرائم العالم وتعاسته ولو صدقها الناس فما على النساء حفظا لماء وجوههن غير أن يحتججن على طريقة نساء «اسبرطه» ويذهبن للعيش وحيدات في جزيرة منعزلة. ففي اليابان مثلا يقال» إن الشيطان أستاذ الرجل وتلميذ المرأة» !. وفي بلجيكا قالوا يخرب البيت ثلاثة امرأة شابة وخبز أخضر وخشب جديد. وفي انجلترا المرأة شعر طويل وعقل قصير، ولا سلاح للمرأة غير لسانها وفي رومانيا النساء يتعلمن البكاء ليكذبن وفي الهند لا تكف المرأة عن الكلام إلا لتبكي وفي فرنسا لا أصعب من أن تجد بطيخة طيبة وامرأة طيبة، وفي ألمانيا الشيطان يكفيه عشر ساعات ليخدع رجلا والمرأة يكفيها ساعة لتخدع عشرة شياطين، وفي اليونان المرأة إمّا تحكم أو تخدم ووعود المرأة تكتب على صفحات الماء. ومثل لاتيني يقول من له بيت هادىء ليست له زوجة، وفي إسبانيا لا تثق بالمرأة الصامتة ولا بكلب ينبح، وفي روسيا الكلب أعقل من المرأة لأنه لا ينبح على سيده، وفي بلغاريا لا تثق بشمس الشتاء ولا بقلب امرأة.

بقي ان أقول شيئين، الأول إنه في مجتمعات متقدمة في الوعي والحضارة تمتلك في كثير من مؤسساتها توجهات نحو الكف عن التقليل من شأن المرأة والدعوة لاحترام إنسانيتها وعقلها ودورها ومشاركتها تتراجع ذهنيتها الشعبية عن هذه التصورات المنحرفة. أما في مجتمعات أخرى تصر الذهنية



الشعبية على جعل المرأة هي المتنفس الوحيد لكبتها والسخرية منها وتصويرها بصورة العاجز والمعاق والمتآمر مع الشيطان والخجل من أن يعرف الناس اسم أمّه حتى لا يعيروه بها حتى لو كان اسم أمّه «شدى» وليس «عمشا» مثلا ولهذا ربما يصدق المثل الذي يقول «إذا أردت أن تعرف تحضُّر شعب فانظر كيف يعامل نساءه». الشيء الثاني يخطىء من يظن أن النساء لا يحتفظن بحقهن بالرد لكن مشكلتهن الوحيدة أنهن لا يملكن قنوات وصحفاً إعلامية. وهن للأسف أيضًا عندما تحدث الأخطاء الفكرية في الأمثال والتصور الشعبي التي تقارن بينهن وبين بطيخة وبينهن وبين خادم وبينهن وبين شيطان وبينهن وبين كلب، فإن النساء يطلقن نكاتا مضادة كما في الحروب السافرة، متخذات من السباب نفسه منهجا فيطلقن مثلا يقول:- «الرجل مثل طابع البريد كلما بللت رأسه لصق» أو «الرجل كالكلب كلما طردته تبعك» ترى أين يمكن أن نقرأ مثل هذا السباب إلا في شوارع الحواري البذيئة والذي لا أتمنى لأحد أن ينقله لأهل بيته أو يحرص أن يعلمه لأولاده. لأنه حرب ضروس لا عدالة فيها!

فوبيا العرس

تستخدم جارة أمي استراتيجية هجومية عملا بالمبدأ القائل «قصي ريش طيرك لا يلفي على غيرك» عبر تبديد ثروة زوجها المحدودة وتوزيعها على شكل صناديق خضار وفاكهة على جيرانها تحت غطاء تحسين علاقات الجوار ومطالبته بالمزيد بالإضافة إلى اعتمادها على استراتيجية الدعم القائلة بأن «مقلع أم عشرة مقلع شجرة» تجعلها كل سنة نفساء. وكنت أظن أن المرأة الموظفة لن تضطر لاستخدام استراتيجية جارتنا بعد دخولها نمط من الحياة الوظيفية الجديدة التي ستحميها من الخوف من فقدان طيرها وبالتالي فقدان الدخل العائل لها ولأطفالها وتشردها. إلا أن المرأة الموظفة وجدت نفسها تستجيب لمتطلبات الحياة الجديدة التي تتطلب دفعًا ثنائيًا من الزوج والزوجة لتحسين مستوى معيشتهم والتمتع بحياة أفضل فوجدت نفسها تتنازل طوال سنوات عملها عن مرتبها لبناء بيتهما المشترك ثم شراء الأثاث ثم سداد أقساط السيارة الأمريكية التي ستركبها هي وعيالها. وقد ظنت المرأة الموظفة أن «فوبيا العرس» لن تتهدد مصيرها وأنها آمنة كما تأمن أعمدة البيت التي دفعت قيمتها في الفيلا وحاضرة بوضوح كما تحضر الثريات المعلقة فوق رأسها وفي أثاث مجلس الرجال الذين انتظروا حتى ينزل راتبها لشرائه حتى بدأت مسلسل حلقات مسلسل «فوبيا العرس» ينشر أحداثه حولها في أحاديث النساء المستغثية بدأت حلقاته عندما أنهى أحدهم

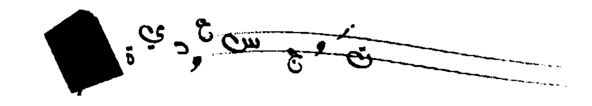
بناء فيلا من فلوس الزوجة ثم طردها وعيالها ليصحب زوجة جديدة ويعيش في كل شيء جديد والقصة الأخرى، أوهمها بأنه سيؤجر الدور الثاني. أطرف ما سمعت أن أحد الأزواج تزوج ويبدو أن زوجته الثانية لم تعجبه فعاد للزوجة الموظفة يخبرها أنه مستعد أن يطلق زوجته الثانية إذا دفعت له ثمن الخسائر التي خسرها على زواجه الثاني يعني الزوجة هي التي ستدفع له تعويضًا عن رداءة ذوقه وربما حظه. ويبدو أن الموظفة حين وجدت أنها لن تحظى بتعويض عن طلاقها كما حدث لديانا ولا حتى بربع العظم عادت لاستراتيجية جارتنا القديمة «مقلع أم عشرة مثل مقلع شجرة» حتى يظل الطير فوق شجرتها هي «ويا دار ما دخلك شر»!

أود أن أخبركم صراحة أن أمي أخبرتني قبل أيام أن جارتنا التي أنهكت من حربها الضروس على ما يبدو قد تزوج زوجها عليها وهي التي شجعته حين قالت له: «طس عن وجهي» عملا بالمبدأ القائل وقوع الشر أرحم من انتظاره.

فوبيا الخلع

على ما يبدو أن الدنيا دوارة فكما أصيبت النساء بـ(فوبيا العرس) وهي الحالة التي تعيش فيها بعض النساء مع شعور دائم بعدم الأمان مع الزوج لذا تراها كلما طال أنفها قليلا ذهبت تقصه عند أطباء التجميل وكلما زاد وزنها كيلوين ذهبت لتذويبهما في النادي الرياضي وليس للأمر علاقة بالصحة وكلما دخلت بيتها مجلة عليها صورة لحسناء أحرقتها بالثلاث وتبدد ثروتها على مساحيق وكريمات التجميل لتحظى بإعجاب الزوج كما راحت أيضا تقص أحلامها وطموحاتها لتصير على مقاس الزوج وحتى لا يطير الزوج، ظهر نوع جديد من الفوبيا ليهدد الرجال اسمه فوبيا الخلع عندما أعلن القضاء المصري وبإقرار علماء الأزهر عن تعديل قانوني يخول فيه المرأة الحق بخلع الزوج إذا ما ارتأت المحكمة جوازه حتى ضج بعض الرجال المصريين وبعض السعوديين وفي بعض الأنحاء العربية .

انطلقت حملة النكات المصرية التي شنتها مقاهي مصر وتجمعاتها الرجالية كعادتهم بتحريف الأغاني فصارت بدلا من الحب عليك هو المكتوب صارت: «الخلع عليك هو المكتوب يا ولدي» و «واسهر وأنخلع أنا وأنت ولا أنت هنا» أ «خلعوني الناس خلعوني» وقد ظهر الأمر كما يبدو مفاجأة لبعض الرجال المصريين ولنقل زلزالاً أحدث لديهم كل هذا لكن ما استغربه حقا أن يتعامل بعض الناس مع هذا القانون وكأنه اختراع مصري أو عارض من أعراض العولمة وليس



تشريعًا فقهيًا واضحًا في حديث الرسول «ص» حين قضى لإحدى النساء بـ«ردّي إليه حديقته» وبدا الأمر ليس تشكيكا في حق إسلامي فقط بل تشكيك في عقل المرأة التي افترض الرجال المكويون بالتعدي على سلطاتهم أن المرأة قد تصحو في الصباح زهقانة وطفشانة فلا تجد ما يبدد طفشها غير أن تذهب للمحكمة لتخلع زوجها وليس أن هذا الحق جاء ليخلص امرأة من الإكراه على حياة مع زوج لا تطيقه وهذا يتعارض مع روح العدل والإنصاف التي كفلها الإسلام للخلق بل ويتجاهل كثيرون منا القصص التي تضج بها الحياة والمحاكم لنساء يتذوقن مرارات العذاب والقهر تحت عباءة رجل غير مسؤول على اعتبار أن ما يحدث للنساء أقدارا لكن مالا يطيقونه هو أن يمس طرف ثوبهم ويشعرون لوهلة أن المرأة كائن عاقل وبدا الأمر سجالا وفوبيا راحت تهدد الرجل بأن يصحو في الصباح فيجد زوجته قد خلعته. لكنني أطمئن كافة الرجال أن المرأة لن تهدر ثروتها وتضيع عمليات التجميل التي أجرتها ولن تخسر أسواق مساحيق التجميل والكريمات بضاعتها ولن تتوقف عمليات وتمارين شد البطن والصدر ولسان حال المرأة يقول: «إن فكنا الله من شر خلعكم أنتم فحنا سالمين» لذا دعوا ورقة الخلع النسائية ديكورًا تعلقه النساء في مجالسهن ويتباهين به مثل ألعاب الصغار.

أحن لكبسة أمي

قررت في إجازتي الدخول للمطبخ لأتوج فتوحاتي المطبخية بإحراز نجاح يعوض انقطاعي عن المطبخ وقتا طويلا كنت أطبخ فيه بحثي في مكتبات العالم المتفرقة. وأقول لبعض الناس الذين يقللون من أهمية شأن الطبخ كمهنة، إن الانقطاع عن الطبخ مثل قائد طائرة ينقطع عن الطيران أو لاعب كرة يترك اللعب، فحين يعاود العمل يشعر بنفسه مرتبكا أو فاقد اللياقة قليل الثقة بالنفس. لهذا فإنني حين جلست إلى الطاولة مع كبستي ذكية الرائحة ومخللاتي الملونة، نهضت كل حواسي لتدعم أذني المتشوقة لالتقاط تصويت البرلمان الأسري المجتمع على الطاولة. سمعت جيدا الأسنان وهي تطحن والملاعق وهي تصطك في الصحن، وكلما همهم أحد، صعدت أذني تلقف ما يلي الهمهمه لكن الهمهمة تنتهي بعد أن تزجرها اللقمة التالية. سمعت نحنحة قال لي عقلي هه علها «أمممه» تلذذ، لكن لاشيء!..

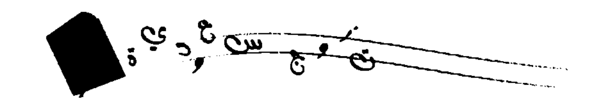
قال ابني أأأ فارتفعت حواسي تشجعه هاه هه هه. أكمل الصبي: أمي لا تضعي مرة أخرى هذا الشيء الحالي.

قلت: اسمه زبيب. قال: نعم هذا الزبيب على الرز!. حسنا أنت تأمر أمرا!.

أعاد رأسه للطاولة وعاد يأكل.

سأل زوجي: هل هذا الرز احضرته معك من السعودية؟!.

لا.. من السوبر ماركت في بيروت، إنهم يبيعون الأصناف



نفسها فلا داعي لجلبها من السعودية!.

ثم دخل زوجي كعادته في الإبحار بالحوار إلى ما وراء الهندي:

وهل هذا الرز وارد السعودية أم وارد لبنان؟! هل التجار السعوديون يصدرون لبيروت أم يحضره اللبنانيون مباشره من الهند؟!.

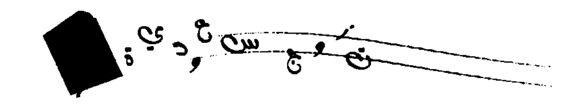
عاد رأسي يطرق ويحلل لو لم يكن الأكل أعجبهم كنت عرفت أسرع من البرق هذه النتيجة، كان ابني المجنون الصغير سيطرق الملعقة على الصحن ويقول: يمه مشتهي همبرقرا. وسيقول ابني العاقل: لماذا لم نحضر معنا «ميري» الشغالة ؟! وسيقول زوجي: وش رأيكم بكرة نتغدى بمطعم؟

لكن بما أن ولا واحدة من هذه المؤشرات ظهرت على أعضاء البرلمان بجناحية «المعارض» و«المعارض» فان النتيجة هي الموافقة بلا شك.

لماذا لم يعد أحد يتحمس لطبخ الأمهات مثلما كنا نتحمس لطبخ أمي بالتصفيق والتهليل والتشجيع والحماس الصاخب الذي كنا نطلقه حالما نشم رائحة (كبسة أمي) امـمم.. وش هالريحة الحلوة يا سلام كبسة. رغم أننا كل يوم نأكل كبسة! . أممم.. متى يخلص الرز. أممم يا سلام جاء الرز. أممم.. يمه خلص الرز جيبي لنا صحن ثاني. ونحن صغار لم نكن نعرف أغاني مثل «أحن إلى رز أمي» لكن أمي كانت تعرف مدى جودة طبخها من فراغ الصحون وتخابط أيدينا المستعجلة لنهب قطع اللحم الصغيرة المختبئة بين الرز. اليوم وقد صرت أعرف كيف أصنع كبسة بجودة كبسة

أمي إلا أنه لم أجد جمهورًا للكبسة مثل جمهورنا، وليس السبب لأن أيامنا جميلة كما يقول أهلنا الذين لا يجدون في حاضرهم ما يفوق جمال ماضيهم. بل السبب يعود إلى أن جمهورنا لا تصل إليه الكبسة إلا وهو جائع، لا يجد في البيت ما يأكله غير الوجبات الثلاث وما أن تحين الوجبة يكون الجوع قد صنع للكبسة طريقا سلسًا وحواسًا صافية، فيدمدم صحنها وتسمع لصوتها هديرًا وصفيرًا، ولوقعها في حواسنا ثم بطوننا صوتا أجمل من تمريره ثم هدفا! يستقبله جمهور الكبسة بالصياح.. هيييييه.

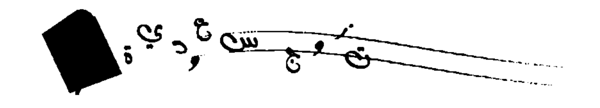
أما كبستي فقد سبقها لبطن زوجي عصير برتقال وصحن من فاكهة الرمان، وإلى بطن أولادي مناقيش زعتر كبيرة تلاها بيبسي سرق من الثلاجة وأفرغ بعيدًا عني، وجدت علبته الفارغة في البلكونة، وتجنزرت معدة ابنتي بلوح من الشيكولاته انتزعته تحت ضعف والدها فقاسمها نصفه بحجة تخفيف الضرر عنها. لهذا حضرت الكبسة على طاولة الغداء مثل لاعب عجوز مل جمهوره من مجاملته وأشفقوا عليه من القول: كبسة يوووووه. الله المستعان!



النوم في العسل

أحاطت بها عدسات المصورين والمسؤولين في إدارات الصحة لأن طفلتها السادسة أدخلت الهند في حقبة جديدة اسمها (بلد المليار مسكين). أنجالي الأم الهندية التي تبلغ من العمر «خمسة وثلاثين عامًا» رفعت عدد سكان الهند إلى مليار، وسط عاصمة تمتلئ أرصفتها بالمتشردين من العائلات النازحة من القرى والمدن الصغيرة والتي لم تجد مأوى لها ولم يعد التشرد مستوى فردياً بل أضحت العائلات تتوالد على الأرصفة وتتزايد قبل أن يجد عائلها ما يضمن لها لقمة اليوم لأن كثيرًا منهم كما تفعل أنجالي التي تعمل خادمة لتعول عائلتها المكونة من ثمانية أشخاص رفضت نصيحة الأطباء بالتعقيم لأنها لن تتمكن من تحمل أعباء تنظيم عائلتها التي تتكاثر وقالت لهم «عار عليّ ألا أنجب ابنا أريد أن أنجب ابنا يحمل اسم العائلة» ولا تدري أنجالي أو ربما تدري إذا ما كان على الابن أن يحمل اسم عائلته النازحة في الزحام والفقر أم سيحمل شقاء عائلته الكبيرة. ويبدو أن البشر لديهم نزعة تبرير رغباتهم تحت عناوين شكلية إن لم يكن الجهل لإبقاء أنفسهم دائما خارج حدود المسؤولية ولا يهم إذا كان ضمن حدود الفقر والأمية والتخلف وعلى الرغم من الدعوة للاعتدال في قبول الأرقام التي تهدد بمستقبل شرس لدول العالم الثالث إلا أن أرقام الواقع المتوفر أكثر شراسة من نبوءة المستقبل كالأرقام التي نشرت عن أن بلد عربيًا مسلمًا مثل اليمن يعيش

خمسة وأربعون بالمائة من سكانه تحت خط الفقر بعد أن كان اليمن السعيد ولا أظن أن معادلة القوة العددية مقابل النوعية هي معادلة صحيحة في عالم لم يتمكن ثمانون بالمئة منه من قلب المعادلة لصالحهم فيما عشرون بالمئة منه هم الأقوى والأكثر تطورًا وظلت القوة العددية لبقية العالم مكبلة بمشكلات الفقر والجهل والجفاف. وفيما تطرح مشكلة وعي الأسرة بحاجاتها وتنظيم برامج تكفل تطوير أفرادها لصالح الاستفادة من قدراتهم وإفادة أوطانهم إلا أن كثيرًا من هذه الطروحات تواجه نوعًا من التشكيك في نواياها والمسارعة لقفل باب الحوار فيها مطمئنا كثيرا منهم للاعتماد على قانون أننا لسنا الأسوأ في هذا المجال أو تلك المقولة الشعبية التي اختصرها في مفهوم «دعنا نعيش بما يوفره لنا اليوم» وهذا المبدأ الاستهلاكي هو المبدأ الذي جعل من كثير من مجتمعات العالم مجتمعات تعتمد في غذائها وخدماتها على ما يقدمه لنا الغرب الذي نشتمه في الصباح والمساء أو البحث عن معاليق نعلق فوقها أخطاءنا للبقاء خارج حدود المسؤولية. وقد نشر مؤخرًا تقرير علميّ سيناسب كثيرًا الراغبين في النوم في العسل يقول بأن شركة بريطانية أثبتت فعالية الفلفل الحريف في منع الاحساس بالألم، وربما يفسر هذا التقرير لماذا لا يشعر الهنود بمشكلة اختناقهم بالمليار إنه الفلفل الحريف. الذي يجعلهم لا يشعرون بآلام الواقع الموجعة.!

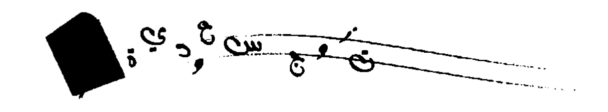


تزوج سعودية

حظيت مقابلة المذيعة السعودية «رانيا الباز» التي تعرضت لحادثة ضرب من قبل زوجها لها ومحاولة قتله إياها، بشعبية إعلامية كبيرة وعلى ذمة الصحف فقد كسبت القناة التي بثت لقاءها الحصري عشرة ملايين دولار، من الإعلانات،ورغم أن ما عرض في المقابلة وما قيل،كان موجعاً للقلب، إلا أن الصحافة عادة تربح مما يثير فضول الناس مهما كانت بشاعته، وهذه البشاعة عادة أو الجمال هو ما يخلق ما يسمى بالرأي العام أي موقف الناس والجمهور.! لا أريد التعليق على حادثة رانيا الباز الشخصية، لأن ما حدث لرانيا يحدث كل يوم لكثير من النساء اللاتي يتعايشن مع الضرب والعنف على اعتبار أنه واقع أفضل من واقع التحول إلى مطلقة، ولأنهن عاجزات عن الحصول على إجابة عن أسئلة من نوع، أين أذهب، هل سأتزوج كل يوم برجل، ماذا لو منع عني أولادي، ماذا لو قال لي أهلي أهلا بك لكننا غير ملزمين بتربية أولاد الشاطر حسن.! تتحول المرأة بعدها إلى كتلة من العجز والأسئلة، مهما كانت قادرة، ففي حالة رانيا مثلا كانت هي من تعيل الأولاد وأبا الأولاد، وكان لديها واقع قادر على الاستقلالية والتخلص من رجل يضرب، لكنها كانت عاجزة عن رؤية أي واقع أفضل من بقائها فيما هي فيه، وهذا ليس ذنبها، إنه ذنب ثقافة ظل رجل ولا ظل حائط، و»عود ولا قمود» ،أي رجل عجوز أفضل من لقب عانس».!

أكثر ما لفت نظري في قضايا الزواج والطلاق لدينا،أن معارض السيارات في بلادي لديها تنظيم قانوني أفضل مما لدى محاكم فك قيد النساء من العنف، ففي حين لا يستطيع الرجل أن يستأجر سيارة أو يشتريها ويستخدمها ولو شهرًا، فإنه لا يمتلك الحق بأن يقف فوق رأس البائع صائحًا بوجهه رجّع لي فلوسي كاملة، بينما يستطيع كل رجل أن يفعل ذلك بزوجته يستطيع أن يضربها ويصدم بها الجدار، ويولد منها العيال، ويستخدمها لكافة أغراضه الشخصية،ثم يقول للقاضي إذا ما اشتكت منه إنه ليس لديها سوى صيغة طلاق الخلع، التي لا تجوز إلا لرجل كامل الأوصاف والأخلاق لكن الله لم يرزقها محبته،أما أن يقرأ القاضي معاناتها ويدفع عنها الضرر، فإن هذه قضية تقتضي وقتا يشيب فيه الأولاد وتبقى المرأة فيه معلقة، وفي أحسن الأحوال، إذا ما اشترت المرأة نفسها، فإن مصير الأولاد هو البقاء في حضانة الأب الذي مهما بلغ من سوئه وإجرام أفعاله وصيًا لا يطاله عيب ولا تناله منقصة، لأن من أحبته عين المجتمع لن يضيمه القضاء

أسوأ من حكايات الطلاق ومآسيها، مالمست من نبض توحش مجتمعي وأنا استمع للردود التي أثارتها مقابلة رانيا الباز، التي كادت أن تموت تحت يدَي زوجها، فقد وجدت مجتمعاً يتعاطف مع الجلاد وليس الضحية، يسأل بكل وحشية ما الذي يجعل رجلا يضرب زوجته إلى هذا الحد؟ لابد أن هناك سبباً؟ !! لماذا فضحت رانيا نفسها وجعلت سيرتها على كل لسان ؟ لماذا كشفت غطاءنا عن وجه وحشيتنا،إن منظرها لم يكن يقطع القلب ولا يستجدي الرحمة، لأن الإطار



أهم من الصورة، إننا نبحث في جسد الضحية عن ذنبها دون أن يهمنا وجه الجلاد، لهذا يا شباب السعودية، أنصحكم في قولي الثاني، أن لا تفروا لمجاهل الأرض ومغاربها وتتزوجون منهم، لديكم (عطية الله) السعوديات، اللواتي تستطيعون أن تتزوجوهن،وتضربوهن،وتحصلوا على رواتبهن إما بالابتزاز العاطفي أو القوة، ولن تجدوا من يحاسبكم ففي النهاية إما أن تحصلوا على مهوركم كاملة غير منقوصة، ولن يلومكم أحد لأنكم (بسم الله عليكم) في عيون مجتمعكم كاملون، والكمال الله!!!.

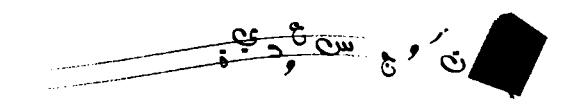
لا تتزوجي سعودياً

أسديت نصيحة لرجالنا بأن يتزوجوا سعودية بعد أن اكتشفت أن معارض بيع السيارات تتمتع بحماية أكثر مما تتمتع به حماية الزوجات، وصلتني رسائل ومكالمات تقول إن عليّ أن أوغل وأزيد تحليلا وكشفا لصور العنف الأسري المريع في مجتمعنا، لكنني لم أفهم ماذا يمكن أن يزيده كاتب أكثر مما فعلت حكاية واقعية مثل حكاية رانيا الباز و تفرج المشاهدين والمشاهدات على تفاصيلها، وشاهدوا الضحية كما في الدعايات قبل وبعد الحادثة، قبل وجه شاب وجميل وبعد الحادثة وجه محطم العظام، أسود الكدمات مصحوباً بتقرير طبي لم تطمح صاحبته بكسب دعوى تكلفا لفاعل تعويضاً بالملايين، مثل الملايين التي قد يحصدها رافع دعوى في بلاد من البلدان المتحضرة لو وجد بعوضة في ساندويشه، وقلت أيضاً ان تلك الحادثة التي روعت المتفرجين والمتفرجات على وجه الخصوص لم تكن غير واحدة من حكايات مخبأة بين الجدران وفي أروقة المستشفيات والمحاكم، لكن الجمهور لا يتعاطف عادة إلا مع النجوم ولا يستيقظ إلا حين يقع الشر في بيت قريب أو صديق أو نجم اعتاد أن يراه جميلاً في الظاهر ثم يراه في اليوم التالي ساقطاً يسبح في دمائه على يد زوج أرعن كما في حادثة رانيا الباز.

بعد تلك الحادثة بأشهرقرأت في إحدى الصحف تقريراً عن أن زوج المذيعة قد حكم عليه بستة أشهر قضى

منها شهرين على ذمة التحقيق والحجز وبقي له أربعة أشهر فقط ويخرج، ليس هذا فقط ما روعني بل تعليقاً سافراً من إحدى القريبات المحتجات على ظلم العقوبة وتجاوزها قوانين العدل بأن قالت (عشنا وشفنا كيف يحكم على الزوج بتلك العقوبة الظالمة ونحن في بلد لا يعاقب فيه الزوج على ضرب زوجته)، وتحليلي هو أن معها حق فهي لا تستنكر الحكم بل تعتمد على رفضه بأنها في بلاد لا يعاقب الزوج فيها على ضرب زوجته وأضيف أيضاً ولا أخته ولا ابنته فقط يعاقب لو ضرب ابن الجيران أو ضرب غريباً يمر في الشارع، وحتى لو صدم شجرة لوجد قانوناً يغرمه أكثر مما يغرم زوجاً ضرب زوجته، لهذا بدا الحكم بالسجن ستة أشهر حكماً جائراً لرجل شرع في قتل زوجته وقال لها مرتين: تشهدي!! وحطم جسدها وكسر وجهها ثلاثة عشر كسراً باختصار عملية شروع في قتل مع سبق الإصرار والترصد، والجزاء هو ستة أشهر سجن، يا بلاش!!

قلت في المرة السابقة للرجل «تزوج سعودية» فالأمر لن يكلفك أكثر من سيارة بل أقل، لكن اسمحوا لي أن أقول للسيدات اللواتي طلبن مني أن أرشدهن للحل بنصحهن «لا تتزوجي سعوديّاً» حتى يسألنا القضاء لماذا؟



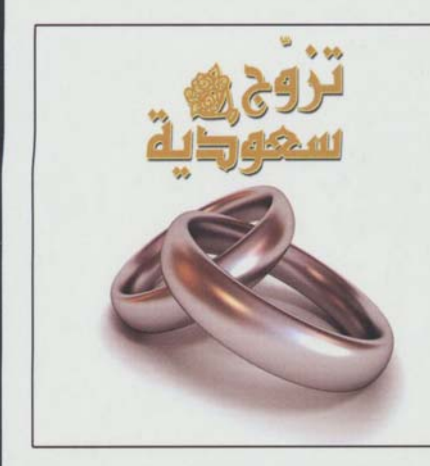
الفهرس

كلما وصلتِ محطة بين طريقين، بين قطارين، وقررت التمتع بالنظر حولي، وأن أنسى الكلمات قليلاً وأتملى في وجوه الناس دون رفقة قلمي، أتأمل في ثيابهم، في فوضاهم، ضياعهم، فرحهم، حقائبهم الملونة، كلما سمعت صوتاً من صديق أو قريب يذكرني بألا أستمرئ الجلوس هكذا وألاّ أستريح، لأن للناسِ ذاكرة ضعيفة، والقراء هم من هؤلاء الناس. فالقراء هم الذين يمنحون الكتاب يوماً شعوراً بأنه الفاتح العظيم مكتشف القارات، وفاتح المسارات المغلقة، فيظن ربما وهماً أنه ينجز الكثير، ويبدع أكثر.

في هذا الكتاب أضع جيرتي مع القارئ بين يديه، لأجنب نفسي وأجنبه شعور الذنب أو شعور القسوة أو شعور الخذلان بأن الزمن ينسى، لأضع بدلاً منها، فكرة بأننا قادرون على أن نضع الزمن في مشكاة.

هذا الكتاب، سيجلس على المقعد المجاور لك، وستلوح الشمس أوراقه، لكنه سيسعد بأنه جلس معك، رابطاً حزام الأمان، مستمتعاً بتأملك وأنت تحاور نفسك مرات وترد عليه مرة، ربما تكون واحدة، لكنها تكفي.

بدرية



بدرية عبد الله البشر

تحمل درجة الدكتوراه في فلسفة الآداب - علم اجتماع ثقافي - من الجامعة اللبنانية في بيروت.

عملت محاضراً بجامعة الملك سعود بين عامي 1996 ـ 1999.

كتبت في عدة صحف سعودية.

لها عدة مؤلفات.



